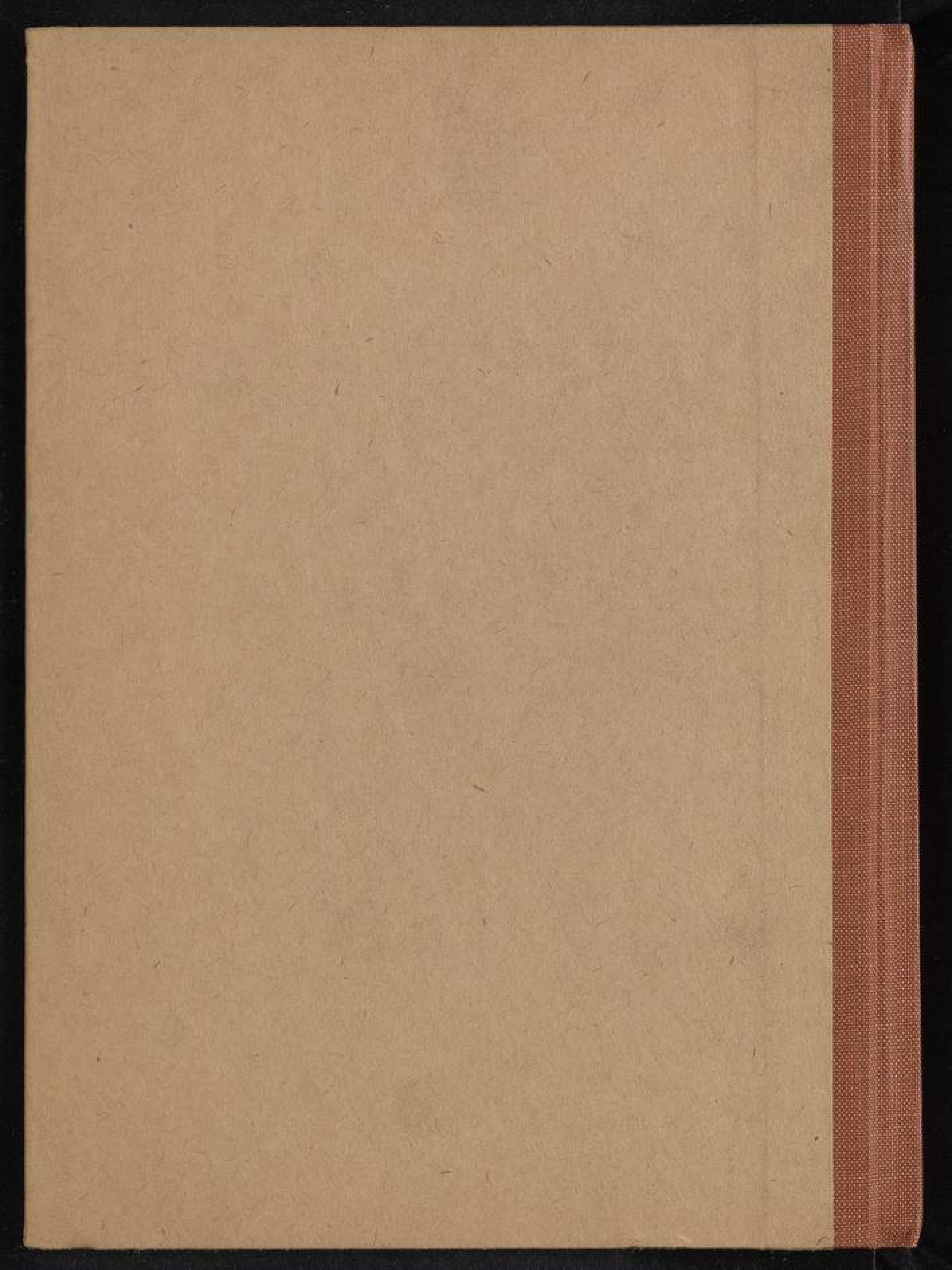
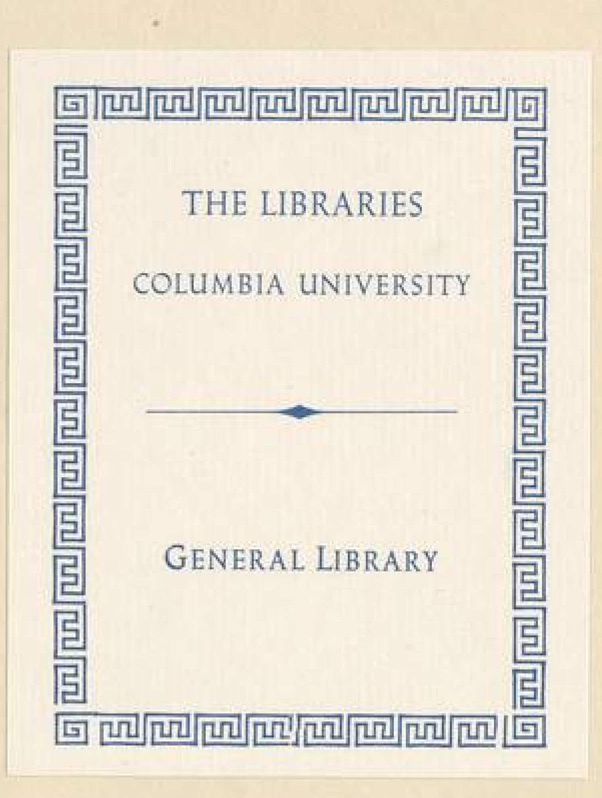
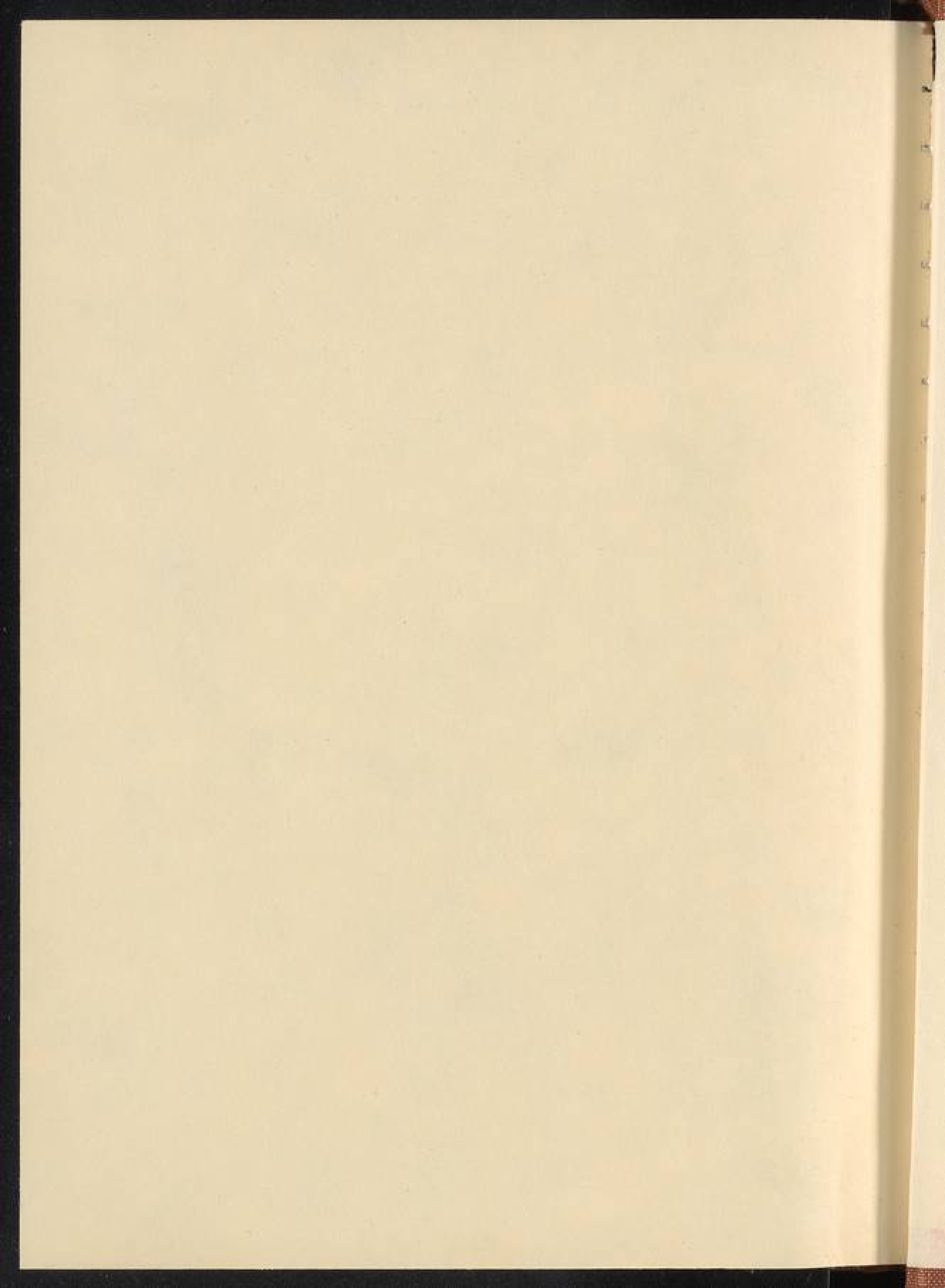
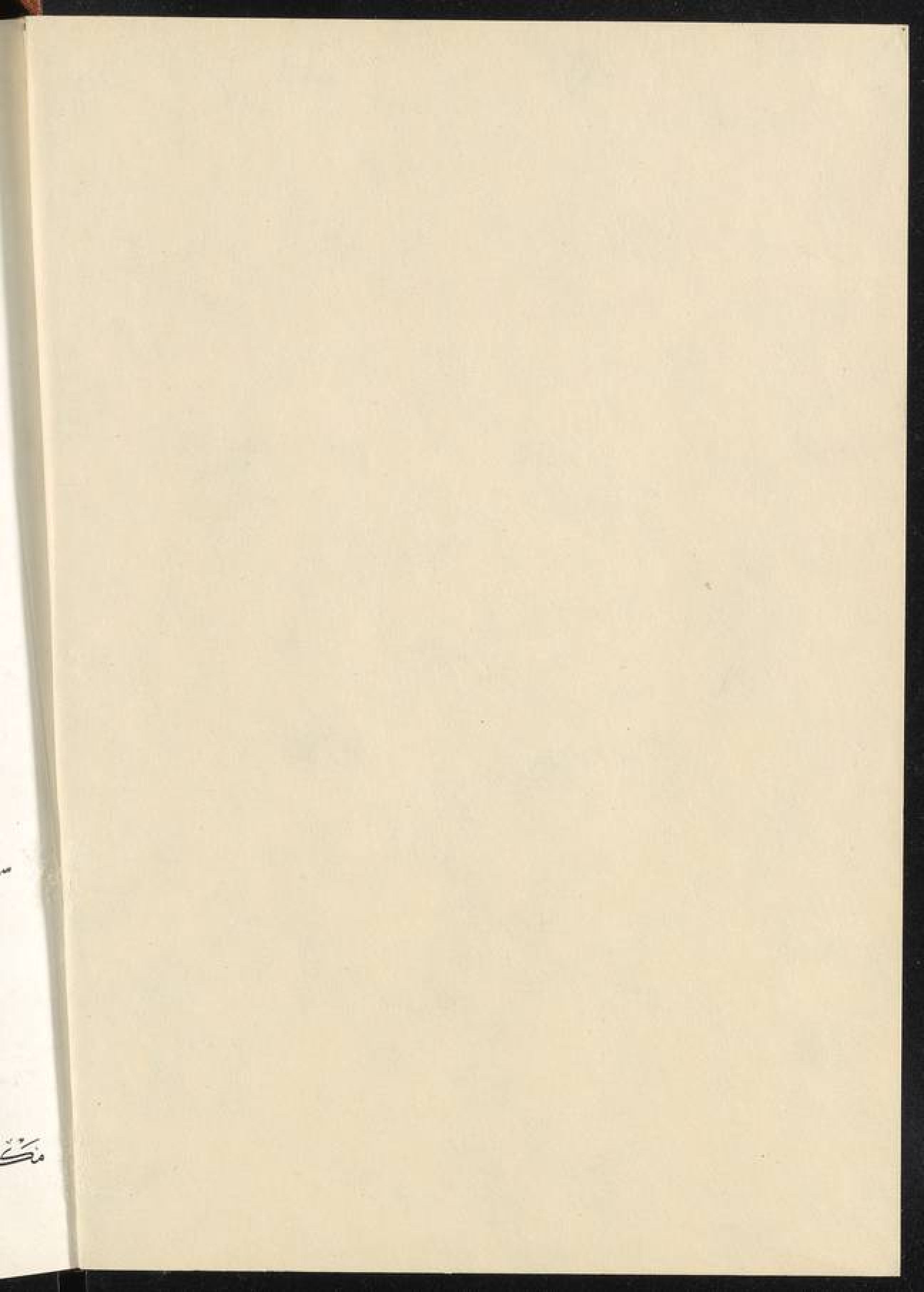



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY





ناجي حسن

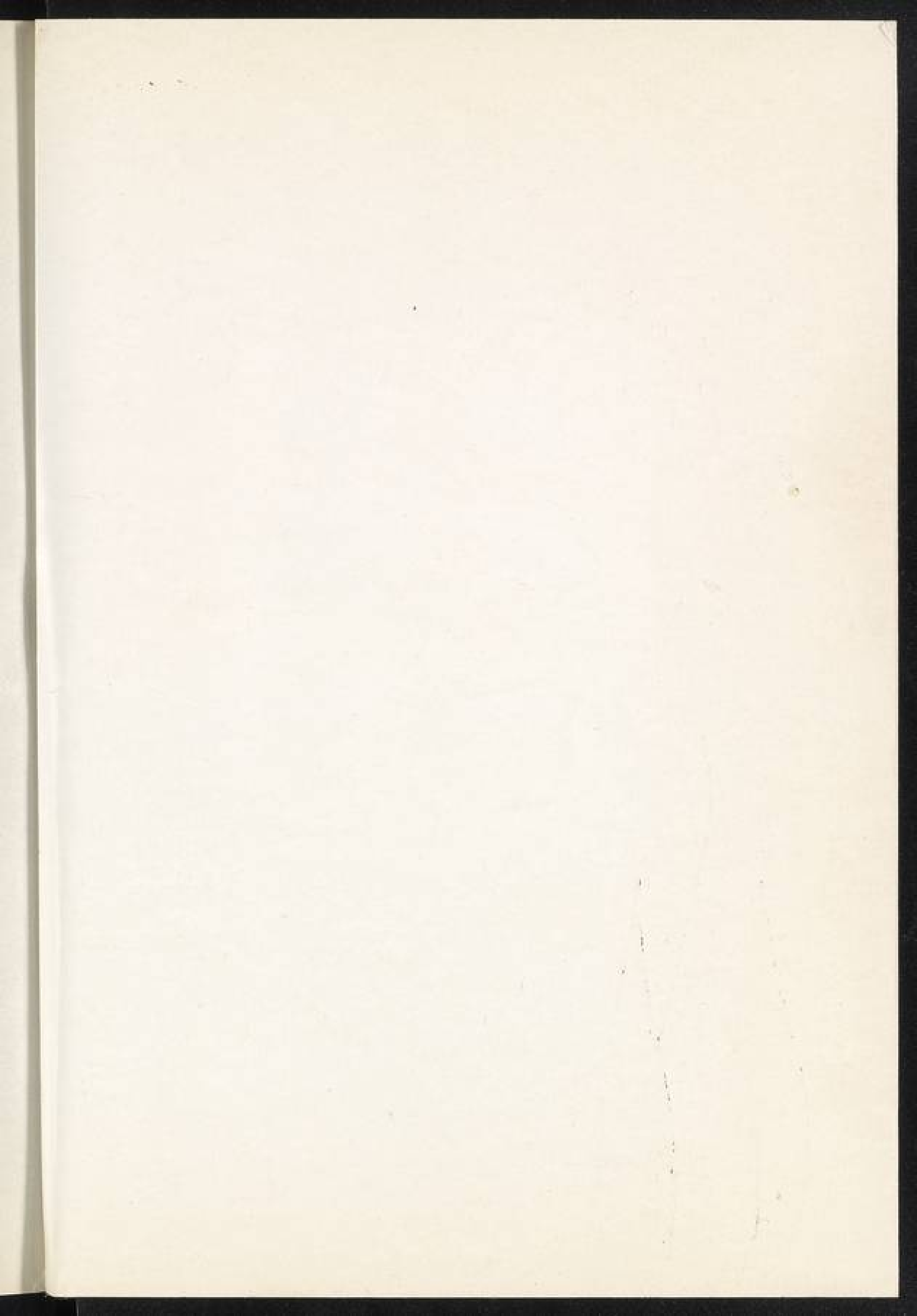
هدية
المكتبة المركزية
جامعة بغداد

ثورة زيد بن علي



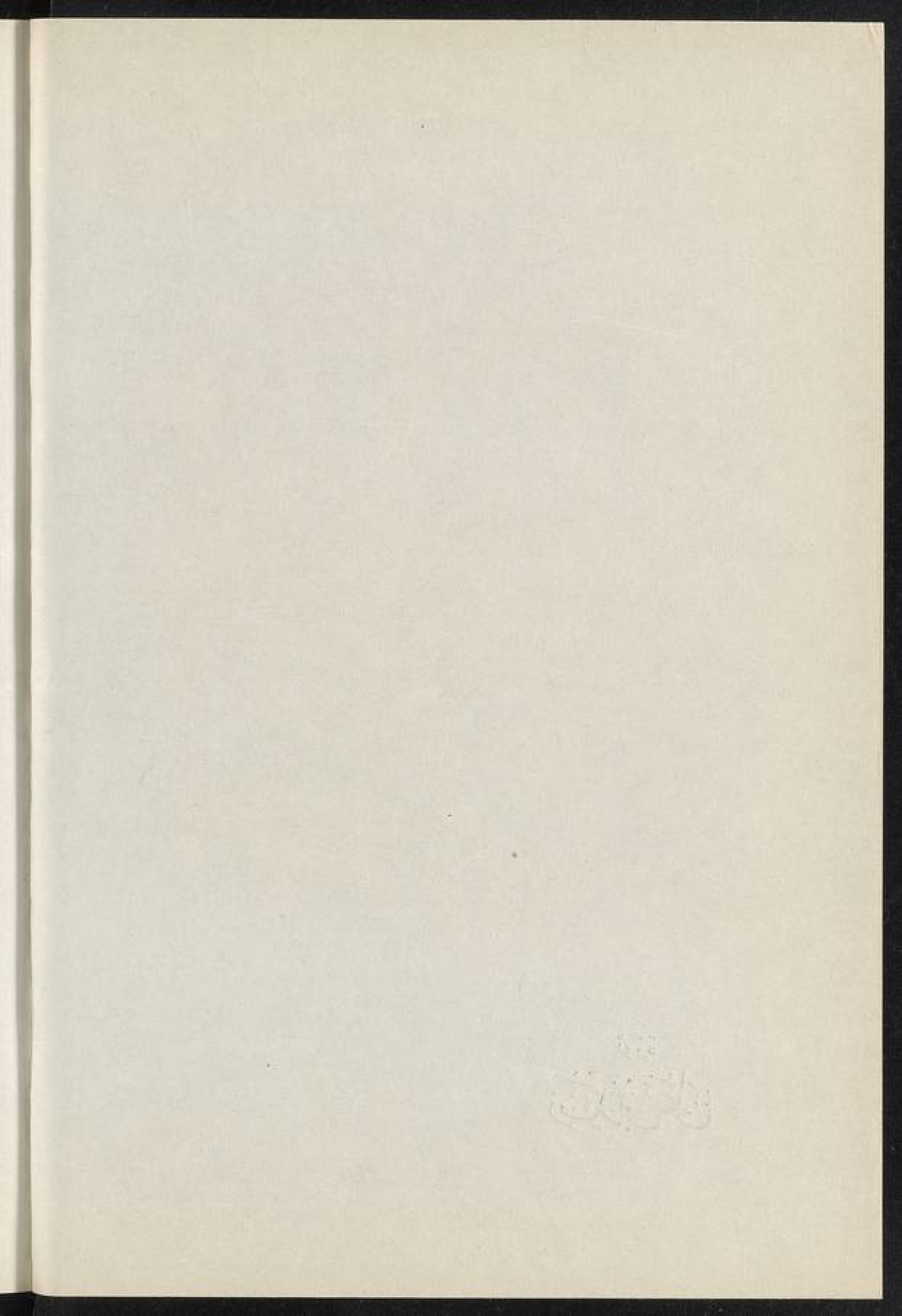
ساعدت جامعة بغداد على نشره

مكتبة النهضة - بغداد



ثورة

زيد بن علي



ناجي حسن

ثورة زيد بن علي

منشورات

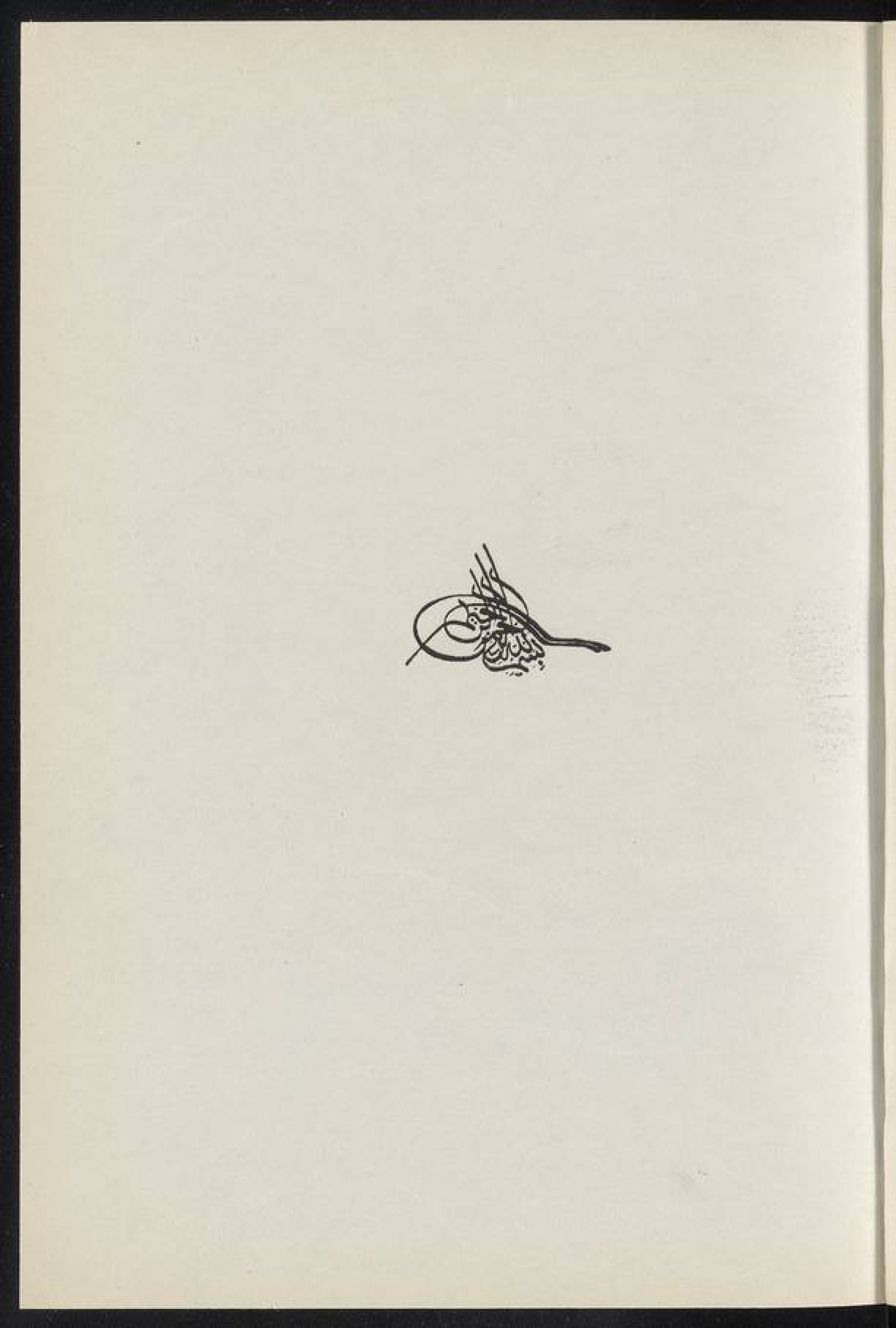
مكتبة النهضة - بغداد

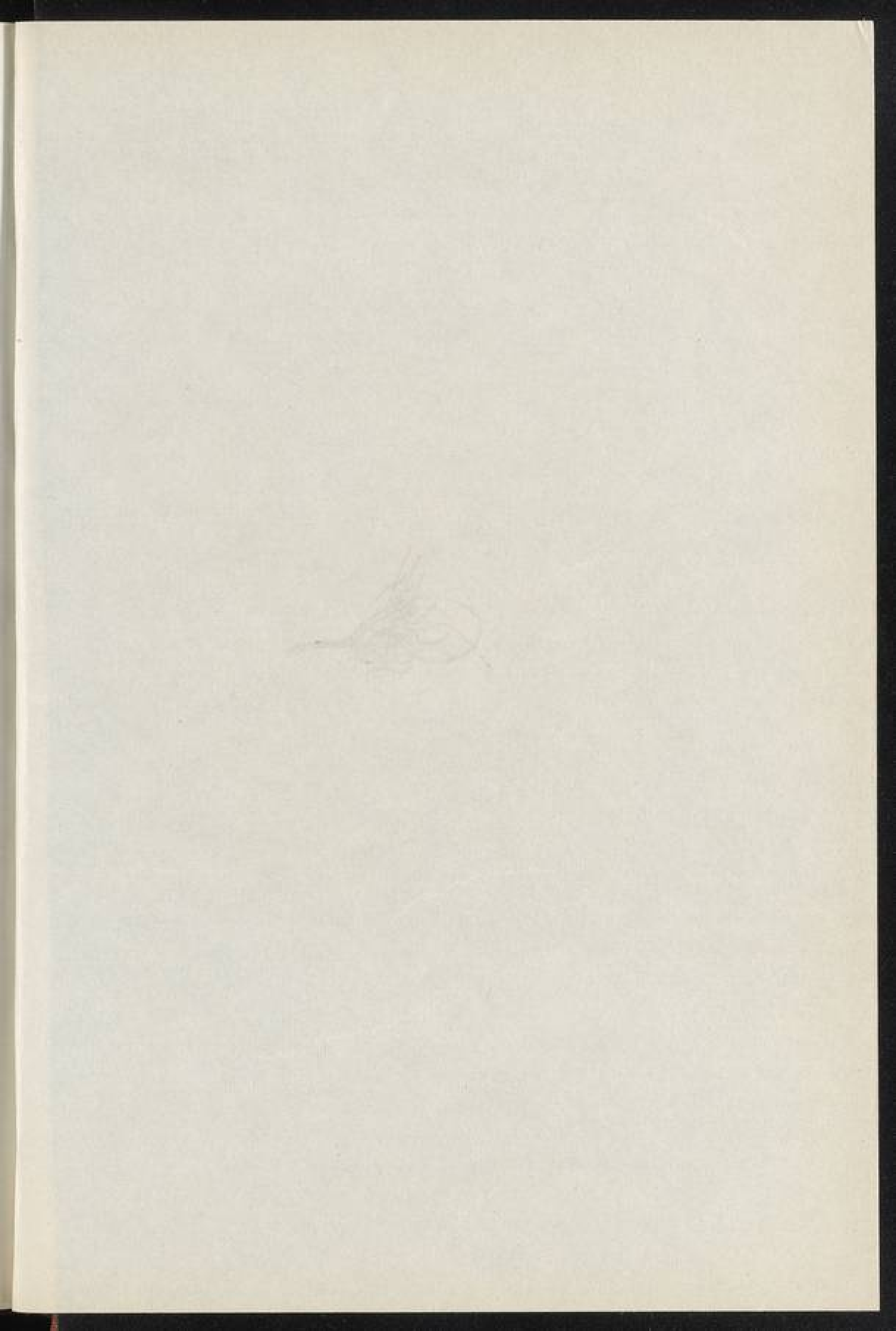
DS
238
.Z3
N3

الطبعة الاولى

١٩٦٦ م - ١٣٨٦ هـ

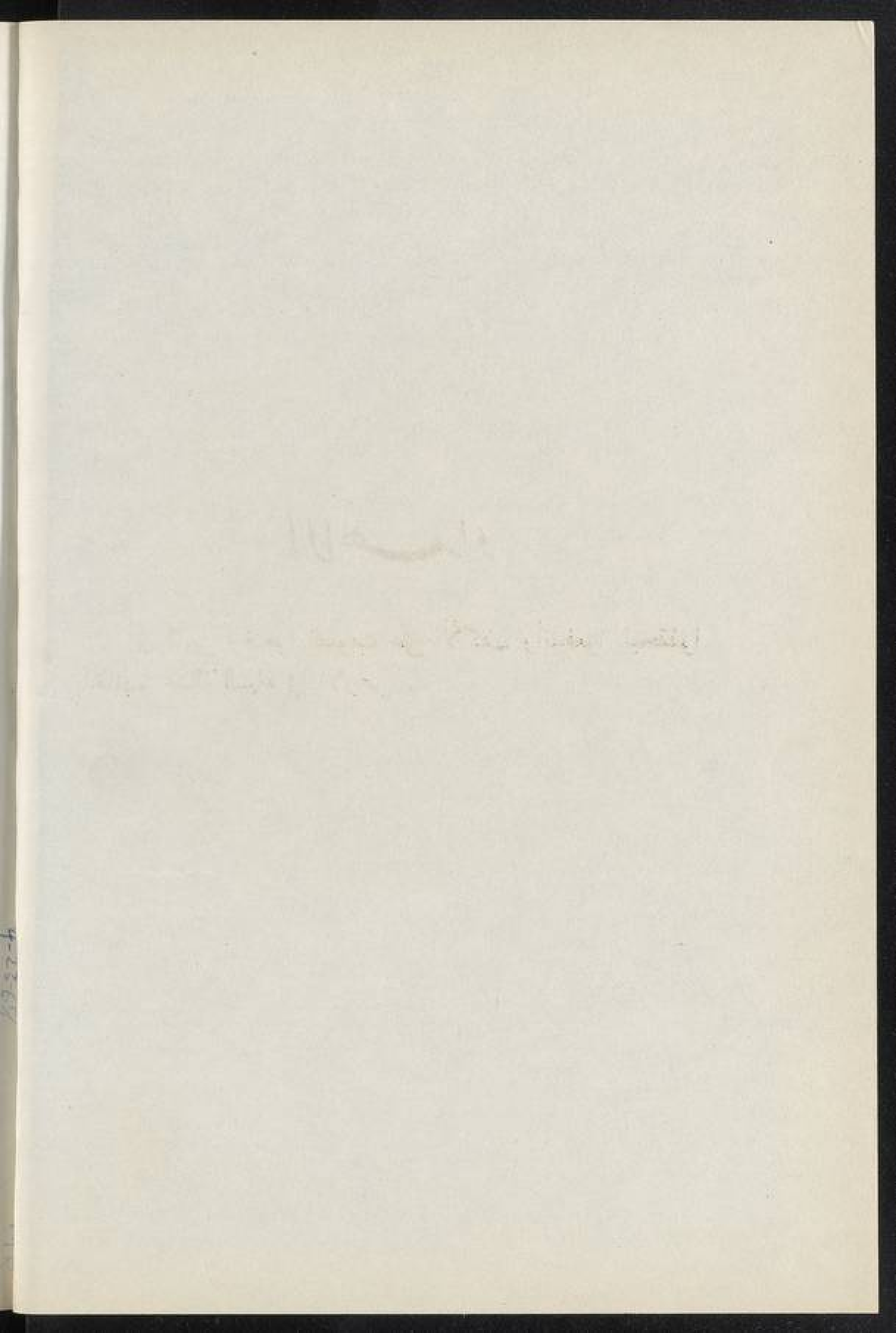
مطبعة الآداب - النجف





الاهداء

الى الذين وضعوا القلوب على الأكف وأندفعوا ليحققوا بدمائهم عدالة السماء في الارض .



تقديم

للاستاذ الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وعلى اصحابه ومن والاه الى يوم الدين وبعد .

فان دراسة احداث التاريخ الاسلامي تقتضي الألمام بناحيتين رئيسيتين كانت بينهما علاقة وثيقة ، وكان بينهما تأثير متبادل ، اعني ناحية الافكار ، وناحية العوامل ذات الصبغة التاريخية بمعناها الخاص . هذا الى ضرورة الاجتهاد في تفسير الاحداث وسير مجراها ، بالرجوع الى بحث المشكلات التي سبقتها ، والمؤثرات التي صاحبتها .

وكثير من احداث التاريخ الاسلامي لايزال محتاجاً الى دراسة في ضوء مراجع لابدّ للباحث من الكشف عنها ومحاولة الاستفادة منها ، رغم انها لاتزال مخطوطة ، الى جانب المراجع التي تتضمن معلومات عن احداث مطوية في ثنايا كلام آخر ، قد لا يتصور الباحث انه يشتمل عليها .

والسيد الفاضل كاتب هذه الدراسة القيمة التي يشرفني ان اعرف به الباحث والقارىء قد عُني بأستقصاء جميع المراجع ، والصبر على قراءتها ، مع طول النظر في النصوص والاجتهاد في تحليلها والاستنباط منها ، وهي بحث علمي في غاية الجودة ، لثورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب - رضي الله عنه -

عالجها من جميع جوانبها بعد تقديم المقدمات التي لابد منها ، مثل دراسة العصر الذي سبق قيام تلك الثورة ، وبما كان فيه من احداث ونظم ومشكلات ، ومثل دراسة حياة زيد بن علي نفسه ، من نواحيها الكثيرة ، ودراسة حالة الدولة الأموية في العصر الذي عاش فيه زيد ، وحدثت فيه ثورته ، كل ذلك في اسلوب علمي رصين بعيد عن التكلف والفضول .

وقد جلّى صاحب هذا البحث تلك الفترة الهامة من تاريخ الاسلام ، ولا احسب ان احدا تناولها بمثل هذه الدراسة التحليلية من قبل ، وخصوصا ان صاحب البحث الم ّ الماماً شاملاً بطريقة ادارة الدولة الأموية ، وبطبيعة التيارات والظروف والافكار والمواقف والاحوال النفسية للشعب . ومما يجعل للبحث قيمة خاصة ، انه بما احتواه من نصوص ، قد وضع امامنا معلومات كثيرة منسقة عن آراء اهل البيت في الامامة ، وعن اهتمامهم باصلاح حال الامة من طريق اصلاح امر الامامة ، ممايكشف للقارىء عن الفرق بين روحهم واغراضهم وبين من اندس عليهم ، او تبنى قضيتهم لمآرب خاصة ، من غير ان يكون غيورا على حق او حريصا على اصلاح .

ومن النواحي الجديرة بالتنويه في هذا البحث ، انه يضع امام القارىء نتائج الثورة ، وما كان لها من آثار في اضعاف الدولة الأموية ، ومساعدة العباسيين على تنظيم حركتهم واعداد العدة لاقامة دولتهم ، هذا الى ان كاتبه الفاضل بين لنا آثار ثورة زيد بن علي في ميدان الفكر والسياسة ، وزود بحثه بدراسة لعلها اول دراسة منظمة كاملة تبين آراء الزيدية في مختلف

المسائل ، كما تعرف القارىء بما كان لزيد من آثار علمية وثقافية .

وسيرى القارىء بنفسه تلك المراجع الكثيرة المتنوعة التي رجع اليها الباحث ، والتي تتضمن المراجع القديمة في تاريخ العقائد والاحداث السياسية ، ومراجع لعلماء محدثين من عرب ومن اوربيين .

وقد استطاع السيد الباحث ، بفضل استقصاء المراجع ، وتأمل النصوص ، مع محاولة النقد والتمحيص ، والتحليل والمقارنة ، والاستدلال ، وحسن التعليل ، ان يخرج بنتائج قيمة هدته اليها عقلية علمية ، وروح موضوعية تستحق كل ثناء .

ولاشك ان القارىء المثقف سيجد في قراءة هذه الرسالة ما وجدته من لذة ، وان العالم المحقق سيجد فيها ثمرة عقل ناشىء متوثب ، وحس صائب في ادراك طبيعة الاحداث والافكار

واني اذ يسرني ان اقدم هذا البحث للقارىء المثقف والباحث المدقق ، اتمنى ان يستفيد المؤلف الفاضل من المادة الغزيرة التي رجع اليها في اخراج دراسات جزئية عن العصر الذي تناوله بالبحث ، وان يمضي في دراسة هذا الجانب في العصور التي جاءت بعد ذلك .

وأسأل الله ان يوفقه لمعرفة الحق وان يجعله من اهله ، وهو ولي التوفيق .

محمد عبد الهادي ابو ريدة

استاذ بكلية الاداب ـ بجامعة عين شمس

القاهرة في شوال سنة ١٣٨٥ فبراير سنة ١٩٦٦

المقدمة

هذا بحث تقدمت به لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد ، عنوانه «ثورة زيد بن علي» ، والذي حملني على اختيار هذا الموضوع ، ان هذه الثورة بما رافقها من ملابسات ، وماترتب عليها من نتائج كانت ذات تأثير مهم في تاريخ العرب والاسلام . ثم انها تصور لنا الأحوال التي كانت عليها الامم الاسلامية آنذاك ، ومواقف الدولة الاموية منها ، والصراع الذي قام بين الفئات المتنازعة على الحكم ، والتضارب بين وجهات نظرها في كثير من الأمور . هذا إلى ان الفترة التي حدثت فيها هذه الثورة ، تمثل شطراً مهماً من تاريخ العراق وصلة سكانه بأهل الشام ، وما نجم عن ذلك كله من أحداث مهمة ظهرت نتائجها فيما بعد . والنصوص التي رجعت اليها في اعداد هذا البحث ، لم تخل من غموض ، في كثير من الأحيان ، وهذا الغموض كان مبعثاً لتضارب الآراء (١) . لهذا كان من الضروري نقد هذه النصوص ومحاولة التوفيق بين مضامينها ، لاستخلاص نتيجة واضحة في هذا الامر . وقد جرني ذلك إلى الاعتماد على القواعد العامة للنقد وسيلة لايجاد مخرج من ذلك التضارب ، ولتكوين فكرة محددة عن الموضوع . وسيلمس القارىء ذلك كله إذا مارجع إلى الكتاب . وكل ماأرجوه ، هو ان أكون قد وفقت في ايضاح بعض المواقف الغامضة في تاريخ العرب والاسلام .

---

(١) أنظر ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٣ .

الفصل الأول

عصر زيد بن علي

مشاكل الأمويين والهاشميين (١)

كان ظهور الإسلام في بني هاشم سبباً في شهرتهم وتفوقهم (٢) وهذا ما دفع ببني أمية - فيما يبدو - الى معارضة الدين الجديد (٣) ذلك انهم أدركوا ان نجاحه سيؤدي الى رفع شأن منافسيهم من بني هاشم (٤) . ومن هنا نشأ صراع عنيف بين بني هاشم ، تقودهم حركة الإسلام ، وبين بني أمية ، ومن ورائهم كثير من زعماء قريش (٥) ، أصحاب المصالح الحيوية في مكة (٦) . غير

(١) لمعرفة بداية هذه المشاكل انظر : البلاذري : أنساب الأشراف ٧٣/١ ، الطبري : تاريخ الامم والملوك ١٨٠/٢ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٧/٢ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣١٥/٣ - ٣١٦ .

(٣) الطبري : تاريخ الامم والملوك ٢٤٣/٢ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ٢٣/٤ .

(٥) ابن هشام : سيرة النبي ٢٥/٢ ، البلاذري : انساب الاشراف ١٤٧/١ .

(٦) الطبرى : ٢٦٧/٢ .

ان الدعوة الإسلامية سارت في طريقها ، تصدّ جميع المحاولات التي اريد بها الكيد لها ، فحارب المسلمون أعداءهم ، وانتصروا عليهم وقضوا على أحلامهم ، وجاء فتح مكة (عام ٨هـ/٦٢٩م) فوضع حداً لذلك الصراع العنيف (١) . وعززت ذلك كله سياسة النبي الرشيدة التي برهنت على قدرة بني هاشم على تناسي الخلافات القديمة حين رفع النبي –ص– من شأن أبي سفيان يوم الفتح قائلا : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن » (٢) . والواقع ان النبي بهذه السياسة المرنة التي ترفعت عن النزعات القبلية الضيقة ، استطاع ان يوحد القبائل كلها ، وفي ضمنهم بني أمية ويقودها الى العمل في بناء الدولة الجديدة (٣) . ولما اختفت شخصية الرسول ظهرت النزعات القبلية بصورة واضحة تهدد كيان الإسلام في الصميم وتوشك ان تودي بالجهود العظيمة التي بذلها الرسول في سبيل توحيد العرب وجمع كلمتهم . وقد أخذت تلك النزعات صورة صراع حول الخلافة (٤) ، وقد استمر هذا الصراع طيلة العصور الإسلامية المختلفة (٥) . وكانت اولى بوادر هذا الصراع حين اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة

(١) ابن هشام : سيرة النبي ٣٥٦/١ .
(٢) المرجع السابق ٢٢/٤ .
(٣) المقريزي : النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ص ٣١ .
(٤) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ٢٠١/٣ ، ٢١٠ .
(٥) الاشعرى : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ٣٩/١ .

عام ١١ هـ واعلنوا أحقيتهم بالخلافة لأنهم نصروا الرسول وأعزوا الإسلام (١) ، وأخضعوا الناس لهذا الدين بأسيافهم (٢) . غير ان تدخل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة الجراح في ذلك الإجتماع حال دون تحقيق رغبة الأنصـــار . وكان لاحتجاج أبي بكر بأحقية المهاجرين في هذا الأمر ، لصلة القربى بينهم وبين الرسول (٣) وما رواه عن النبي من ان الأئمة من قريش (٤) ، أثر عظيم في تخاذل الأنصار وانشقاقهم ، وهكذا تمت بيعة أبي بكر . ولم يفت أبا سفيان أن يخوض غمار هذه الأحداث فأعلن النكير على بيعة أبي بكر وقـــال : « والله اني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف ، فيما ابو بكر من اموركم ، أين المستضعفان ، اين الأذلان علي والعباس (٥) . ثم ذهب الى الامام علي بن أبي طالب وعرض عليه البيعة بالخلافة ، لكن الامام أبى عليه ذلك وزجره (٦) ويظهر ان الامام أدرك ان غرض الرجل إنما كان ايقاع الفتنة بين المسلمين دون النصح لهم (٧) . فلم يتم لأبي سفيان ما أراد . ومضت الامور في طريقها الطبيعي ، ولم يظهر في خلافة أبي بكر

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١/٥ ، الطبرى ٣/٢٠٧ .

(٢) الطبرى ٣/٣٠٩ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١/٦ ، الطبرى ٣/٣٠٨ .

(٤) البلاذرى : انساب الاشراف ١/٥٨٤ .

(٥) الطبرى ٣/٢٠٢ .

(٦) المرجع السابق ٣/٢٠٣ .

(٧) الهاروني : نصرة مذاهب الزيدية ص ١٣ (مخطوطة مصورة في جامعة الدول العربية بالقاهرة برقم ١٩٧ ملل) .

(١١ هـ / ٦٣٢م - ١٣ هـ / ٦٣٤ م) ولا في خلافة عمر بن الخطاب (١٣ هـ / ٦٣٤ م - ٢٣ هـ / ٦٤٣ م) ، أثر ظاهر للنزاع بين بني هاشم وبني أمية ، فالخليفة الأول لا ينتمي الى أحد من الفريقين (١) ، بني أمية وبني هاشم ، وكذلك كان الخليفة الثاني (٢) . ثم ان كلاً منهما استعمل بني أمية في الأعمال المختلفة (٣) ، على النحو الذي سار عليه الرسول (٤) وبعد وفاة عمر بن الخطاب ، ظهرت بوادر الصراع بين بني هاشم وبني أمية ، فرشح بعضهم علياً ورشح آخرون عثمان (٥) ، وكان ذلك سبباً في تصادم العائلتين. وتذكر بعض المصادر ان علياً وقف في هذه المشكلة موقفاً فيه الشيء الكثير من عدم الرضى لانتخاب عثمان بن عفان (٢٣هـ / ٦٤٣م ٣٥ هـ / ٦٥٥ م) وقال لعبد الرحمن بن عوف : « هذا ليس أول يوم تظاهرتم به علينا (٦) » . وقد قوى نفوذ بني أمية في خلافة عثمان فمستشار الخليفة عثمان ، هو مروان بن الحكم (٧) ، ووالي الشام معاوية بن أبي سفيان (٨) (١٨ هـ / ٦٣٩م - ٤٠ هـ / ٦٦٠ م)

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٧، المسعودي : مروج الذهب ٢ / ٣٠٥.

(٢) المعارف ص ١٧٩ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٩ ؛

(٤) المقريزي : النزاع والتخاصم ص ٣١ .

(٥) الطبري ٥/ ٣٧ .

(٦) الطبري ٥/ ٣٧ .

(٧) الطبري ٥/ ١١٢ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٣/ ٦٩ .

(٨) المعارف ص ٣٤٥ ، الطبري ٥/ ٤٢ .

ووالي الكوفة الوليد بن عقبة (١) (٢٦هـ/٦٤٦م - ٣٠هـ/٦٥٠م)
ووالي مصر عبد الله بن أبي سرح (٢) (٢٥هـ/ ٦٤٥م - ٣٥هـ/ ٦٥٥م)
وهذا ما كان متوقعاً من تسلط الأمويين على رقاب الناس ، من جراء ضعف عثمان وولعه بأقاربه (٣) ، والواقع ان عثمان « لان لهم حتى ركب (٤) » . والمعروف عن عثمان انه كان يقول : لو ان بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم (٥) . وظهرت المطامع الكامنة في نفوس بني أمية بعد أن فتح لهم الباب على مصراعيه . قال أبو سفيان في جمع ضم بني أمية في دار عثمان بن عفان : « يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة (٦) » ، ونقلت هذه المقالة الى الأنصار والمهاجرين فكانت سبباً في النقمة على بني أمية وعلى خلافة عثمان (٧) ، وكان طبيعياً أن تثار مسألة اختيار عثمان للخلافة ، وان تذكر أحقية الامام علي بهذا الأمر ، وقد استفز هذا كله بني أمية ، وجعل الاصطدام بينهم وبين بني هاشم أمراً لا مفرّ منه ، وقد

---

(١) الطبرى ٥/٤٧ ، ٥٨ .

(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٤٨ .

(٣) الطبرى ٥/٣٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥/١٧٢ .

(٥) ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة ٣/ ٣٨٠ ، ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ص ٤٦ .

(٦) المسعودى: مروج الذهب ٢/ ٣٥١-٣٥٢ ، النزاع والتخاصم ص ٣٨.

(٧) مروج الذهب ٢/ ٣٥٢ .

عبر المقداد بن الأسود (المتوفى عام ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م) ، وهو أحد أنصار بني هاشم ، عن هذا بقوله . «لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي - ص - يوم بدر (١)» . أحاط بنو أمية بعثمان ووصلوا الى تحقيق مآربهم وأطماعهم باسمه من حيث لا يدري (٢) . فكانوا سبباً مباشراً للمشاكل التي تعرض لها ، والتي أدت الى مقتله . قيل ان أول من اعتدى على عثمان بالمنطق السيء جبلة بن عمر الساعدي ، واتهمه بالتحيز لبطانته من الأمويين وعلى رأسهم مروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن أبي سرح (٣) . ويبدو أن الامام علياً كان في جملة من لاموا عثمان على تقريبه بني أمية ، وتسليطهم على رقاب الناس (٤) . وحدث ان أمر عثمان بن عفان أن يتجافى الناس أبا ذر ، حينما سيّره الى الربذة مطروداً من المدينة بسبب دعوته المعادية لعثمان ، فأبى الامام علي الإنصياع لهذا الأمر ، ورافق أبا ذر الى خارج المدينة وودعه ، ولما علم عثمان بذلك غضب وابدى عن عدم ارتياحه لهذا الموقف الذي وقفه الامام ، فلما سمع الامام بغضب عثمان قال : غضب الخيل على اللجم (٥) . واعقب ذلك مشادة كلامية حامية بين الرجلين كادت تصل الى السباب (٦) . فلما قتل عثمان ، وانتخب الامام علي خليفة للمسلمين وقف

(١) مروج الذهب ٢/٣٥٢ .
(٢) الطبرى ٥/١٣٠ .
(٣) المرجع السابق ٥/١١٤ .
(٤) الطبرى ٥/١١٢ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٣/٦٩ .
(٥) مروج الذهب ٢/٣٥٠ .
(٦) المرجع السابق ٢/٣٥١ .

الأمويون موقفاً معادياً له ، فقد امتنعوا ، في بادىء الأمر عن بيعته (١) ، ووضعوا تبعة الأحداث التي أدت الى مقتل عثمان ، على بني هاشم (٢) . غير ان هذه المعارضة لم يكن لها اثر ظاهر نظراً للتأييد الذي نالته خلافة الامام علي من الناس على اختلاف طبقاتهم (٣) ، فما كان من بني أمية إلا ان استسلموا للأمر الواقع ريثما يجدوا فرصة لتحقيق أغراضهم ، قال الوليد بن عقبة للامام علي معللاً تأخر بيعتهم : « إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك ولكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح (٤) » . غير ان الحقيقة لم تكن كذلك ، فيما يبدو ، فقد كان بنو أمية يتحينون الفرص للإطاحة بخلافة الإمام علي وخرجوا مع الزبير وطلحة عليه ، ولما يمض على بيعته أكثر من خمسة أشهر (٥) . وكان في مقدمة من خرج ، مروان بن الحكم (٦) أما معاوية بن أبي سفيان فانه أعلن امتناعه عن البيعة ، متذرعاً الى ذلك بحجة الطلب بدم الخليفة عثمان (٧) ، ولم يكن الرجل حريصاً على عثمان ولا الثأر له (٨) ، وإنما دفعه الى ذلك مصلحته

---

(١) مروج الذهب ٢/٣٦٢ .

(٢) المرجع السابق ٢/٣٦٣ .

(٣) الطبرى ٥/١٥٣ .

(٤) مروج الذهب ٢/٣٦٠ .

(٥) الطبرى ٥/١٦٨ ، مروج الذهب ٢/٣٦٠ .

(٦) الطبرى ٥/٢٢٠ :

(٧) نصر بن مزاحم : صفين ٣/٢٧٠ :

(٨) الطبرى : ٥/١١٥ :

الخاصة إذ «متى ما استتب الأمر لعلي عزله ولم يستعمله (١)» . هذا الى دافع العصبية القبلية القديمة بين بني أمية وبني هاشم (٢) وقد كان معاوية يطمع في الخلافة منذ أيام عثمان (٣) ، حتى جاءته الفرصة باغتيال عثمان فاهتبلها مطالباً بدم ابن عمه المقتول(٤) وحدث صراع رهيب بين الإمام وبينه شهدت «صفين» أجلى صورة له (٥) . وكان لاغتيال الامام بالكوفة عام ٤٠ هـ ، وصلح الحسن بن علي مع معاوية ، بسبب ظروفه الخاصة (٦) ، أثر في تأسيس الدولة الأموية في الشام .

الأمويون والخلافة :

كانت الطريقة التي وصل بها الأمويون الى الحكم (٧) ، سبباً في نشوء قوى معارضة لهم داخل العالم الإسلامي ، وقد تجلت تلك القوى في معارضين أشداء حملوا لواء الكفاح في وجه

(١) مروج الذهب ٢/٣٦٢ ، ابن الطقطقى : تاريخ الدول الاسلامية ص ٨٩ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢/١١١ ، ١١٧ .

(٣) الطبرى ٥/١٠٠ .

(٤) نصر بن مزاحم : صفين ١/٣٧ .

(٥) المرجع السابق ٤/٢٤١ وما بعدها .

(٦) الطبرى ٥/٩٢ ، مروج الذهب ٣/٩ .

(٧) الدينورى : الاخبار الطوال ص ٢٠٦ ، الطبرى ٦/١٢٨ - ١٢٩ .

الخلافة الجديدة وهؤلاء فريقان : أولها الخوارج ، أصحاب الرأي الحر (١) ، أو الديمقراطيون (٢) كما يسمونهم . وثانيهما الشيعة «أنصار أهل البيت المتحمسون للدفاع عن حقوقهم في الخلافة (٣) ». أما الخوارج فتعد «صفين (٤) » المكان الذي نبعت فيه آراؤهم (٥) وكان ظهورهم فعل عنيف للتحكم الذي أعقب ايقاف القتال في صفين (٦) . وكان صراعهم الطويل ضد الدولة الأموية يحدد مدى طبيعة العـلاقات التي كانت سائدة بين الطـرفين (٧) . والخوارج لم يقصروا الخلافة على أهل البيت ، كما فعل الشيعة (٨) ولم يقصروها على قريش كما فعل أهل السنة (٩) ، ولكنهم رأوا انها من حق كل مسلم يرى الكفاية لها في نفسه ، شريطة ان يكون

---

(١) ارنولد : الخلافة ص ١١٦ .

(٢) فان فلوتن : السيادة العربيـة والشيعة والاسرائيليات في عهـد بني امية ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٨ .

(٤) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطيء الفرات الغربي ، معجم البلدان ٣/٤٠٢ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ١/٨٥ ـ ٨٦ .

(٦) الطبرى ٦/٣٦ .

(٧) بحث فلها وزن هذا الصراع في كتابه الموسوم بالخوارج والشيعة .

(٨) المفيد : أمالي المفيد ص ٢٨ .

(٩) الباقلاني : التمهيـد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضـة والخوارج والمعتزلة ص ١٨١ .

غير منهم في دينه ، حتى أجاز بعضهم امامة المرأة (١) ، وإن كانت قلة نادرة منهم ترى عـدم ضرورة وجود الإمام (٢) . وكانت غالبية الخوارج من القراء (٣) ، ومن أهم مبادئهم رفضهم للإمام الجائر (٤) : ووجوب الخروج عليه (٥) . وهذا ما حملهم على الخروج على معاوية وسائر خلفاء بني أمية الذين جاءوا بعده . أما الشيعة فيرون ان الإمامة ليست من المصالح التي تترك للناس يسيرونها حسب أهوائهم « فليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، ولا يجوز للرسول اغفاله واهماله ، ولا تفويضه الى العامة وارساله (٦) » . فاعتقدوا ان الإمام بعد النبي هو علي بن أبي طـالب بنص من النبي (٧) ، ثم الحسن بن علي ، بنص من أبيه ، ثم الحسين بن علي بنص من الحسن وهكذا (٨) وقـد ترتب على هـذا ان حصل اصطدام عنيف بين السلطة الحاكمة من بني أمية ، وبين الشيعة ، أنصار العلويين « أصحاب

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٦٥ - ٦٦ ، الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٥٨ .

(٢) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ١/١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) فلها وزن : الخوارج والشيعة ص ١٤ .

(٤) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ١/١٨٩ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ١/٨٦ .

(٦) المرجع السابق ١/١٠٩ :

(٧) مقالات الاسلاميين ١/٨٧ .

(٨) القمي : الهداية ١/٧ ، الجوهري : مقتضب الأثر ٢/٣٠ - ٣١

الحق الشرعي » (١) . وتعتبر حركة حجر بن عدي بالكوفة عام ٥١ هـ بداية لذلك الإصطدام (٢) . وكانت دعوة الحسين ابن علي تطبيقاً عملياً لهذا الحق . قال الحسين : « ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم (٣) » وكان استشهاده أول مأساة تعرض لها البيت العلوي في سبيل الصراع من أجل الخلافة . وكان في الوقت نفسه حلقة من سلسلة الصراع الأموي الهاشمي القديم . وقد أصبح دم الحسين بعد ذلك الوثيقة التي استمسك بها كل من حاول تجربة معوله في هدم الكيان الأموي واتخذه الطامعون وسيلة لنيل بغيتهم في الزعامة والسلطان (٤) . وقامت حركة التوابين في العراق فكانت تهدف الى الثأر لمقتل الحسين (٥) ، وكان « الضمير الديني لا العواطف (٦) » هو المحرك والدافع لهذه الحركة . غير ان حركة التوابين هذه فشلت في « عين الوردة (٧) » (عام ٦٥ هـ (٨)) وبذلك انهارت ثورة أخرى منظمة في وجه سلطة الشام . لكن

(١) ارنولد : الخلافة ص ٢٩ .

(٢) الطبري ٦ / ١٤٤ ـ ١٤٥ ؛

(٣) المرجع السابق ٦ / ٢٢٨ .

(٤) المرجع السابق ٧ / ١٥٥ ؛

(٥) المرجع السابق ٧ / ٦٦ .

(٦) فلهاوزن : الخوارج والشيعة ١٨٩ .

(٧) عين الوردة : هي رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة ، معجم البلدان ٣ / ٧٦٤ ؛

(٨) مروج الذهب ٣ / ١٠٣ ؛

فشل حركة الحسين في العراق أحدث رد فعل آخر في الحجاز مهد الإسلام ومركز الصحابة . فقام عبد الله بن الزبير في مكة مؤبناً الحسين ، ومعلناً موقفه من خليفة الشام ، قال : « لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ، أحق بما هم فيه منهم واولى به في الدين والفضل ، أما والله ما كان يبدل بالقرآن غيا ، ولا بالبكاء من خشية الله أحدا ، ولا بالصيام شرب الخمور ، ولا بالمجالس في حلق الذكر بكلاب الصيد (١) » . وكان هذا الموقف من ابن الزبير سبباً في نقمة الناس على بني أمية ومن ثم بايع الناس ابن الزبير خليفة للمسلمين (٢) . كذلك ظهرت بالمدينة مركز الصحابة والقراء ، معارضة قوية ليزيد ، فحاول عثمان ابن محمد بن أبي سفيان والي المدينة آنذاك (٦٢ هـ - ٦٤ هـ) ، ان يداري الأمر فأرسل عبد الله بن حنظلة الغسيل ، وعبد الله ابن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى ، والمنذر بن الزبير ورجالاً من أشراف أهل المدينة الى يزيد بن معاوية ، فلما قدموا عليه أكرمهم وأحسن اليهم ، فأعطى عبد الله بن حنظلة مائة الف درهم وأعطى لكل من أولاده الثمانية عشرة آلاف (٣) وحصل المنذر بن الزبير على مائه الف (٤) . فلما عاد هؤلاء الى المدينة أظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا : « قدمنا من عند رجل ليس له

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٤ / ٤٣ .

(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٧٤ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤ / ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ٤ / ٤٥ .

هدية
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

دين ، يشرب الخمر ، ويعزف بالطنابير ، ويضرب عند القيان (١)»
فلم تكن الأموال الكثيرة لتجدي نفعاً في نفوس المتورعين (٢)
وكان عبد الله بن حنظلة أجرأ هؤلاء القوم في التنديد بالأمويين
قال : «جئتكم من عند رجل لولم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته
بهم ، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت منه عطاءه إلا لأتقوى
به (٣) » . عند ذلك خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ، وبايعوا
عبد الله بن حنظلة وأخرجوا بني أمية من المدينة (٤) . فلما علم
يزيد بذلك جهز حملة قوامها عشرون الف مقاتل بقيادة مسلم
ابن عقبة المري ، وأرسلها الى المدينة (٥) . ولم يكن الاستبسال
المنقطع النظير الذي قاتل به أهل المدينة جنود الشام ليجدي
نفعاً ، وذلك لتفوق أهل الشام في العدد والعدة ، وكانت النتيجة
ضرب الثورة واخضاع أهل المدينة لسلطة الشام . ولما استولى
مسلم بن عقبة على المدينة دعا أهلها الى البيعة ليزيد بن معاوية
على « أنهم خول يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ، فمن امتنع
عن ذلك قتله (٦) » . وقد رافق عملية الاستيلاء على المدينة
فضائح أفزعت المتورعين من الناس (٧) ، وزادت في حراجة

(١) الطبري ٧ / ٤ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ٤ / ٤٥ .
(٣) الطبري ٧ / ٤ .
(٤) المرجع السابق ٧ / ٦ .
(٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١ / ١٩٩ ، الطبري ٧ / ٦ .
(٦) الطبري ٧ / ١٢ .
(٧) المرجع السابق ٨ / ١٥٠ .

مركز الأمويين في الحجاز .

ثم توجهت تلك الحملة التي أخضعت المدينة ، الى مكة حيث كان قد اعتصم بها عبد الله بن الزبير ، كما انضم اليه من استطاع الفرار من المدينة بعد أحداثها المؤلمة (١) . وبينما كان أفراد الحملة يحاصرون مكة ، جاءهم نبأ موت يزيد بن معاوية، فاضطروا الى فك الحصار عنها والرجوع الى الشام .

أما الحالة في بلاد الشام في هذه الفترة فكانت دقيقة جداً فقد تولى الخلافة بعد يزيد ابنه معاوية الثاني (المتوفى عام ٦٥ هـ / ٦٦٤ م) الذي مكث نحو ثلاثة أشهر أو اربعين يوماً تنازل بعدها عن الخلافة (٢) . أما الأسباب التي دفعته الى ذلك الموقف فقيل انه كان رجلا عليلا (٣) . ذا عاطفة دينية ، هاله ما أحدث جيش الشام بمدينة الرسول من فضائح (٤) ، وما كان عليه أهل الورع والتقوى من معارضة للحكم الأموي ، كما عبر عن ذلك في الخطبة التي قال فيها : « إنا قد بلينا بكم وابتليتم بنا ، وان جدي معاوية قد نازع الأمر من كان اولى به (٥) » . وخطب أهل الشام في أواخر ايامه قائلا : « فاني قد ضعفت عن أمركم

(١) ابن الاثير : الكامل ٤ / ٥٣ .

(٢) الطبري ٧ / ١٣ ، ابن الاثير ٤ / ٥٥ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤ / ٣٩١ .

(٤) الامامة والسياسة ١ / ٢٠٢ وما بعدها ، الطبري ٧ / ١٤ ، ابن الاثير ٤ / ٥٠ .

(٥) المقدسي : البدء والتاريخ ٦ / ١٧ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ١١١ .

فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجد ، فابتغيت ستة الشورى فلم أجدهم ، فانتم أولى بأمركم فاختاروا من أحببتم (١) » . وقد اجتمعت اليه بنو امية كي يعهد لأحدهم إلا أنه رفض ذلك (٢) . وقد اغلق داره وتغيب ، وقيل إنه مات مسموماً ، ويذهب آخرون الى انه طعن (٣) . وقد انتشرت الفوضى في بلاد الشام بعد وفاة معاوية هذا (٤) . فقد بايع أهل دمشق الضحاك بن قيس الذي كان يدعو الى ابن الزبير ، وتابعهم على ذلك أهل قنسرين وحمص (٥) . أما الأمويون فكانوا مختلفين فيما بينهم فرأى بعضهم مبايعة مروان ابن الحكم ، وأراد آخرون خالد بن يزيد بن معاوية (٦) . غير ان شعورهم بالخطر المحدق بهم حملهم على الإتحاد وبيعة مروان ابن الحكم (٧) . الذي انتصر على خصومه في « مرج راهط (٨) »

---

(١) الطبري ٧ / ٣٤ ، ابن الاثير ٤ / ٥٥ .

(٢) البياسى : الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ٢ / ٨٦ (مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٣٩٩ تاريخ) .

(٣) الطبري ٧ / ٣٤ ، مروج الذهب ٣ / ٨٢ .

(٤) البياسي : الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ٢ / ٨٢ .

(٥) الطبري ٧ / ٣٤ ، ابن الاثير ٤ / ٦١ .

(٦) ابن الاثير ٤ / ٦٢ .

(٧) المرجع السابق ٤ / ٦٤ .

(٨) مرج راهط : اسم مكان بغوطة دمشق ، معجم البلدان ٢ / ٧٤٤ .

ثم سيطر على الشام (١) . وسار بعد هذا الى مصر فانتزعها من أنصار ابن الزبير (٢) ، وتوفى مروان عام ٦٥ هـ فخلفه ابنه عبد الملك (٦٥ هـ / ٦٨٤ م - ٨٦ هـ / ٧٠٥ م) الذي استمر في استرجاع الأقطار التي خرجت على سلطان الدولة الأموية . فبدأ بالعراق حيث كان مصعب بن الزبير والياً عليه من قبل أخيه عبد الله . ووضعت موقعة « مسكن (٣) » (عام ٧٢ هـ/٦٩١م) حداً للنزاع بين جيش الشام ، يقوده عبد الملك ، وبين جيش العراق يقوده مصعب . وقتل مصعب بن الزبير في هذه المعركة(٤) وبعد ذلك وجه عبد الملك جيشاً الى مكة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي فقضى على عبد الله بن الزبير (٥) ، وبهذا تمت السيطرة على بلاد الحجاز أيضاً وتم توحيد الامبراطورية العربية من جديد . غير ان انتصار عبد الملك على معارضيه بالقوة المسلحة لم يقض على الأسباب التي أدت الى المشاكل التي من أجلها ظهرت المعارضة ، فقد أخذت عوامل التذمر طريقاً خفياً ، وظلت جماهير الناس وفي مقدمتهم أهل الورع والتقوى معارضة للدولة الأموية . هكذا كانت الحالة في الحجاز حيث نشأ زيد ابن علي وتبلورت آراؤه فيها .

---

(١) البلاذري : أنساب الاشراف ٥ / ١٣٦ .

(٢) الطبري ٧ / ٤٠ .

(٣) مسكن : موضع عند نهر دجيل عند دير الجاثليق ، معجم البلدان ٤ / ٥٢٩ .

(٤) الاخبار الطوال ص ٣١٨ - ٣١٩ ، الطبري ٧ / ١٨١ وما بعدها .

(٥) الطبري ٧ / ٢٠٢ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٢٣٥ .

مولد زيد بن علي :

في هذا الجو الصاخب المفعم بالقلق والاضطراب السياسى ولد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة (١) ، وقد اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها ، فابن عساكر (٢) (المتوفى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) يرى انها كانت سنة ٧٨ هـ ، والمحلي (٣) (المتوفى عام ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م) يرى انها سنة ٧٥ هـ . غير انه يمكن ان نصل الى رأي محدد في هذا الأمر ، ذلك أن اغلب الروايات تتفق على انه قتل وله من العمر اثنتان واربعون سنة (٤) كما تتفق على ان مقتله كان في سنة اثنتين وعشرين ومائة (٥) فحينئذ تكون ولادته سنة ٨٠ هـ . والغريب في هذا الباب ان أحداً من المؤرخين لم يذهب الى هذا الرأي . أما أمه فكانت جارية سندية اشتراها المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وأهداها الى علي بن الحسين (٦) ، واسمها حيدان (٧) ، في رواية ابن قتيبة

(١) ابن عساكر : تهذيب ابن عساكر ٦ / ١٥ .

(٢) المرجع السابق ٦ / ١٨ .

(٣) المحلي : الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية ١ / ١٤٣ (مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء برقم ٧١٣) .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٢٤٠ ، الطبري ٨ / ٢٧٢ ، المفيد الارشاد ص ٢٤٨ .

(٥) المعارف ص ٢١٦ ، الطبري ٨ / ٤٧١ .

(٦) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٢٧ .

(٧) المعارف ص ٢١٥ .

وجيداء (١) أو جيدا (٢) في روايه صاحب سر الانساب العلوية ويذكر المحلي ان اسمها جيدا (٣) ، ويشير صاحب غاية الاختصار الى ان اسمها جيداء (٤) . وكان المختار يعتز بتلك الجارية كثيراً فلم يجد أفضل من علي بن الحسين من يستحق أن تهدى اليه (٥) لما امتاز به من شرف النسب ، وسعة العلم والورع والتفقه في الدين (٦) . والرواة يذكرون انه رافقت ولادة زيد تنبؤات ، وأقاويل كثيرة : منهـا ما روي من أن علي بن الحسين أخبر أصحابه عن رؤيا مفادها ان الرسول ـ ص ـ جاءه فأخذ بيده حتى أدخله الجنة ، وزوجه بحوراء ، فواقعها فعلقت به ، فأمره الرسول أن يسمي المولود زيداً ، فما أن حل اليوم التالي حتى أرسل المختار بأم زيد (٧) . فلما ولد زيد أخرجه علي بن الحسين وهو يقول : « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً (٨) » .

---

(١) البخاري : سر السلسلة العلوية ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٣) المحلي : الحدائق الوردية ١ / ٤٥ .

(٤) الحسيني : غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ص ١٠٧ .

(٥) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١٢٧ .

(٦) ابن الجوزي : صفوة الصفوة ٢ / ٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢ / ٣٥٩ .

(٧) الكوفي : تاريخ فرات الكوفي ص ٧١ ، القمي : امالي الصدوق ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

(٨) سورة يوسف آية ١٠٠ .

ومنها ما ذكر انه حين ولد بشّر به والده ، فأخذ مصحفاً ونظر فيه فخرج أول السطر « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة (١) » ، فأطبقه ثم فتحه فخرج « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (٢) » فأطبقه ثم فتحه فخرج « وفضل الله المجاهدين على القاعدين (٣) » فأطبقه وقال : « عزيت عن هذا المولود وانه لمن الشهداء (٤) » وهناك أحاديث نسبت الى الرسول تتضمن نبأ استشهاده (٥) ، وفي بعضها تحديد لمكان ذلك الاستشهاد وهو كناسة الكوفة (٦) ومهما تكن الأسباب التي دعت الى هذه الروايات وانتشارها بين الناس ، فمما لا شك فيه انها تعكس الاتجاهات التي كانت سائدة في البيئة التي نشأ فيها ، ولا شك ايضاً في ان لهذه الروايات أثراً غير قليل في تهيئة الجو الملائم للثورة التي أرادها زيد بن علي .

نشأته :

نشأ زيد بن علي بالمدينة ، وكانت المدينة آنذاك مركزاً لحركة علمية واسعة تستمد جذورها من عصر النبي والصحابة الذين رافقوه في حياته الاولى ، حيث بنى فيها مسجداً لتعليم

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

(٣) سورة النساء آية ٩٥ .

(٤) الصنعاني : الروض النضير ١ / ٥٢ .

(٥) مقاتل الطالبيين ص ١٣٠ .

(٦) المرجع السابق ص ١٣١ .

الناس القرآن والحديث وما اشتملا عليه من سنن وأحكام (١). وكان المسلمون آنذاك يقرأون القرآن ويتفهمون آياته «لايتجاوزونها الى غيرها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل (٢) » . ولما التحق الرسول بالرفيق الأعلى صارت المدينة مركزاً للصحابة والتابعين ، يفسرون فيها القرآن ، ويحلون المشكلات التي تعترض سبيل فهم مضامينه ، ومعرفة أحكامه (٣) ، وكانوا يدلون بآراءهم في هذه السبيل كل حسب نظره واجتهاده الخاص ومبلغه من العلم (٤) . وبهذه الكيفية نمت الحركة في المدينة (٥) ، وساهم فيها الصحابة (٦) والتابعون (٧) ، وكثير من رجال العلم والفقه (٨) حتى النساء (٩) .

وقد بدأ زيد دراسته على يد أبيه علي بن الحسين أولا ثم على يد

---

(١) ابن هشام : سيرة النبي ٢ / ١٢٨ .

(٢) السيوطي : الاتقان فى علوم القرآن ٢ / ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق ٢ / ١٧٦ .

(٤) المرجع السابق ٢ / ١٢٦ .

(٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٩ / ٢٤١ .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣ / ١٤٠ ، ابن القيم : أعلام الموقعين ١ / ٢٨ ، البداية والنهاية ٩ / ٤ .

(٧) الاصفهاني : الاغاني ١ / ٣٣ ، ابن القيم : أعلام الموقعين ١ / ٢١.

(٨) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٨٩ .

(٩) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٤ / ١٨٥٩ ، ١٨٦٠ .

أخيه الباقر (١) . وكان هذان الامامان قد بلغا منزلة رفيعة في العلم والتقوى أما علي بن الحسين (٣٨ هـ / ٦٥٨ م - ٩٥ هـ / ٧١٣ م) فقد بدأ حياته في صدر الدولة الأموية ، وشهد الصراع الذي كان قائماً بين الأحزاب السياسية القائمة آنذاك(٢) . وكان علي بن الحسين منكباً على دراسة علوم عصره ، فدرس الفقه حتى برع فيه « فلم يرَ هاشمياً أفضل ولا أفقه منه (٣) » ، وشغله العلم عن كل ماسواه(٤) . وكان قد بلغ الغاية في العبادة والتدين (٥) وكان الى ذلك جواداً مشهوراً بالكرم والإحسان ، كان يخرج في الليل حاملا الدنانير والدراهم فيوزعها على الفقراء فلما مات فقدوا ذلك فعلموا أن علي بن الحسين كان يفعله (٦) . وكان على جانب كبير من دماثة الخلق . يروى ان رجلا جاءه فأخبره أن فلاناً قد وقع فيك فانطلق معه الى ذلك الرجل وهو يعتقد أن سينتصر لنفسه فلما أتاه قال له : « يا هـذا إن كان ما قلت فيَّ حقاً فغفر الله لي ، وإن كان ما قلت فيَّ باطلا فغفر الله لك (٧) » . وكان ابن شهاب الزهري (المتوفى عام ١٢٤ هـ / ٧٤١ م)

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٢٤٠ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٩ الذهبي : تاريخ الإسلام ٥ / ٧٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥ / ١٥٦ - ١٥٧ ، الطبري ٦ / ٢٦٣ .

(٣) صفوة الصفوة ٢ / ٥٦ ، وفيات الأعيان ٢ / ٣٥٩ .

(٤) الاصفهاني : حلية الأولياء ٣ / ١٣٥ .

(٥) صفوة الصفوة ٢ / ٥٣ .

(٦) حلية الأولياء ٣ / ١٣٦ ، وانظر صفوة الصفوة ٢ / ٥٤ .

(٧) المفيد : الإرشاد ص ٢٣٧ ، صفوة الصفوة ٢ / ٥٢ - ٥٣ .

يقول : كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركناه (١) » .
وكان إذا ذكره يبكي ويقول : « زين العابدين (٢) » . وقد اتخذ
علي بن الحسين موقفاً سلبياً تجاه الأحداث السياسية في عصره ،
فلم يورط نفسه في مشاكلها ، وخاصة احداث المدينة التي وقعت
ضد يزيد بن معاوية عام ٦٣ ﻫ . فقد ترك المدينة وذهب الى
النواحي القريبة منها (٣) ، ولما اخرج أهل المدينة عامل يزيد
وبني أمية من المدينة أثناء تسلم عبد الله بن حنظلة لقيادة الثورة
فيها ، جاء مروان بن الحكم الى عبد الله بن عمر وطلب منه أن
يجد لحريمه مكاناً خشية البطش بهم ، فرفض عبد الله بن عمر
ذلك ، فذهب مروان الى علي بن الحسين وقال له : « ان لي
حرماً وحرمي يكون حرمك » ، فقال علي بن الحسين : « افعل »
فأرسل مروان امرأته عائشة بنت عثمان بن عفان وحرمه الى علي
ابن الحسين فجعلهم في حرمه وخرج بهم الى ينبع (٤) » .
وأبدى علي بن الحسين الكثير من القلق بالنسبة الى ثورة ابن الزبير
قال أبو حمزة الثمالي : « أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن اضربه
فقعدت حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد علي السلام
ودعا لي ، ثم انتهيت الى حائط ، فقال : يا أبا حمزة ترى هذا
الحائط ؟ قلت : بلى يا ابن رسول الله – ص – . قال : فإني
اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه حسن
الثياب ينظر في اتجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ما لي

(١) المفيد : الإرشاد ص ٢٣٥ .

(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٣٥ .

(٣ و٤) ابن الأثير ٤ / ٤٩ .

أراك كئيباً حزيناً ، أعلى الدنيا فهو رزق حاضر ، يأكل منها البر والفاجر ، فقلت : ما عليها أحزن كما تقول ، فقال : ياعلى أعلى الآخرة ؟ هو وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ، قلت : ما على هـذا أحزن انه كما تقول . فقال : وما حزنك يا علي ابن الحسين ؟ قلت : ما أتخوف من فتنـة ابن الزبير (١) ! » .

ويبدو أن هذا الموقف الذي وقفـه علي بن الحسين كان نتيجة أمور عدة : منها قسوة الأحداث التي رافقته في حياته (٢) ومنهـا العنف الذي اتسمت به سياسة الدولة الأموية تجـاه معارضيها (٣) . فرأى علي بن الحسين وهو علوي أن يتريث في الأمر ويحجم عن الانغمار في الشؤون السياسية . غير ان هذا الموقف السلمي تجاه الدولة الأموية لم يحل دون ملاحقتها له بالأذى ، فقد أمر عبد الملك بن مروان بحمله الى الشام مقيداً بالأغلال (٤) وحاول هشام بن عبد الملك الحط من منزلته . ذكر المؤرخون (٥) ان هشام بن عبد الملك حج ، فطاف بالبيت ولم يستطع استلام الحجر لكثرة ازدحام النـاس حوله ، فنصب له منبر فجلس عليه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين فتنحى له الناس ليستلم الحجر ، فغاظ ذلك هشاماً ، فسأله أهل الشام عن هذا

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٣٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥ / ١٥٧ .

(٣) ابن الأثير ٤ / ٣٣ وما بعدها .

(٤) حلية الأولياء ٣ / ١٣٥ .

(٥) الاصفهاني : الأغـاني ١٤ / ٧٦ ، القيرواني : زهر الآداب ١ / ٧١ - ٧٢ ، صفوة الصفوة ٢ / ٥٥ .

الذي هابه الناس فادعى انه لا يعرفه ، وكان يخشى أن يعظم في صدور أهل الشام ، وكان الفرزدق حاضراً فقال : لكني أعرفه . هذا علي بن الحسين ، وانشد قوله :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ان عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وهي قصيدة طويلة أوضح فيها الفرزدق فضل علي بن الحسين ، مما اضطر هشام بن عبد الملك الى حبسه (١) .

وأما محمد بن علي المعروف بالباقر (٥٧ هـ / ٦٧٦ م - ١١٤ هـ ٧٣٢ م) فكان كوالده في العلم والإطلاع والتفقه في الدين ، حتى فاق أهل عصره ولقب بالباقر لتبحره بالعلم (٢) . وحسبك ان شيوخ الاعتزال كانت تلجأ اليه في حلّ ما يعسر عليها معرفته . روى ان عمرو بن عبيد قدم عليه ليمتحنه بالسؤال فقال له : « جعلت فداك ما معنى قوله تعالى : (أو لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) . ما هذا الرتق والفتق ؟ فقال محمد بن علي : كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات فانقطع عمرو (٣) » . ولا يخفى ان عمرو هذا من

(١) الاصفهاني : الأغاني ١٤ / ٧٦ .
(٢) الشعراني : لواقح الأنوار ١ / ٣٢ .
(٣) المفيد : الارشاد ص ٢٤٢ ، الشعراني ، لواقح الأنوار ١ / ٣٢ .

أشهر أئمة الاعتزال ومفكريهم (١) . وهناك روايات عدة تدل على غزارة علم الباقر وعلو كعبه في المعرفة ، فقد سأله أعرابي : «هل رأيت الله حين عبدته ؟ قال : لم أكن لأعبد من لم أره ، قال : كيف رأيته ؟ قال : لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ورأته القلوب بحقائق الإيمان ، لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس ، معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في القضيات ذلك الله لا إله إلا هو ، فقال الأعرابي : الله أعلم حيث يجعل رسالته (٢) وهذا الذي أوضحه الباقر كان تعبيراً عن مبدأ مهم من مبادىء الاعتزال بالنسبة لتوحيد الله (٣) . وكان محمد بن علي واسع الإطلاع بتفاسير القرآن حتى صار حجة في ذلك (٤) . ويصور عبدالله بن عطاء المنزلة التي وصل اليها محمد بن علي بقوله : «ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علماً عند محمد بن علي (٥) » وقد احتذى الباقر سيرة والده ، فلم يخض غمار السياسة ، ولا تطلع الى الملك ، ولولا حرصه على نفع الناس لتركهم ، وابتعد عنهم . وقد عبر عن ذلك بقوله : «بلية الناس علينا عظيمة ، ان دعوناهم لم يستجيبوا ، وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا (٦) » .

---

(١) القيرواني : زهر الآداب ١ / ١١١ ، وفيات الأعيان ٣ / ١٣٠ .

(٢) زهر الآداب ١ / ٨٥ .

(٣) مقالات الإسلاميين ١ / ٢١٨ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ٤ / ٢٣٤ .

(٥) صفوة الصفوة ٢ / ٦٢ .

(٦) المفيد : الارشاد ص ٢٤٦ .

دراسة زيد بن علي :

درس زيد القرآن الكريم ، قال : « خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره ، فما وجدت في طلب الرزق رخصة، وما وجدت من فضل الله إلا العبادة والفقه (١) » . ودرس الحديث فأخذ عن عروة بن الزبير (٢) ، وأبان بن عثمان (٣) ، والحسن البصري (٤) ، وتوثقت علاقته برجال الاعتزال وخالطهم (٥) ولم تمض عليه فترة من الزمن حتى بذّ أقرانه في المعرفة ، « فقد علم القرآن وأوفى فهمه (٦) » . وكانت له فيه قراءة خاصة (٧) ، ودرس الفقه فكان له فيه باع طويل ، فالرجل كما يبدو ، فقيه من الطراز الأول ، قال جعفر بن محمد الصادق : « كان والله أقرأنا لكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله ، وأوصلنا للرحم ، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله (٨) » . وكان

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢ / ٤٣٦ .

(٢) الذهبي : تاريخ الاسلام ٥ / ٧٤ ، العسقلاني : تهذيب التهذيب ٣ / ٤١٩ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٥ .

(٤) الشافعي : تحفة الراغب ص ٢٨ - ٢٩ .

(٥) الملل والنحل ١ / ١١٦ ، الكتبي : فوات الوفيات ١ / ٣٢٥ .

(٦) الصنعاني ، الروض النضير ١ / ٥٢ .

(٧) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل ١ / ٤٣ ، الحميري : الحور العين ص ١٨٧ .

(٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٨ .

لشدة تعلق زيد واهتمامه بأنواع المعارف المختلفة انه استعمل طريقة تدوين المعلومات خشية الضياع والنسيان ، فقد ذكر أبو خالد الواسطي بشأن كتاب مجموع الفقه ، وهو كتاب لزيد ابن علي ، انه قد سمعه من زيد في كتاب معه « قد وطأه وجمعه (١) » . وذكر ابن صفوان ان لزيد كتاباً في القلة والجماعة كان يستعمله في محاججة خصومه ويلجأ اليه (٢) . وبعد أن استكملت ثقافته جلس يحدث في المدينة ، فهرع اليه طلاب الحديث ، فأخذ عنه جعفر بن محمد الصادق ابن أخيه ، ومحمد ابن شهاب الزهري ، وشعبة بن الحجاج (٣) ، وآخرون (٤) .

أما ورع زيد وتدينه فكان مثالا عظيماً لهذه الشخصية الفريدة ، قال عاصم بن عبيد العمري : « رأيته وهو شاب بالمدينة يذكر الله فيغشى عليه حتى يقول القائل ما يرجع الى الدنيا (٥) » . « وكان دائم الصلاة » حتى أثر السجود بوجهه أثراً خفيفاً (٦) لكثرة صلاته طوال الليل (٧) ، وكان هذا دأبه متعبد لله قائم ليله صائم نهاره (٨) زاهد في الدنيا (٩) . وقد

(١) الروض النضير ١ / ٥٨ .
(٢) المرجع السابق ١ /٥٢ .
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/ ١٥ .
(٤) تهذيب التهذيب ٣ / ٣١٩ .
(٥ و٦) مقاتل الطالبيين ص ١٢٨ .
(٧) الراوندي : الخرايج والجرايح ص ٣٢٨ .
(٨) الروض النضير ١ /٥١ .
(٩) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢ / ٤٣٦ .

صاحب هذا الورع حياء منقطع النظير ، فقد أثر عنه القول : « من لم يستح فهو كافر (١) » . وهو دليل بارز على عفة الرجل وجلال قدره ، فقد جعل الحياء بمنزلة الإيمان . وذكر عنه انه « ما توسد القرآن منذ احتلم حتى قتل » (٢) وكان يعرف عند أهل المدينة بأنه حليف القرآن (٣) . وقد امتاز زيد ببراعة فائقة في الخطابة حتى غدا أحد خطباء بني هاشم (٤) . وكان يشبه الإمام علي بن أبي طالب فى فصاحته وبلاغته (٥) . وقد وصفه هشام ابن عبد الملك بقوله : « انه حلو اللسان شديد البيان خليق بتمويه الكلام (٦) » . وقال ابن رشيق القيرواني (٧) (المتوفى عام ٤١٣ هـ ١٠٢٢ م) ، « كانت بين جعفر بن الحسن وزيد منازعة في وصية فكانا إذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما ، فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ، ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد ، فاذا انفصلا وتفرق الناس ، فيكتبون ما قالا ، ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض ، والنادر من الشعر ، والسائر من المثل ، وكانا اعجوبة دهرهما واحدوثة

---

(١) الزمخشري : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ١ / ٢١٥ (مخطوط فى مكتبة الأوقاف ببغداد برقم ٢١١٥) .

(٢) الروض النضير ١ / ٥١ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ١٣٠ .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٩٥٣ .

(٥) المحلي : الحدائق الوردية ١ / ١٤٤ .

(٦) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٩٠ .

(٧) القيرواني : زهر الآداب ١ / ٨٧ .

عصرهما . وغدا زيد علماً من أعـلام الكلام ، حتى عرف عنه ذلك بين الناس ، فكانوا ينثالون عليه ويحاولون احراجه . ونذكر هنا احدى تلك المناظرات التي جرت في الشام ، وذلك حينما دخل عليه نفر من أهل الشام المتقدمين في البلاغة والعلم بالحجج وكلموه في الجماعة والقلة ، وإن الله مع الجماعة ، وان أهل القلة هم أهل البدعة والضلال . فتكلم زيد بكلام ما سمع قرشي ولا عربي أبلغ موعظـة ولا أظهر حجة ، ولا أفصح لهجة ، ثم أخرج كتاباً في الجماعة والقلة ، فلم يذكر كثيراً إلا ذمَّه ، ولم يذكر قليلاً إلا مدحه ، فسكت الشاميون فما يجيبون بقليل ولا كثير (١) . وكان ذا حافظة عجيبـة ، فهو يحفظ الرسالة التي تلقى عليه ثم يعيدها من أولها ويجيب عما ورد فيها من السائل (٢) . وكان فوق كل هـذا صاحب موعظة بليغة ، ذكر ان الزهري قارف ذنباً فاستوحش من الناس وهـام على وجهه ، فقال له زيد : يا زهري ، لقنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أشد عليك من ذنبك ، فقال الزهري : « الله يعلم حيث يضع علمه (٣) » . ولزيد أبيات شعرية متناثرة تعطي صورة لا بأس بها عن مقدرته في النظم ، منها قوله :

لكل أناس مقبر بفنـائهم فهم ينقصون والقبور تزيد
فما أن تزال دار حي قد أخربت وبر بأفنـاء البيوت جـديد
هم جيرة الأحياء أما مزارهم فدانٍ وأما الملتقى فبعيد (٤)

(١) الحدائق الوردية ١ / ١٥٠ ، الروض النضير ١ / ٥٢ .
(٢) الحدائق الوردية ١ / ١٤٩ .
(٣) البيان والتبيين ٣ / ١٦٨ .
(٤) العقد الفريد ٣ / ٢٣٦ .

وله أيضاً (١) :

ومن فضّل الأقوام يوماً برأيه ... فإن علياً فضّلته المناقب
وقول رسول الله والحق قوله ... وإن رغمت منه الانوف الكواذب
بأنك مني يا علي معالناً ... كهارون من موسى أخ لي وصاحب
دعاه ببدر فاستجاب لأمره ... فبادر في ذات الإله يضارب

وله في رثاء أخيه الباقر (٢) :

ثوى باقر العلم في ملحد ... امام الورى طيّب المولد
فمن لي سوى جعفر بعده ... امام الورى الأزهر الأمجد
أبا جعفر الخير أنت الورى ... وأنت المرجّى لبلوى غد

وقال (٣) :

يا موت أنت سلبتني الفا ... قدمته وتركتني خلفا
واحسرتا لا نلتقي أبداً ... حتى نقوم لربنا صفا

ويصف زيد القرآن بقوله : : «واعلموا رحمكم الله ، ان القرآن والعمل به يهدي للتي هي أقوم ، لأن الله شرّفه وكرّمه وعظّمه ، وسماه روحاً ورحمة ، وشفاءاً وهدىً ونوراً ، وقطع منه بمعجزة التأليف أطماع الكائدين ، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ، وجعله متلواً لا يمل ، ومسموعاً لا تمجه الآذان ، وغضاً لا يخلق عنه كثرة التردد ، وعجباً لا تنقضي عجائبه ، ومفيداً لا تنفد فوائده (٤) » . ويلخص أبو طالب

---

(١) فوات الوفيات ١ / ٣٣٦ .

(٢) المازندراني : مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٩٧ .

(٣) الحدائق الوردية ١ / ١٤٧ .

(٤) المرجع السابق ١ / ١٥١ .

ما وصل اليه زيد فيقول : « ومن الواضح الذي لا اشكال فيه ان زيد بن علي يذكر مع المتكلمين ان ذكروا ، ويذكر مع الزهاد إن ذكروا ، ويذكر مع الشجعان وأهل المعرفة بالضبط والسياسية (١) » . وهكذا هيأ زيد نفسه وأعدها من جميع الوجوه التي يجب توفرها في قائد الأمة ، حتى قال عن نفسه : « والله ما خرجت ولا قمت مقامى هذا حتى قرأت القرآن ، وأتقنت الفرائض ، وأحكمت السنة والآداب وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل ، وفهمت الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والخاص والعام ، وما تحتاج اليه الأمة في دينها مما لابد لها منه ، ولا غنى عنه ، واني لعلى بيّنة من ربي (٢) » .

---

(١) الحور العين ص ١٨٦ .

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢ / ٤٤٠ .

الفصل الثاني

ظهور زيد بن علي

تختلف المصادر التي تؤرخ ثورة زيد بن علي في الأسباب التي دفعت به الى الظهور على المسرح السياسي :

١ - ذكر محمد بن عمر الواقدي (١)(١٣٠ هـ / ٧٤٧م - ٢٠٧هـ ٨٢٣ م) في روايته عن عبد الله بن جعفر « أن زيد بن علي دخل على هشام بن عبد الملك فرفع ديناً كثيراً وحوائج ، فلم يقض له هشام حاجته ، وتجهمه ، وأسمعه كلاماً شديداً ، فخرج من عند هشام وهو يأخذ شاربه بيده ويفتله ويقول : ما أحب الحياة أحد إلا ذل ، ثم مضى فكان وجهه الكوفة » .

٢ - وذكر هشام بن الكلبي (٢) (المتوفى عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) في روايته عن أبي مخنف انه قال : « ان اول أمر زيد بن علي ، كان أن يزيد بن خالد القسري ادعى مالاً قبل زيد بن علي ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وداود بن علي بن عبدالله ابن العباس ، وابراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومى .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٢٥ .

(٢) الطبري ٨ / ٢٦٠ .

فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام ، وزيد يومئذ بالرصافة يخاصم بني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في صدقة رسول الله (ص) ومحمد بن عمر يومئذ مع زيد بن علي ، فلما قدمت كتب يوسف بن عمر على هشام بن عبد الملك بعث اليهم فذكر لهم ماكتب به يوسف بن عمر اليه مما ادعى قبلهم يزيد ابن خالد فأنكروا، فقال لهم هشام : فانا باعثون بكم اليه يجمع بينكم وبينهم فسرح بهم إلى الكوفة .

٣ ـ وذكر أبو عبيدة (١) (المتوفى عام ٢١١ هـ/٨٢٦م) .

ان يوسف بن عمر عذب خالد بن عبد الله القسري فادعى خالد انه استودع زيد بن علي ، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش ، مالاً عظيما ، فكتب بذلك إلى هشام ، فكتب هشام إلى خاله ابراهيم بن هشام ، وهو عامله على المدينة يأمره بحملهم اليه ، فدعا ابراهيم بن هشام زيداً وداود فسألهما عما ذكر خالد ، فحلفا ماأودعهما خالد شيئاً ، فحملهما إلى الشام فحلفا بالأيمان الغلاظ ماأودعهما خالد شيئاً قط ، فقال هشام : أنتما عندي أصدق من ابن النصرانية ، فأقدما على يوسف حتى يجمع بينكما وبينه فتكذباه في وجهه .

٤ ـ روى عمر بن شبه (٢)(المتوفي عام ٢٦٢ هـ/٨٧٥م) .

لما قدم زيد بن علي على هشام أعلمه حاجبه بمكانه ، فرقى إلى علية طويلة ، ثم أذن له ، وأمر خادماً أن يتبعه وقال : لايرينك واسمع مايقول ، وكان بادناً ، فوقف في بعضها فقال : والله

(١) الطبري ٨/٢٦١ .

(٢) المرجع السابق ٨/٢٦٣ .

لايحب الدنيا أحد إلا ذل ، فلما صار إلى هشام وقضى حوائجه ثم مضى إلى الكوفة ، ونسى ان يسأل الخادم حتى مضى لذلك أياماً ثم سأله ، فالتفت الأبرش - حاجب هشام - فقال : والله ليأتيك خلعه أول شيء ، فلم يأته أول من ذلك شيء ، وكان كما قال .

٥ - قال عبيد بن جناد (١) وجاءه - يعني زيداً - كتاب هشام بن عبد الملك يأمره بالقدوم عليه ، فقدم ، فقال : الحق بأميرك يوسف . فقال له : نشدتك بالله ياأمير المؤمنين ، فوالله ما آمن ان بعثتني اليه ان لاأجتمع أنا وأنت حيين على ظهر الأرض بعدها ، فقال : الحق بأميرك يوسف كما تؤمر ، فقدم عليه .

٦ - وهناك رواية لم يعرف راويتها تقول : « لم يزل زيد ينازع جعفر بن حسن ثم عبد الله بن جسن من بعده حتى ولى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة فتنازعا ، فذكر ان خالد بن عبد الملك قال لهما : أغدوا علينا فلست لعبد الملك ان لم أفصل بينكما » فلما كان الغد جلس في المسجد واجتمع الناس ، فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاتما ، فذهب عبد الله يتكلم ، فقال زيد : لاتعجل ياأبا محمد أعتق زيد مايملك ان خاصمك إلى خالد ، ثم أقبل على خالد فقال له : ياخالد لقد جمعت ذرية رسول الله (ص) لأمر ماكان يجمعهم عليه أبو بكر وعمر ، قال خالد : أما لهذا السفيه أحد ، فتكلم رجل من الأنصار فقال : ياابن أبي تراب وابن حسين السفيه

---

(١) المرجع السابق ٢٦١/٨ .

أما ترى للوالي عليك حقاً وطاعة . فشخص زيد إلى هشام (١)

هذه أهم الروايات التي تتعلق بظهور زيـد بن علي على المسرح السياسي ، ويبدو من مقارنة بعضها ببعض ان هناك تضاربا في مضامينها ، فالرواية الأولى مثلا تعزو سبب خروج زيد بن علي إلى قدومه على هشام ، ومحاولته الحصول على المال وعدم اجابة هشام لمطالبه وتجهمه في وجهه ، في حين ان بعض الروايات الأخرى لاتشير إلى هذا ، وربما كانت هناك أدلة تجعـل من المتعذر قبولها ، منها ان ابن عساكر ذكر ان زيد بن علي دخل على هشام بن عبد الملك فسلم عليه فلم يجبه هشام . فقال زيد : السلام عليك ياأحول ، فانك ترى نفسك أهلا لهذا الاسم (٢) . فكيف يمكن أن يصدر هذا القول من رجل جاء يستجدي المال من خليفة ، وكان الأجدر بزيد أن يظهر الخضوع والتذلل طمعاً في الحصول على ماسيجود به عليه ، ثم ان المراجع تكاد تجمع على بخل هشام وحرصه الشديد على المال (٣) ، فلا يعقل والحالة هذه ان يطمع فيه علوي كزيد بن علي . هـذا إلى ان الوسط الذي تربى فيه زيد ، والمركز الاجتماعي الذى حصل عليه في المدينة لايساعد على قبول هذا الرأي . ويؤيد هذا ماذكره المدائني (المتوفى عام ٢٢٥ هـ/ ٨٣٩ م) من أن هشاماً كتب في أسفـل الرسالة التي وجهها زيد لمقابلته : إرجع إلى أميرك خالد . فقال زيد : والله لاأرجع إلى خالد أبـداً ، وماأسأل مالاً ، وانما أنا

(١) الطبري ٢٦٢/٨ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٢/٦ :

(٣) الطبري ٢٨٤/٨ ، مروج الذهب ٢٢٢/٣ .

رجل مخاصم (١) أما التضارب الآخر فهو بين الرواية الثانية والثالثة ذلك ان الرواية الثانية تنص على ان يزيد بن خالد القسري هو الذي ادعى المال على زيد بن علي في حين ان الرواية الثالثة تنص على ان خالداً القسري هو الذي ادعى المال المذكور . ومن الواضح ان عامل هشام بن عبد الملك بالكوفة هو خالد القسري (٢) . لا ابنه يزيد ، فالمشكلة اذن بين هشام بن عبد الملك وخالد القسري ولا معنى لإقحام يزيد بن خالد في هذا النزاع ، اللهم إلا ان يقال ان يزيد بن خالد تدخل في الأمر بغية تخليص والده مما صار اليه من العذاب .

أما التضارب الآخر فهو بين الرواية الثانية والرواية الخامسة فقد ذكر في الرواية الثانية ان هشاماً كتب إلى عامله على المدينة ان يسير زيد بن علي ومن معه الى الشام ، في حين ان الرواية الخامسة تنص على ان هشاما هو الذي طلب اشخاص زيد بن علي وحده ولم يكن معه احد . هذا وقد اشتملت الرواية الثالثة على امور متضاربة : فهي تذكر ان هشام بن عبد الملك كتب الى ابراهيم بن هشام والي المدينة بشأن زيد بن علي وجماعته ، وطلب احضارهم الى الشام ثم ارسلهم الى العراق بناءاً على طلب يوسف بن عمر ، في حين ان ذلك غير ممكن ، لأن ابراهيم ابن هشام كان والياً على المدينة لهشام بن عبد الملك بين عام ١٠٦ - ١١٤ هـ (٣) ، بينما وصلت رسالة يوسف بن عمر بشأن

---

(١) الطبري ٨/٢٦٣ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٩٨ ، الطبري ٨/ ١٨٠ .

(٣) الطبري ٨/٢١٧ ، ابن الاثير ٥/٥٤ ، ٧١ ، القلقشندي : صبح الاعشى ٤/٢٩٦ .

زيد ومن معه عام ١٢٠ هـ بعد عزل خالد القسرى (١) . اما الرواية الرابعة فتشتمل على امور متناقضة ، ذلك انها تذكر قضاء حوائج زيد من قبل هشام ، ثم تذكر استياء زيد من تلك المقابلة وخروجه على هشام .

أما الرواية السادسة التى ذكرت ان خالد بن عبد الملك كان والي المدينة اثناء النزاع بين زيد بن على وجعفر بن حسن ، فانها تتضارب والرواية الثالثة التى ذكرت ان النزاع كان في ولاية ابراهيم بن هشام على المدينة .

وهناك اختلاف حول الابيات التى استشهد بها زيد بن علي وهي :

منخرق الخفين يشكو الوجى   تنكبه اطراف مرو حداد
شرده الموت وازرى بـه   كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحة   والموت باق في رقاب العباد

فاليعقوبي (٢) (المتوفى عام ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) يذكر ان زيداً تمثل بها حين امره يوسف بن عمر بمغادرة الكوفة . وفي رواية المسعودي (٣) (المتوفى عام ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) انه تمثل بها عند خروجه من هشام مغاضبا . هذا وابن عساكر (٤) (المتوفى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) يذكر انه حينما خرج زيد بن علي من عند هشام تمثل بالأبيات التالية :

---

(١) الطبري ٨/٢٦٠ ، ابن الاثير ٥/ ٩٠ ، وفيات الاعيان ٢ /٨ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩٢ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ٣/٢١٨ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/٢٣ :

مهلا بنى عمنا عن نحت اثلتنا سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم انا لا نحبكم ولا نلومكم ألا تحبونا
كل امرىء مولع في بغض صاحبه فنحمد الله نقلوكم وتقلونا

كل هذه الامور والاعتبارات تحتم على الباحث مقارنة هذه الروايات والتوفيق بين مضامينها ليمكن الاعتماد عليها أساساً للاحداث التى رافقت ظهور زيد على المسرح السياسى . وقبل البدء بذلك يحسن بنا ان نعالج اموراً ثلاثة هي عماد البحث في هذا الموضوع ، وهي مسألة احقية آل البيت بالخلافة وصلتهم بالامويين ، ومسألة صدقات الرسول ، وتهمة اخذ المال من خالد القسرى .

احقية آل البيت بالخلافة

اما مسألة احقية آل البيت بالخلافة ، وما نشأ عن ذلك من عداء بين العلويين وبني امية ، فنستطيع القول بأن نشأة زيد بن علي بالمدينة والاحداث التي رافقت حياته تدل دلالة واضحة على انه كان ناقماً على الامويين ومتهيئاً للثورة عليهم ، روى انه دخل مسجد الرسول بالمدينة ، فرأى جماعة من قريش فيهم سعد بن ابراهيم (١) ، فقال لهم : أيّ قوم انتم اضعف من اهل الحرة ؟ فقالوا : لا ، فقال لهم : فأنا أشهد ان يزيد ليس شراً من هشام فما لكم (٢) ؟ ويبدو ان موقف زيد هذا كان معروفاً

(١) هو سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المتوفى عام ١٢٥هـ.
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/٢٢ .

للسلطات في دمشق ، فصارت ترى في شخصه الثائر ، خلفاً للحسين بن علي خاصة وانه اظهر الثأر لدم الحسين (١) ، وعرف عنه انه الطالب بأوتار اهل البيت (٢) ، وانتزاع الخلافة من الامويين (٣) ، قال زكريا (٤) : « دخلت على زيد بن علي في المدينة فسمعته يتمثل :

ومن يطلب المال الممنع بالقنا يعش ماجداً أو تخترمه المخارم
متى تجمع القلب الذكي وصارما وانفا حميا تجتنبك المظالم
وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل انا في ذا يال همدان ظالم

وهذا يدل دلالة واضحة على انه كان يطالب بحق قد سلب منه .

ويبدو ان موقف زيد هذا كان قد شاع بين الناس في المدينة ، فاستدعاه الخليفة هشام بن عبد الملك الى الشام ، فذهب اليها ، وهناك جرت مشادة عنيفة بينهما حول هذا الموضوع ، قال هشام : لقد بلغني يازيد انك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هنالك ، وانت ابن امة . قال زيد : انه ليس احد اولى ولا ارفع درجة عند الله من نبي ابتعثه ، وقد كان اسماعيل ابن امه واخوه ابن صريحة ، فاختاره الله عليه واخرج منه خير البشر ، وما على أحد من ذلك اذ كان جده رسول الله وابوه علي بن

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ .
(٢) القمي : امالي الصدوق ص ٣٣٥ .
(٣) ابن الطقطقي : تاريخ الدول الاسلامية ص ١٣٢ .
(٤) مقاتل الطالبيين ص ١٣٢ .

ابي طالب ، ما كان (١) . وقد تطور النقاش بينهما الى ذكر محمد ابن علي ، اخي زيد ، حيث تهجم عليه هشام بقوله : فما يصنع اخوك البقرة؟ فغضب زيد وقال : سماه رسول الله الباقر وتسميه البقرة، لشدّ ما اختلفتما ، لتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا ، فيرد الجنة وترد النار (٢) . فأمر هشام باخراجه (٣) ، وقال : « خذوا بيد هذا الاحمق المائق ، احملوا هذا الخائن الاهوج الى عامله (٤) » . ويذهب المفيد (المتوفى عام ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) الى ان هشاماً قال : لايبيتن هذا في عسكري (٥) . وذكر المحلي ان هشاماً حبس زيداً خمسة اشهر في اثر تلك المقابلة (٦) . اما ابن ابي الحديد (المتوفى عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) فذكر انهم طردوا زيداً الى حدود الشام (٧) ومهما يكن الامر فان زيدا عاد بعد ذلك الى المـــدينة ليواصل هناك ما عزم عليه من قبل ، سيما أنه كانت هناك اتصالات بينه وبين اهل الكوفة للقيام بالثورة (٨) .

هذا مجمل ما ذكرته المصادر التاريخية عن مقابلة زيد لهشام غير ان هذه المصادر لم تحدد السنة التى استدعي فيهـــا زيد الى

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩٠ .

(٢) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/٣١٥ - ٣١٦ .

(٣) الطبري ٨/٢٦٣ .

(٤) شرح نهج البلاغة ١/٣١٦ .

(٥) المفيد : الارشاد ص ٢٤٧ .

(٦) الحدائق الوردية ١/١٤٦ .

(٧) شرح نهج البلاغة ١/٣١٦ .

(٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/٢٢ .

الى الشام ، بعد ما شاع عنه انه يدعو الى خلع الخليفة هشام .لكن قول هشام لزيد : « ما يصنع اخوك البقرة » يدل على ان تلك المقابلة تمت فى حياة محمد بن على الباقر ، ومن المعلوم ان الباقر توفي عام ١١٤ هـ (١) ، اذن فالمقابلة تمت قبل هذا العام .

صدقات الرسول :

ويبدو ان هشاماً أراد أن يتخذ من النزاع بين العلويين حول صدقات الرسول وسيلة للنيل من زيد . وصدقات الرسول هذه تعود إلى عصر النبي (ص) ، فقد أوصى النبي بأن تبقى بعض الأراضى وقفاً على ابنته فاطمة . وهذه الأراضى هي : الدلال ، والعوان ، والحسنى ، والصافية ، ومالأم ابراهيم ، والميثب ، والبرقة (٢) . ويبدو ان هذه الأراضي تقع في المناطق المجاورة للمدينة (٣) . وهي في الأصل من أموال بني النضير في رواية الزهري (٤) . وفي رواية محمد بن كعب انها كانت لمخيريق اليهودي (٥) . وكان مخيريق هذا من بني النضير وحبراً من أحبارهم (٦) ، وقد آمن برسول الله وقاتل مع المسلمين في احد

(١) المفيد : الارشاد ٢ / ٣٨٤ ، المازندراني: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٢١٠
(٢) الطبري : دلائل الامامة ص٤٢ ، الكليني : الأصول من الكافي ٧ / ٤٨
(٣) ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٧١٢ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ج ١ - قسم - ٢ ص ١٨٢ .
(٥) المرجع السابق - ج١ قسم - ٢ ص ١٨٢ .
(٦) المرجع السابق - ج١ قسم ٢ ص ١٨٣ ، فتوح البلدان ص ١٨ .

وقتل فيها (١) ، و كان قد أوصى لرسول الله بهذه الحيطان السبعة(٢) هذه الحيطان التي هي من أموال بني النضير (٣) ، أصبحت خالصة لرسول الله (ص) حيث أقطع بعضها للمسلمين (٤) . ويظهر ان هذه الأموال لم تكن تدخل في موضوع النزاع الذى حدث بين السيدة فاطمة وأبي بكر الصديق ، فقد كان النزاع خاصاً بخيبر وفدك (٥) . وكانت فاطمة قد أوصت بهذه الحيطان عند وفاتها لعلي بن أبي طالب ، وجاء في وصيتها : « هذا ما أوصت فاطمة بنت رسول الله (ص) بحوائطها السبعة ، الحسنى والصافية ، والدلال ، والعوان ، والبرقة ، والميثب ، ومالأم ابراهيم إلى علي بن أبي طالب ومن بعد علي فالى الحسن ، ومن بعد الحسن فالى الحسين ، ومن بعد الحسين فالى الأكبر من ولدي (٦) » فلما توفي الامام علي تولى أمر الصدقات الحسن بن علي (المتوفي عام ٥٠هـ/٧٧٠م) ، ثم تولاها الحسين بن علي . وتولاها بعد ذلك الحسن بن الحسن (المتوفى عام ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) (٧) . وفي زمن الحسن هذا حاول عمر بن علي بن أبي طالب انتزاع ولاية

(١) ابن هشام : سيرة النبي ٣/٣٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات جـ١ قسم - ٢ ص ١٨٢ ، معجم البلدان ٤/٧١٢

(٣) السمهودى : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣/٩٨٩ .

(٤) فتوح البلدان ص ١٨ .

(٥) فتوح البلدان ص ٣١ . دلائل الامامة ص ٣٠ .

(٦) الطبري : دلائل الامامة ص٤٢ ، الكليني : اصول الكافي ٧/٤٨-٤٩ ابن الجوزي تذكرة الخواص ص ٣٢٨ .

(٧) السمهودي : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣/٩٨٨ .

الصـــدقات لنفسه ، ولا نستبعد أن يكون للحجاج بن يوسف الثقفي يداً في تلك المحاولة التى أراد بها احداث الخلاف بين بني علي ، وقد كانوا آنذاك من المعارضين للامويين ، غير ان جهود الحجاج بائت بالفشل لوقوف الحسن بن الحسن موقفاً صلباً ، وتدخل الخليفة عبد الملك بن مروان في الأمر لصالح الحسن (١) بيد ان ذلك لم يثن عمر بن علي من تجديد المحاولة مرة أخرى ، فما ان اعتلى الوليد بن عبد الملك عرش الخلافة (٨٦هـ/٧٠٥م - ٩٧هـ/٧١٤م) حتى قدم عليه في محاولة لتولي أمر الصدقات ، وقال له : اكتب لي في ولايتها (٢) ، فكتب له الوليد :

أنا اذا مالت دواعي الهوى — وأنصت السامع للقائل
واصطرع القوم بألبابهم — نقضي بحكم عادل فاضل
لانجعل الباطل حقاً ولا — نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف ان تسفه أحلامنا — فنحمل الدهر مع الحامل

وأخبره انه لايستطيع ادخاله مع أولاد فاطمة ، فانصرف غاضباً (٣) ، وبعد وفاة الحسن بن الحسن تولى الصدقات زيد ابن الحسن (المتوفى عام ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م) فنازعه أبو هاشم بن محمد بن الحنفية قائلا : « أنا وأنت كفيان ، وقـد جعل علي وصيته في صدقته إلى ذوي الفضل من أكابر ولده ، وأنا أكبر منك وأعلم بالله وبكتابه وسنة رسوله . فلا تحوز هذه المكرمة

---

(١) مصعب الزبيري : نسب قريش ٤٧/٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٦٤/٤ .

(٢) نسب قريش ٢ / ٤٢ .

(٣) نسب قريش ٤٣/٢ .

دوني ، وانما الوصية لعلي لا لفاطمة » ورفع الأمر إلى القضاء (١) فرحل زيد بن الحسن إلى الوليد بن عبد الملك فوشى بأبي هاشم بأن له شيعة في العراق يأتمون به ويحملون صدقاتهم اليه . فحمله إلى الشام وحبسه ثم أفرج عنه لتدخل علي بن الحسين (٢) . فلما جاء سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ / ٧١٤م - ٩٩هـ / ٧١٧م) ، كتب إلى عامله على المدينة : « أما بعد ، فاذا جاءك كتابي هذا فاعزل زيداً عن صدقات رسول الله وادفعها إلى فلان بن فلان من قومه وأعنه على مااستعانك عليه ، والسلام » (٣) . من هذا يظهر ان هذه الصدقات استغلت من قبل بعض الخلفاء الأمويين لاحداث المشاكل بين العلويين كلما سنحت الفرصة إلى ذلك . أما عبد الملك ابن مروان ، والوليد بن عبد الملك ، فلم يظهر منهما مايدل على ميل إلى التدخل في شؤون هذه الصدقات . فلما جاء سليمان بن عبد الملك رأينا السلطة الأموية تحاول التدخل في هذه المشكلة للافادة منها في شق صفوف العلويين . ولما تولى الخلافة عمر ابن عبد العزيز (٩٩ هـ / ٧١٧ م - ١٠١ هـ / ٧١٩ م) حاول أن ينهج نهجاً حسناً أشبه بسلوك الخلفاء الراشدين (٤) ، فسالم العلويين (٥)

---

(١) نبذة من كتاب التاريخ : للمؤلف المجهول ص ٢٧ (نشرة بطرس غريازنوبيج ، موسكو ١٩٦٠) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨-٢٩ .

(٣) المفيد : الارشاد ص ١٧٤ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٢٨ .

(٥) مروج الذهب ٣/١٩٤ .

والخوارج (١) ، الذين كانوا معارضين للدولة الأموية . وكان من جملة ماقام به ، اعادة أمر الصدقات إلى زيد بن الحسن تنفيذاً للوصية التي أوصت بها فاطمة ، فكتب إلى عامل المدينة : « أما بعد فان زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنهم ، فاذا جاءك كتابي هذا فاردد عليه صدقات الرسول (ص) (٢) » . وكانت هذه الصدقات مدعاة لاثارة النزاع بين بني الحسن وبني الحسين ، ذكر جعفر بن محمد الصادق (المتوفى عام ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) ان زيد بن الحسن كان يخاصم والده محمد بن علي ويقول : « انا من ولد الأكبر فقاسمني ميراث رسول الله فارفعه إليّ ، فرفض فخاصمه إلى القاضي (٣) » . وقد استمرت هذه الصدقات تثير المشاكل بينهما حتى جاء زيد بن علي فخاصم أبناء الحسن بن الحسن ، وكان آنذاك جعفر بن الحسن بن الحسن ، فكانا يتبالغان بين يدي القاضي كل غاية ، ثم يقومان فلا يعيدان ماكان بينهما (٤) . وكان الناس يجتمعون لسماع مايدور بينهما من نقاش يستعذبه الحاضرون ، لحسن عبارته ورقة معانيه (٥) . ولما مات جعفر بن الحسن قام عبد الله بن الحسن بن الحسن (المتوفى عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) أخي جعفر مقامه يدافع عن بني الحسن ، وكان زيد بن علي يدافع عن بني

(١) الطبري ٨ / ١٣٢ ، مروج الذهب ٣ / ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) المفيد : الارشاد ص ١٧٤ .

(٣) الراوندي : الخرايج والجرايح ص ٢٣٠ .

(٤) الطبري ٨ / ٢٦٢ .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٣٣٤ .

الحسين . وتنازعا إلى والي المدينة وهو يومئذ خالد بن عبدالملك ابن الحارث (١١٤هـ / ٧٣٢م - ١١٧هـ/٧٣٥ م) فدعا بهما وهو يحب ان يتشاتما . واجتمع الناس في المسجد ، فأراد عبد الله ابن الحسن الكلام ، فقال زيد : «لاتعجل ياأبا محمد ، اعتق زيد مايملك ان خاصمك إلى خالد» . وبذلك أنهى خلافه مع أولاد الحسن بشأن الصدقات ، ويبدو ان زيداً قد أحس بما يدبر له من مشاكل على يد الوالي ، فقال له : «ياخالد لقد جمعت ذرية رسول الله (ص) لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر وعمر» .

فقال خالد : اما لهذا السفيه من احد . فقام على اثر ذلك رجل من الانصار فقال : يا ابن ابي تراب وابن حسين السفيه إما ترى للوالي عليك حقاً ولا طاعة .

قال زيد : اسكت ايها القحطاني ، فانا والله لانجيب مثلك .

قال القحطاني : ولم ترغب عنى ؟ فوالله اني لخير منك ، وابي خير من ابيك ، وامي خير من امك .

فقال زيد : يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب افذهبت الا حساب ؟ فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب احسابهم (١) .

من هذا كله يبدو ان هذه القضية استغلت للنيل من زيد ابن علي والحط من قدره ، واحراج مركزه بالمدينة مما اضطره الى الاتجاه الى الشام ، محاولا عرض القضية على الخليفة هشام غير ان الخليفة رفض مقابلته ، وقال له :

---

(١) الطبري ٨/٢٦٣ ، ابن الأثير ٥/ ٩٢ .

« ارجع الى اميرك » (١) مما لا يدع مجالا للشك ان هناك اتفاقاً مسبقاً بين دمشق والمدينة للقيام بمثل هذه المناورة .

تهمة اخذ المال :

ثم حاول هشام ان ينال من زيد بن على ، فنسب اليه اخذ اموال من خالد بن عبد الله القسرى عامل هشام على الكوفة . وتفصيل ذلك ان خالداً القسرى صار والياً على العراق عام ١٠٥هـ ودامت ولايته حتى عام ١٢٠ هـ (٢) . وكان العراق خلال تلك السنين يتمتع بالهدوء (٣) ، فلم يعكر صفو الأمن سوى حركات بسيطة قام بها الصحارى بن شبيب بن يزيد (٤) ، وبهلول بن عمير الشيباني (٥) ، وهي حركات محدودة قضى عليها بيسر . وكانت عناية خالد شديدة بالحالة الاقتصادية ، التي تدهورت خلال حكم الحجاج الطويل المملوء بالحروب والثورات والفتن (٦) . فقد اصلح الاراضى ، وسد الثقوب (٧) ، وحفر الانهار ، فكثر الانتاج الزراعي ، وزادت الثروة العامة ، وكان خالدا نفسه في

---

(١) الطبري ٨/٢٦٣ .

(٢) الطبري ٨/١٨٠ .

(٣) :

Encyclopaedia of Is lam , Art Kufa , vol . II , p . II06

(٤) الطبري ٨/٢٤٦ - ٢٤٧ ، ابن الأثير ٥/٨٤ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢/٣٨٧ .

(٦) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٤٩ ، ابن الأثير ٥/٩ .

(٧) الطبري ٨/٢٥٠ .

جملة من حصل على ثروة كبيرة خلال تلك السنين حتى بلـغ ايراده في العام الواحد ثلاثة عشر الف الف درهم وقيل عشرون الف الف درهم (١) . وزادت غلة ابنه على عشرة الاف الف(٢) وفي عام ١٢٠ هـ عزل خالد القسرى عن ولاية العراق (٣) . اما الاسباب التي دعت الى عزلـه فيقال انه كانت لهشام ضيـاع واسعة بالعراق ، بموضع يقال له « رستاق الرمان » (٤) . او نهر الرمان ، وكانت هذه الضياع تستثمر ويرسل ايرادها الى الخليفة بدمشق ، وكانت تدر عليه مبلغاً كبيراً من المال (٥) . وكان هناك في العراق اناس يشرفون على ادارتها من قبله (٦) . وفي ولاية خالد القسري نقصت ايرادات تـلك الضياع ، وسبب نقصان تلك الايرادات ان خالداً القسري كان يعرض حاصلات ضياعه في السوق في الوقت الذى تعرض فيه حاصلات الخليفة مما أدى إلى انخفاض أسعارها ، فأغضب ذلك الخليفة ، يدل على هذا كتاب هشام إلى خالد حيث جاء فيه : « لاتبيعن من الغلات

---

(١) الطبري ٨/ ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ابن الأثير ٥/ ٨٧ .

(٢) الطبري ٨/ ٢٥٢ .

(٣) اليعقوبي ٢/ ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٤) ذكر ياقوت قصراً بهذا الاسم ، فقال : قصر الرمان بنواحي واسط القصب التي بكسكر وهو واسط العراق ينسب إليه أبو هاشم يحيي بن دينار الرماني من التابعين ، معجم البلدان ٢/ ٨١٤ .

(٥) الطبري ٨/ ٢٤٩ .

(٦) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٦١ .

شيئا حتى تبـاع غلات امير المؤمنين (١) يضـاف الى ذلك حسد الخليفة لخالد بسبب كثرة الاموال التي استطاع ان يحصل عليها ، وحسد الناس إياه ايضا للسبب نفسه ، فسعى الناس به الى الخليفة واوغروا صدره عليه (٢) .

والواقع ان الذي يمعن في سيرة خالد القسري بالعراق تقف امامه حقائق كثيرة ربما كان لها اثر في عزله : فخالد كان من الذين يجزلون العطاء للناس ، وهذا ما ادى الى كثرة انصـاره ومؤيديـه ، فمن الجائز ان يكون ذلك من جملة ما استوجب غضب الخليفة عليه حسدا منه (٣) . ثم ان ام خالد القسرى كانت نصرانية ، وقد بنى لها كنيسة ، ويقال انه كان للنصارى في عهده شيء من النفوذ مما اغضب المسلمين (٤) فهذه الامور وغيرها هي التي اوجبت عزل خالد عن ولاية العراق عام١٢٠هـ ارسل الخليفة هشام يوسف بن عمر واليـا على العراق بعـد خالد القسرى (٥) ، وجاء يوسف بن عمر الى العراق فزج خالد في السجن وطالبه بأموال ادعى انه بذرها ، وقدرها عشرة الاف ألف درهم (٦) ، وقيل ستة وثلاثون الف الف درهم (٧) ،

---

(١) ابن الاثير ٥/٨٧ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٦١ .

(٣) الاخبار الطوال ص ٣٤٤ .

(٤) الاغاني ١٩/٥٩ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٢/٣٨٧ .

(٦) الاخبار الطوال ص ٣٤٤ .

(٧) اليعقوبي ٢/٣٨٧ .

فلم يستطع خالد القسري ردها فعذبه يوسف بن عمر (١) وقد حاول انصاره جمع هذا المال الا انه رفض ذلك (٢) ، وبينما الحوادث تسير على هذا الشكل نجد يوسف بن عمر يطلب من الخليفة هشام اشخاص زيد بن علي بدعوى انه اخذ اموالا من خالد القسري (٣) ، فاتصل الخليفة هشام بمحمد بن هشام والي مكة والمدينة « ١١٤ هـ - ١٢٥ هـ » وامره بتسيير زيد بن علي فذهب زيد من مكة الى الشام (٤) ، وتمت المقابلة بينه وبين هشام . وقد انكر زيد علاقته بخالد ، والاموال التي اتهم بأخذها منه ، غير ان الخليفة ارغمه على الشخوص الى العراق (٥) فغادر الشام متوجها الى الكوفة حيث جرت مقابلة بينه وبين خالد القسري حضرها يوسف بن عمر ، وفي هذه المقابلة قال يوسف ابن عمر لزيد : « ذكر خالد بن عبد الله القسري ان له عندك ستمائة الف درهم » (٦) ، فأنكر زيد قائلا : « كيف يودعني ما لا وهو يشتم ابائي على منبره » (٧) ، عند ذلك احضر يوسف ابن عمر خالد القسري وجمع بينه وبين زيد (٨) . وقد انكر خالد أن يكون هناك وديعة لدى زيد ، وقال ليوسف بن عمر

---

(١) اليعقوبي ٢/٣٨٨ ، الطبري ٨/٢٦٠ .

(٢) الطبري ٨/٢٥٣ ، الجهشياري ص ٦٣ .

(٣) الطبري ٨/٢٦١ .

(٤) مصعب الزبيري : نسب قريش ٢/٦٠ ،

(٥) اليعقوبي ٢/٣٩٠ ، الطبري ٨/٢٦٠ .

(٦) و (٧) اليعقوبي ٢/٣٩١ ،

(٨) الطبري ٨/٢٦٤ .

« اتريد ان تجمع مع اثمك فيّ اثما في هـذا ، كيف اودعه وانا اشتمه واشتم اباءه » (١) وقال : « مالي عنده قليل ولا كثير »(٢) « وما اردتم باحضاره الاظلمه » (٣) . وذكر ضمرة بن ربيعة ان يوسف بن عمر احضر خالدا وابنه يزيد ، وجمع بينهما وبين زيد (٤) . وهكذا خرج زيد بعد ذلك سالما من هـذه المشكلة التي دبرت له .

زيد في الكوفة

ومهما يكن الامر فان زيد بن علي بقي بالكوفة بعـد ان انتهت المقابلة بينه وبين خالد ، واستقر بها ، واخذ يمهد للثورة على هشام ، وان كانت الروايات في هذا الباب متضاربة : فاليعقوبي يذكر ان يوسف بن عمر قال لزيد : « ان اميرالمؤمنين امرني ان اخرجك من الكوفة ساعة قدومك » قال : فاستريح ثلاثا ثم اخرج ، قال : ما الى ذلك سبيل . قال فيومي هذا ، قال : ولا ساعة واحدة . فأخرجه مع رسل من قبلـه فتمثل بالابيات التالية :

منخرق الخفين يشكو الوجى   تنكره اطراف مرو حـداد
شرده الخوف وازرى بـه   كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت لـه راحة   والموت حتما فى رقاب العباد

(١) ابن الاثير ٥/٩١ .
(٢) الطبري ٨/٢٦١ ، ابن الاثير ٥/٩١ .
(٣) اليعقوبي ٢/٣٩١ .
(٤) تهذيب، تاريخ ابن عساكر ٦/٢٣ .

فلما صار « بالعذيب » (١) انصرفوا وانكفأ زيد راجعا الى الكوفة فاجتمع اليه من بها من الشيعة (٢) .

اما هشام بن الكلبي (٣) فانه ذكر « ان الشيعة جعلت تختلف الى زيد بن علي وتأمره بالخروج ويقولون : انا لنرجو ان يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو امية ، فأقام بالكوفة ، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه ، فيقال : هو ها هنا ، فيبعث اليه ان اشخص ، فيقول : نعم ، ويعتل له بالوجع ، فمكث ما شاء الله ثم سأل عنه ايضاً فقيل له : مقيم بالكوفة بعد لم يبرح فبعث اليه فاستحثه على الشخوص ، فاعتل عليه بأشياء يبتاعها واخبره انه في جهازه ، ورأى جد يوسف في امره فتهيأ ثم شخص حتى اتى القادسية » (٤) . اما ابو عبيدة (٥) فانه ذكر « ان زيد اقام بالكوفة اربعة اشهر او خمسة ، ويوسف يأمره بالخروج ، ويكتب الى عامله على الكوفة ، وهو يومئذ بالحيرة ، يأمره بازعاج زيد ، وزيد يذكر انه ينازع بعض آل طلحة بن عبيدالله فكتب العامل بذلك الى يوسف بن عمر ، فأقره اياما ثم يبلغه

---

(١) العذيب : تقع العذيب على بعد احدى وعشرين ميلا من الكوفة باتجاه الحجاز معجم البلدان ٣/٦٢٦ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩١ .

(٣) الطبري ٨/٢٦٣ وما بعدها .

(٤) القادسية : من اراد ان يخرج من الكوفة الى الحجاز على سمت القبله فأول المنازل القادسية ، وتبعد عن الكوفة بخمسة عشر ميلا (ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٢٥ - ١٢٦ ، ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ٣١١) .

(٥) الطبرى ٨/٢٦٤ - ٢٦٥ .

ان الشيعة تختلف ثم ابلغه اليه ، فكتب اليه : ان اخرجه ولا تؤخره وان ادعى انه ينازع فليجر جراً ، وليوكل من يقوم مقامه فيما يطلب ، وقد بايعه منهم سلمة بن كهيل » .

واما عبيد بن جناد (١) فذكر «ان هشاما كتب الى يوسف ان اشخص زيدا الى بلده ، فانه لا يقيم ببلد غيره فيدعو اهله الا اجابوه ، فأشخصه » .

فلما كان بالثعلبية (٢) او القادسية لحقه المشائيم ، يعني اهل الكوفة ، فردوه وبايعوه . فأتاه سلمة بن كهيل فاستأذن عليه فاذن له ، قال : افتطمع ان يفى لك هؤلاء وقد غدر اولئك بجدك ؟ قال : قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي واعناقهم ، فقال : افتأذن لي ان أخرج ؟ قال : لم ؟ قال: لا آمن ان يحدث في امرك حدث فلا املك نفسي . قال : اذنت لك، فخرج الى اليمامة » .

يظهر من النص الذي اورده اليعقوبي ان زيد بن علي لم يمكث في الكوفة الا يوما واحدا ، وهو اليوم الذي تمت فيه المقابلة بينه وبين خالد القسرى ، في حين ان رواية ابن الكلبي تنص على انه بقي مدة من الزمن ، وان الوالي اخذ يستحثه على الخروج من الكوفة وكان زيد يتعلل بالوجع . غير انه يمكن ترجيح رواية اليعقوبي على رواية ابن الكلبي ، ذلك ان اليعقوبي

---

(١) المرجع السابق ٨/٢٦٥ .

(٢) الثعلبية : مدينة بعد القادسية باتجاه الحجاز (ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ٣١١) .

اتخذ نظرة نقدية الى المصادر التي استقى منها معلوماته (١) ، « فقد رجع الى ما رواه الاشياخ والمتقدمون من العلماء والرواة واصحاب السير والاخبار والتاريخيات » (٢) ففحصها وانتقى « اجمع المقالات والروايات » (٣) . في حين ان ابن الكلبي يتهم بعدم الدقة والنسيان (٤) .

وهناك تضارب بين رواية ابي عبيدة ، ورواية عبيد بن جناد ذلك ان الرواية الاولى تذكر ان سلمة بن كهيل كان احد الذين بايعوا زيدا في الكوفة ، ولم تشر الى رسالة هشام التي بعث بها الى يوسف يأمره فيها باخراج زيد من الكوفة ، في حين ان الرواية الثانية ذكرت ان سلمة بن كهيل حذر زيدا من بيعة اهل الكوفة ، واشارت الى رسالة هشام الى والي الكوفة غير انه يمكن ترجيح الرواية الثانية على الاولى ، ذلك ان بعض مضامينها يؤيد رواية اليعقوبي الخاصة برسالة هشام وما ذكره ابن عساكر من تحذير سلمة بن كهيل لزيد بن علي (٥) واذا حكّمنا المنطق في الفصل بين مضامين الروايات المتضاربة بعضها مع بعض ، فيمكن القول انه من غير المحتمل بقاء زيد في الكوفة بعد ان تمت المقابلة بينه وبين خالد ، ذلك انه لا يعقل ان يطلب الخليفة هشام من واليه يوسف بن عمر اخراج زيد من الكوفة

(١) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٥٢ .

(٢) و (٣) اليعقوبي ٢/٢ .

(٤) ياقوت : ارشاد الاريب ٧/٢٥٠٠ ، العسقلاني : لسان الميزان ٦/١٩٦ - ١٩٧ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/٢٤ .

ويوسف لا ينفذ هذا الامر ، وهو المعروف بعدائه للهاشميين خاصة (١) . لذا فلابد ان يكون زيد بن علي قد خرج مباشرة من الكوفة الى القادسية في اثر تلك المقابلة ، ومن ثم رجع سرا الى الكوفة فبايعه اهلها وبقي فيها ، وان الشيعة لم تضطره الى البيعة ، بل ان الظروف المحيطة به الجأته الى ذلك ، وقد عبر عن شدة استيائه هذا حينما حاول داود بن عمر ان ينهاه عما عزم عليه ، فقال : « يابن عم كم نصبر لهشام » (٢) ومن ثم فانا نرفض دعوى شتروتمان Strothmann القائلة : « ان زيدا كان يخامره الشك في نجاح ما دبر ، وما ان انقضت اربعة اشهر حتى اراد الانسحاب تماما من تنفيذ خطته ، وبلغ القادسية في طريقه الى المدينة عندما استماله الى العودة بعض الشيعة وكانوا قد هرعوا وراءه » (٣) ومن الممكن ان تلقى رواية ابن الكلبي القائلة بمكوثه مدة من الزمن ، وكذلك رواية ابي عبيدة التي حددت ذلك الزمن بأربعة اشهر او خمسة ضوءا على ما ذهبنا اليه ، فان بقاءه هذه المدة في الكوفة يدل على عدم معرفة الوالي بوجوده ، والا لما تركه فيها ، حتى وصله كتاب من الخليفة يؤنبه فيه على عدم علمه بوجود زيد في الكوفة ،

(١) الاخبار الطوال ص ٣٤٤ .

(٢) البلاذري : انساب الاشراف ٣/٢٠١ مخطوطة مصورة في معهد الدراسات الاسلامية العليا ببغداد .

(3) Fncyc Iopaedia of Is Iam , Art Zaid b . AIi , Vot . Iv , P . 1193

وانظر دائرة المعارف الاسلامية المترجمة (يصدرها احمد الشنتاوي وجماعته) ١١/١٢

حيث يدعو ويبايع له (١) وهناك رواية رواها المسعودي (٢) فحواها ان زيدا خرج من الشام الى الكوفة مباشرة حيث بويع له هناك ، هذه الرواية التي اخذها عنه ، كما يبدو ، ابن الاثير حينما ذكر « انه اتى الكوفة من الشام واختفى يبايع الناس » (٣) فهي تدل ايضا على عدم معرفة والي الكوفة به حينما عاد اليها .

التوتر في العراق

اتجه العراق ، منذ ان اتخذ الامام علي الكوفة مقرا له (عام ٣٦ هـ) (٤) اتجاها علويا (٥) ، وكان موقفه من الدولة الاموية موقف المعارض ، ولذلك اسباب : فالعراقيون اخذوا يتمتعون بامتيازات مالية واجتماعية كثيرة في عهد الامام علي (٦) فكان من الطبيعي ان ينظروا الى نقل العاصمة من الكوفة الى دمشق نظرة عدائية . ثم ان هذا الانتقال يجعل من العراق تابعا لا يعتد به ، بعد ان كان متبوعا في كثير من الامور (٧) ولهذا كان الاتجاه العلوي ، في جوهره ، تعبيرا غير مباشر عن استقلال

---

(١) الطبري ٨/٢٧٧ .

(٢) مروج الذهب ٣/٢١٨ .

(٣) ابن الاثير ٥/٩٢ - ٩٣ .

(٤) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ٢/١٠٦ ، الطبري ٥/١٨٤ .

(٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ٤/٢٢٩ ، جولد تسهير : العقيدة والشريعة ص ٢٣٠ .

(٦) الطبري ٥/٢٢٣ .

(٧) فلها وزن : الدولة العربية وسقوطها ص ٥١ - ٥٢ .

العراق (١) . هذا الى أن حرمان العراقيين الذين اشتهروا بالولاء للامام علي ، من اعطياتهم زاد من قوة المعارضة للدولة الاموية في هذا القطر (٢) . وهذه المعارضة كانت بداية لصراع طويل المدى بين العراق والشام طيلة العصر الاموي . وقد استهل هذا الصراع حجر بن عدي (عام ٥١ هـ) حين انكر على والي الكوفة لعن الامام علي بن ابي طالب والبراءة منه (٣) . وكان مصير حجر هذا ان قتل صبرا في الشام هو وجماعة من اصحابه(٤) وقد احدث قتله ضجة عنيفة ، وخاصة في الاوساط الدينية(٥) ذلك لما امتاز به هذا الصحابي من ورع وتقوى وجهاد في سبيل اعلاء كلمة الاسلام (٦) . وهذا هو السبب في ان المسلمين عامة كانوا ينظرون الى حجر واصحابه نظرتهم الى الشهداء (٧) . واعتبرت الكوفة مقتله ذلا جديدا نزل بها . ومن هذا كله يظهر ان السياسة وجدت طريقا الى الدين ، « واصبحت قضية العراق قضية الاسلام » (٨) ، فالله والحق يحاربان القوة ، وحدث

---

(١) المرجع السابق ص ٩٨ .

(٢) الطبري ١٤١/٦ .

(٣) الطبري ١٤١/٦ ، ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٥/٣ .

(٤) الطبري ١٤٤/٦ وما بعدها .

(٥) ابن سعد : الطبقات ١٥٣/٦ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ١٥١/٦ .

(٧) ابن الاثير ٢٠٩/٣ ، فلها وزن : الدولة العربية وسقوطها ص١٠٣ .

(٨) الذهبي : تاريخ الاسلام ٣٠٧/٣ ، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢٩/٣ .

اتحاد بين المقاومة والايمان » (١) ولما كان التشيع هو المعبر عن الاتجاه السياسي المعارض للامويين في العراق (٢) ، فقد سلك الامويون مختلف السبل للقضاء عليه ، فتتبع معاوية الشيعة ونكل بهم ، واتخذ من التجسس وسيلة للحد من فعالياتهم (٣) وحدث انفصال العراق عن الشام (عام ٦٦ هـ) حينما غلب المختار بن ابي عبيد الثقفي على الكوفة (٤) ، معلنا الطلب بثار الحسين ابن علي (٥) ، ويعلل خدابخش ثورة المختار بأنها « نتيجة للتذمر الواسع الانتشار الذي عم المجتمع الاسلامي » (٦) . ثم جاء مصعب بن الزبير ، وهو وان قضى على المختار (٧) (عام ٦٧ هـ) الا انه اكد انفصال العراق عن الشام ، وقد تجرد اهل العراق بقيادة مصعب الى محاربة اهل الشام رغبة منهم في الاحتفاظ بالاستقلال (٨) . وفي خلافة عبد الملك بن مروان اعيد العراق الى حضيرة الشام ، وعين الحجاج بن يوسف الثقفي واليا عليه (٧٥ هـ / ٦٩٤ م - ٩٥ هـ / ٧١٣ م) . وقد خدم الحجاج بني

---

(١) فلها وزن : الدولة العربية وسقوطها ص ٥٢ .

(٢) فلها وزن : الخوارج والشيعة ص ٢٣٨ .

(٣) المقدسي : البدء والتاريخ ٦/٥ .

(٤) الطبري ٧/١٠١ وما بعدها .

(٥) الاخبار الطوال ص ٢٩٩ .

(٦) كريمر : الحضارة الاسلامية ص ٣٧ .

(٧) الطبري ٧/١٢١ .

(٨) فلها وزن : الدولة العربية وسقوطها ص ١٦٠ .

امية بحزم واخلاص (١) ، لكنه كان شديدا قاسيا الى حد بعيد (٢) . وقد اعلن قسوته هذه في اول خطبة واجه بها اهل الكوفة ، حين قال : « . . . . اما والله لالحونكم لحو العود ، ولا عصبنكم عصب السلمة ، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل » (٣) واخذ الحجاج ينفذ تلك القسوة ، فحذف من ديوان العطاء الزيادة التي كان الجند العراقيون قد حصلوا عليها في زمن مصعب بن الزبير (٤) . وكان من الطبيعي ان يلجأ العراقيون الذين استكانوا لتلك القسوة بصورة مؤقتة ، الى الثورة حين يجدون فرصة لها . وحدث ذلك عام ٧٦ هـ ، حين قاد عبدالله ابن الجارود ثورة قوية ضد الحجاج في البصرة ، واستولى على خزائن الاموال ، وسيطر على السلاح (٥) . ومع ان الحجاج استطاع ان يقضي على تلك الثورة بسبب تخاذل الثوار (٦) الا ان روح المقاومة استمرت في العراق . وقد تعمد الحجاج اغضاب الشيعة ، دون ان يقيم وزنا للاعتبارات السياسية ، قال البلاذري : « بينما كان الحجاج يخطب ذات يوم اذ قال : ليقم كل ذي بلاء وغناء فليتكلم ، فقام سنان بن انس النخعي فقال

---

(١) مروج الذهب ٣/٣٠٩

(2) Browne , Literary History Of Persia vol . I , P234

(٣) الطبري ٧/٢١١ .

(٤) المرجع السابق ٧/٢١٤ .

(٥) انساب الاشراف : للمؤلف المجهول (نشرة اهل واردت) ص ٢٨٢

(٦) الطبري ٧/٢١٤ - ٢١٥ .

انا قاتل الحسين بن علي ، فقال الحجاج : بلاء لعمر الله حسن » (١) . هذا وامثاله من المواقف العنيفة البعيدة عن روح السياسة ، جعلت روح المقاومة للدولة الأموية تقوى في العراق ويتسع نطاقها ، ولم تكن الشيعة وحدهم هم المعارضون للدولة الاموية ، فقد كان الخوارج اقوى معارضة منهم ، واشد في ميادين القتال ، فقد ثاروا على الحجاج عام ٧٦ هـ يقودهم صالح بن مسرح ، وكبدوا الحجاج خسائر في الاموال والرجال(٢) ثم قاموا بثورة اخرى بقيادة شبيب بن يزيد الشيباني (٣) ، واحرجوا مركز الحجاج ، حتى اضطر الى طلب النجدة من الشام (٤) . والواقع ان العراقيين على اختلاف اصنافهم كانوا يريدون الخلاص من الحجاج ، فقد ثقل امره على ذوي النفوذ منهم فسأموا شدته ، وتمنوا الخلاص منه (٥) . اما الموالي الذين كان عددهم كثيرا في العراق (٦) ، فانهم لاقوا الامرّين منه ذلك انه سار بهم سيرة سيئة ، فقد نفاهم من المدن والمراكز، وارغمهم على الرجوع الى قراهم ، ونقش على يد كل واحد منهم اسمه واسم قريته (٧) . ومن البديهي ان يقف القراء

---

(١) البلاذري : انساب الاشراف ٥/٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) الطبري ٧/٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) الطبري ٧/٢٢١ .

(٤) المرجع السابق ٧/٢٤٣ .

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٩ .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٨٠ ، الاخبار الطوال ص ٢٩٦ .

(٧) المبرد : الكامل في اللغة والادب والنحو والصرف ١/٤٤٠ .

والفقهاء موقف المعارض من هذه الاعمال التي تتعارض ومبادىء الاسلام (١) ، وهذا ما مهد لثورة عبد الرحمن بن محمد الاشعث (قتل عام ٨٣ هـ / ٧٠٢ م) التي زعزعت حكم الامويين في العراق (٢) ، فقد اظهرت تلك الثورة مدى نقمة العراقيين على حكومة الشام ، حيث كانت المؤن ترد الى الثوار من الكوفة والبصرة باستمرار (٣) ، واستطاع ابن الاشعث ان يحشد اكثر من مائة الف مقاتل في وجه الحجاج في رواية ابي مخنف (٤) وحتى لو فرضنا ان هذا العدد مبالغ فيه ، الا انه يدل دلالة واضحة على اتساع الثورة في العراق آنذاك . وقد شغلت تلك الثورة عبد الملك بن مروان (٥) ، ولم يستطع القضاء عليها الا بعد ان حشد لها اعدادا كبيرة من خيرة جند اهل الشام (٦) ومما زاد في تفاقم الاوضاع انه بعد ان قضي على الثورة شرع الحجاج في التنكيل بالناس وقتلهم وابادتهم . وفي رواية انه قتل عشرة الاف من اهل العراق ممن شاركوا في ثورة ابن الاشعث (٧) . ولا شك ان ثورة ابن الاشعث كانت

---

(١) الطبرى ٨/٢١ .

(٢) المرجع السابق ٨/١٤ـ١٥ ، فلها وزن : الدولة العربية وسقوطها ص ١٩٠ .

(٣) الطبري ٨/١٧ ، ابن الاثير ٤/١٩٥ .

(٤) الطبري ٨/١٥ .

(٥) الاصفهاني : الاغاني ٣/١٠٤ .

(٦) الطبري ٨/١٥ .

(٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/١٠٨ .

محاولة للخلاص من حكم الشام (١) . وفي عام ١٠٢ هـ ثار يزيد ابن المهلب في العراق . وقد بايعه كثيرون من اهل العراق وكان نص بيعته : « تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ومن ابى جاهدناه وجعلنا الله بيننا » (٢) . وفي هذا دلالة صريحة على ان اهل العراق كانوا قد سأموا السياسة القاسية التي اتبعها الحجاج فيهم . ويظهر الصراع بين العراق والشام بصورة اوضح في الخطبة التي القاها يزيد بن المهلب ، بعد ان استولى على واسط ، حيث قال : « يا اهل العراق ، ياهل السبق والسباق ومكارم الأخلاق ، ان اهل الشام في افواههم لقمة دسمة قد زببت لها الاشداق ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدل ، فالبسوا لهم جلود النمور » (٣) . وكان من اثر ذلك ان اندفع الناس الى الثورة ، ويقال ان عددهم بلغ آنذاك مائة وعشرون الف مقاتل (٤) . واستولى ابن المهلب على البصرة (٥) ، وبعث عماله الى الاهواز وفارس وكرمان ، وانضم اليه من اهل الكوفة والجبال خلق كثير (٦) ، حتى اضطر الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ/٧١٩م-١٠٥هـ/٧٢٣م)

---

(١) كريمر : الحضارة الاسلامية ص ٣٨ .

(٢) الطبري ٨/ ١٥٢ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ١/ ٤١٠ .

(٤) الطبري ٨/ ١٥٢ .

(٥) المرجع السابق ٨/ ١٨٦ .

(٦) الطبري ٨/ ١٤٨ ، ١٥٣ .

الى ان يرسل رجالا الى اهل الكوفـــة يسكنونهم ويمنونهم الزيادات ، وفي الوقت نفسه ارسل يزيد بن عبد الملك العباس ابن الوليد على رأس جيش للقضاء على الثورة ، ثم اتبعه بمدد جديدة بقيادة مسلمة بن عبد الملك (المتوفى عام ١٢٠هـ/٧٣٨م) الى ان نجح يزيد في القضـــاء على الثورة (١) . ولا شك ان لانخداع اهل العراق بوعود الامويين ، انهم سيعملون وفق كتاب الله ، كان من جملة الاسباب التي سهلت هزيمتهم (٢) وتبع ذلك استئصال القوى التي شاركت في الثورة (٣) وتولى ادارة العراق بعد فشل الثورة ، القائد مسلمة بن عبد الملك (٤) . غير انه سرعان ما نشب الخلاف بينه وبين يزيد بن عبـــد الملك ، بسبب استحواذ مسلمة على خراج السواد لنفسه (٥) . ولذلك عزل مسلمة عن ولاية العراق ، وعين عمر بن هبيرة (١٠٣-١٠٥ هـ) وقد استجاب عمر هذا لرغبة يزيد بن عبد الملك ، ففرض ضرائب جديدة على العراقيين ، واضر بأهل الخراج ، واعاد السخر والهدايا والنيروز والمهرجان (٦) . وهذا ما جعل العراقيين مستعدين للثورة على الامويين . هذه صورة مجملـــة لحالة العراق في الفترة التي سبقت مجيء زيد بن علي اليه .

(١) الطبري ١٤٨/٨ .
(٢) المرجع السابق ١٥٣/٨ ،
(٣) المرجع السابق ١٦٠/٨ .
(٤) ابن الاثير ٥/٣٦ .
(٥) المرجع السابق ٤٠/٥ .
(٦) اليعقوبي ٣٧٦/٢ .

الكوفة لما قدم زيد

اذا بحثنا في الظروف التي سبقت عزل خالد القسري عن ولاية العراق ، نجـد ان تذمر العراقيين من السلطة الامويـة الحاكمة آنذاك ، كان ظاهرة بارزة شملت معظم سكان العراق في تلك الفترة . وكانت هذه الظاهرة بارزة في صورة واضحة عند اهل الكوفة بوجه خاص . وقد انعكس هـذا التذمر في اقبال الناس على تأييد الدعوات المناهضة للامويين ومساندتها ، وفي طليعتها الدعوة لآل البيت (١) . ويبدو ان خالد القسري وعى هذه الظاهرة ، واستجاب لها ، فأخذ يتقرب من الهاشميين(٢) وان كان بحكم مركزه ، عاملاً من عمال الدولة الاموية يظهر شتم علي بن ابي طالب (٣) ، تمشيا مع السياسة التي سار عليها العمال والولاة في الدولة الاموية . ولا يبعد ان لسلوك خالد هذا اثرا في عزله عن ولاية العراق (٤) . والباحث في احوال العراق في تلك الفترة لا يعدم ان يجد جذورا عميقة لهذا التذمر ، تتصل اتصالا وثيقا بحياة الناس الاقتصادية آنذاك . فعماد الحياة الاقتصادية في العراق آنذاك ، كما هو معلوم ، قائم على الزراعة (٥) وعلى

(١) اليعقوبي ٢/٣٨٣ . الطبري ٨/٢٢٨ . ابن الاثير ٥/٤١ - ٥٠ .

(٢) ابن الاثير ٥/٨٨ .

(٣) ابن الاثير ٥/٨٨ . الذهبي ميزان الاعتدال ١/٢٩٧ .

(٤) ابن الاثير ٥/٨٨ .

(٥) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ١٦٤ ، ٢٥٢ ، قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ص ٣٤٠ .

رخص اسعار الحبوب في الاسواق وقلة اثمانها (١) . فاذا علمنا ان الخليفة هشام بن عبد الملك ، كان قد احتكر مساحات واسعة من الاراضي الزراعية لنفسه (٢) ، وكان يتحكم بأسعار الغلات مما أدى الى ارتفاع أسعار المواد الغذائية، ظهر لنا السبب في تذمر الناس من الغلاء. ولما كان خالد القسري هو الاداة المنفذة لعملية الاستغلال والاحتكار فقد اتجهت نقمة الناس اليه ، ولما كان الخليفة هشام هو المحتكر والمستغل في واقع الامر فقد اضطر خالد ان يصارحهم بالحقيقة ليبرىء ساحة نفسه ، فلما شكوا اليه غلاء الاسعار قال لهم : « زعمتم اني اغلي اسعاركم فعلى من يغليها لعنة الله » (٣) . وهو انما يعني بذلك الخليفة هشام بن عبد الملك . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان خالدا القسري بعد ان برأ نفسه من هذه التهمة ووجهها وجهة الخليفة اخذ يكسب ود الناس ، فأجزل لهم العطاء ، وفتح بابه لكل طارق ، حتى غدا من اجواد العرب وكرمائهم (٤) ، وهو يبتغي بهذا ان يتقي غائلة الايام . وكان من نتيجة ذلك ان اصبحت له منزلة كبيرة في نفوس الناس ، الامر الذي كان يجعله في مركز المستقل عن الخليفة هشام في كثير من الامور . ويؤيد هذا ان عزله تم بشكل يثير الدهشة والاستغراب ، فقد كتم هشام امر هذا العزل ، وقال للوالي

---

(١) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ٦٥ .

(٢) الطبري ٨/ ٢٤٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٢٠٥ .

(٣) ابن الاثير ٥/ ٨٧ .

(٤) العقد الفريد ١/ ٣٠٨ .

الجديد : « اياك ان يعلم بذلك احد » (١) . كما اوصاه بأن يأخذ خالدا القسري وعماله ويعذبهم حتى يشتفي منهم (٢) وكان مركز الامويين في الكوفة ضعيفا جدا ، وكانت الدعاية للهاشميين قوية جدا . يدل على هذا الفقرات التى وردت في الكتاب الذي بعث به هشام بن عبد الملك الى الوالي الجديد ، فقد جاء فيه : « فقد علمت بحال اهل الكوفة في حبهم اهل هذا البيت ووضعهم اياهم في غير موضعهم ، لأنهم افترضوا على انفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوهم علم ما هو كائن » (٣). وجاء فيه ايضا : « فعجل باشخاصه الى الحجاز ولا تخله والمقام قبلك ، فانه ان اعاره القوم اسماعهم فحشاها من لين لفظه وحلاوة منطقه مع ما يدلي به من القرابة برسول الله - ص - وجدهم ميلا اليه » (٤) . فهذه الفقرة الواردة في هذا الكتاب تؤكد ميل الناس الى الهاشميين ، كما تدل في الوقت نفسه على ان زيداً بن علي كان يمتاز بصفات عالية ومقدرة عظيمة تؤهله لاستغلال ذلك التذمر ، وتوجيهه وجهة مناهضة للدولة الاموية ومن الامور الجديرة بالذكر هنا ان الحركات المناوئة للدولة الاموية والاحداث الثورية المناهضة لها لم تكن مقصورة على عامة الناس بل ساهم فيها الاشراف القاطنون في العراق ايضا والسبب في هذا ان الحركات المعارضة للدولة الاموية ، قبل

(١) ابن الاثير ٥/ ٨٧ .

(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٦٢ .

(٣) الطبري ٨/ ٢٦٥ :

(٤) المرجع السابق ٨/ ٢٦٦ .

زيد بن علي ، كانت تعارض مصالحهم الخاصـة ، في الوقت الذي كانت هذه الاحداث تعارض السلطة الحاكمة في دمشق ايضا ، وكان الخليفة الاموي قادرا على حماية مصالحه ومصالح الاشراف والاقطاعيين ، فكان من الطبيعي ان يساندوه في هذا الاتجاه (١) . غير ان الامر تبدل كثيرا في عصر زيد ، فالدولة الأموية ضعفت كثيرا في الفترة التي تولى فيها خـالد القسري ولاية العراق ، والتذمر كاد يشمل جميع مناطق العراق (٢) .

وهذا ما جعل رجال الاقطاع فيه يدركون ان الدولـة الأموية غير قادرة على الاستمرار في البقـاء لحماية مصالحهم ، فاضطروا الى ان يسايروا الاتجاه المناوىء لها . وكان من الطبيعي ان يغيروا موقفهم من الثورات التي تعرض لها العرش الاموي والتي كانوا يقاومونها من قبل . ثم انهم ، نتيجـة للدعايات القوية التي انتشرت انذاك ، ايقنوا ان آل البيت سيصلون الى الحكم عما قريب ورأوا ميل الجماهير لهم ، فأخذوا يتقربون الى الجماهير ليضمنوا مصالحهم . وقد بين الخليفة هشام تلك الامور في كتابه السابق الذي بعث به الى والي الكوفة فقد جاء فيـه : « فادع اليك اشراف المصر واوعدهم العقوبة في الابشار واستصفاء الاموال فان من له عقد او عهد سيبطىء عنه ، ولا يخف معه الا الرعاع واهل السواد ومن تنهضه الحاجة استلذاذاً للفتنة » (٣) ولما كان عدد هؤلاء الاشراف غير قليل ، اوصى هشـام والي

(١) فلهاوزن : الخوارج والشيعة ص ٢١٣ - ٢٢٦ .

(٢) الاخبار الطوال ص ٣٣٤ نبذة من كتاب التاريخ : للمؤلف المجهول ص ٤٤

(٣) الطبري ٨/٢٦٦ .

الكوفة باستعمال السيف لدرء هذا الخطر الجديد (١) ، ذلك ان هذا هو الحل الوحيد للتغلب على هذه الازمة ، ومن الطبيعي ان يكون زيد بن علي ادرك ملائمة الاوضاع في الكوفة لقيام الثورة فقد قال لداود بن علي حينما حاول ان يثنيه عن الاطمئنان الى اهل الكوفة ، ذاكرا له مواقفهم من الامام علي واولاده ، قال له زيد : « ان عليا كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه بأهل الشام ، وان الحسين قاتله يزيد والامر عليه مقبل » (٢) والمفهوم من هذا ان زيدا كان يرى ان الاحوال في العراق مؤاتية للثورة

الدولة الاموية في عهد هشام

كذلك الحال اذا القينا نظرة على الخلافة الاموية والاقطار التي كانت تابعة لها في ذلك العصر ، فانا نجد ان الاوضاع العامة كانت تشجع على قيام الثورات . فقد كشفت الدولة الاموية عن ضعفها حين ظهر الخلفاء بمظهر اللامبالاة بالنسبة للأنصياع الى للدين والاخذ بأحكامه وتعاليمه (٣) . فقد كان الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ) وهو الذي جاء هشام بعده ، مثالا للتهتك مما ادى الى اضاعة هيبة الخلافة ، حتى غدت دار الخلافة مسرحا لاصحاب اللهو والطرب والغناء وكان

---

(١) الطبري ٨/٢٦٦ .

(٢) المرجع السابق ٨/ ٢٦٥ .

(3) Browne , Literary Mistoty Of Perisia Vol . I , P . 231 . Sourdel , Islam , P . 22

الخليفة يخصهم بجزيل العطايا (١) . وكان من تبذل يزيد هـذا انه تولع بحب جارية تدعى سلامة ، كانت من مولدات المدينة (٢) فقد اشتراها يزيد (٣) ، وامر معبد بن وهب (٤) (المتوفى عام ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م) ان يعلمها الغناء (٥) . ويظهر ان منزلة الجواري ارتفعت كثيرا في خلافة يزيد بن عبد الملك ، ذكر ابن عبدربه (٦) (المتوفى ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) « ان جارية كانت عند يزيد بن عبد الملك قد اخذت بمجامع قلبه ، فقال لها ذات يوم : ويحك امالك قرابة او احد يحسن ان اصطنعه او اسدى اليه معروفا ، قالت : ياامير المؤمنين ، اما قرابة فلا ، ولكن في المدينة ثلاث نفر كانوا اصدقاء لمولاتي كنت احب ان ينالهم شيء مما صرت اليه ، فكتب الى عامله بالمدينة في اشخاصهم ، وأن يعطي كل رجل منهم عشرة الاف درهم » . ثم غلبت عليه جارية تدعى حبابة بفضل تدخل ام سعيد العثمانية جدة الخليفة (٧) ، وكانت علاقته بحبابة هذه نموذجا لما كان يهتم به الخلفـــاء الامويون .

---

(١) الاغاني ٤/١٧٠ .

(١) الاغاني ٨/٥ .

(٢) المرجع السابق ٨/٩ .

(٣) معبد : هو فحل المغنين بالمدينـــة ، وكان من احسن الناس غناءً واجودهم صنعة .

(٥) الاغاني ١/١٨ .

(٦) العقد الفريد ٦/٥٤ .

(٧) مروج الذهب ٣/٢٠٧ .

ذكر الاصفهاني (١) (المتوفى ٣٥٦هـ/٩٦٦م) « بينما يزيد وجاريته حبابة ذات يوم على سطح تغنيه بشعر الاحوص قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت وعينيك ما ادري ، قال وقد ذهب من الليل شطره : ابعثوا الى ابن شهاب الزهري فعسى ان يكون عنده علم من ذلك . فأتى الزهري فقرع عليه الباب فخرج مروعا الى يزيد ، قال يزيد : لم ندع الا لخير ، اجلس من يقول هذا الشعر ؟ » ويلخص الجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ /٨٦٨م) حالة هذا الخليفة بقوله : « انه غلب عليه اللهو واستخف بآيين المملكة واذن للندمان في الكلام والضحك والهزل في مجلسه » (٢) . فلما جاء هشام بن عبد الملك من بعده كانت الصورة التي علقت بأذهان الناس عن اوضاع الخلافة مشوبة بالريبة والشكوك ، سيما وأن هشاما كان صاحب شراب (٣) ، حيث جعل له يوما من ايام الاسبوع خاصا لشرابه (٤) . ومهما يكن فالظاهر « ان بني امية لم يكونوا متدينين ولا متظاهرين بالتقوى ، وكانت حياتهم في بلاطهم وبين حاشيتهم لا تحقق من كل الوجوه ما كان ينتظره الاتقياء من رؤساء الدولة الاسلامية من كبت النفس والهوى والابتعاد عن متع هذه الحياة وزينتها » (٥) . وهذا ما حمل علماء الدين واهل الورع والتقوى

---

(١) الاغاني ٤٩/٤ .

(٢) الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ص ٣٠ .

(٣) الاغاني ١٠٠/٦ ، العقد الفريد ٤٥٠/٦ .

(٤) الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ص ١٥٢ .

(٥) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ٨١ .

على مناهضتهم وخاصة اهل مكة والمدينة «الذين كان الامويون ابعد الناس عن الارتياح اليهم » (١) .

ثم ان الصراع القبلي الذي اشتد في تلك الفترة مهد لتلك الثورات ايضا فقد بلغت العصبية القبلية اوجها في عهد يزيدبن عبد الملك ، فلما ثار يزيد بن المهلب واجهه الامويون بالشدة فقضوا عليه وعلى اسرته (٢) ، وهذا ما اثار اليمانية الذين اعتبروا ذلك بمثابة اعلان الحرب عليهم (٣) . والواقع ان الحكم اصبح قيسيا ضد اليمن (٤) . ثم ان الطريقة التي عومل بها آل المهلب كانت شاذة ، فقد جيء بنساء آل المهلب فجبسن في دمشق (٥) ثم عرض للبيع (٦) . وهذا الاجراء الذي اتخذه الامويون تجاه آل المهلب مخالف كل المخالفة للعرف والتقاليد العربية حيث لا يقصد من سبي النساء سوى « الحاق العار لا اغتنام الفداء والمال»(٧) ثم انه مخالف للتقاليد الاسلامية التي لا تجيز استرقاق المسلم للمسلم (٨) . وهكذا ضرب الامويون عرض الحائط خدمة

(١) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ١/٢٠٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ٣/١٧٢ .

(٣) فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ص ٢٥٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٥٩ .

(٥) اليعقوبي ٢/٣٧٣ .

(٦) ابن الاثير ٥/٣٥ .

(٧) المرزوقي : شرح الحماسة ١/٢٣٨ .

(٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٤٧ .

آل المهلب لهم في تثبيت حكمهم (١) ، ولم يجن الامويون من كل ذلك سوى زيادة في الحقد عليهم ظهرت آثارها في حوادث خراسان ضد الدولة الاموية (٢) ، ذلك لما لآل المهلب من منزلة كبيرة في النفوس هناك، ووجود كثير ممن يأتمرون بأمرهم (٣) وكانت لآل المهلب منزلة مرموقة في العراق ايضا ، فقد وصفهم الهمداني (المتوفى ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) بأنهم « احد اربع بيوت ليس بالكوفة مثلها » (٤) . وكان قد انضم الى يزيد بن المهلب في حربه ضد حكام الشام « ربيعة وبقية تميم وقيس » (٥) اضافة الى الازد القبيلة الكبيرة (٦) ، التي ينتمي اليها يزيد بن المهلب وقد ضرب مسلمة بن عبد الملك (المتوفى ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م) القائد الذي قضى على ثورة ابن المهلب ، رقاب عدد غير قليل من الاسرى (٧) ، وكان من نتائج ذلك ان توترت العلاقات بين هذه القبائل وبين الامويين ، وخسرت الدولة الاموية عنصرا مهما كان يمكن الانتفاع به في الملمات . وقد جاء هشام بن عبد الملك عام ١٠٥ هـ ليتربع على عرش قائم على هذه الاضطرابات والازمات والفوضى . فبدلا من ان يتبع سياسة حكيمة في مثل

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٧ ، الاخبار الطوال ص ٢٨٦ .

(٢) الطبرى ٩/٣٨ .

(٣) ابن الاثير ٥/٣٥ .

(٤) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ١٩٠ .

(٥) الطبري ٨/١٤٥ .

(٦) القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص ٩١ .

(٧) الطبري ٨/١٥٦ ، ابن الاثير ٥/٣٤ .

هذه الاحوال الصعبة ، نجد ان الرجل سلك طريقا شائكا ، زاد في تعقيد الامور ، فعزل عمر بن هبيرة القيسي (المتوفى عام ١٠٦هـ / ٧٢٤م) عن ولاية العراق عام ١٠٦ هـ (١) ، وبذلك اصبحت القيسية الى جانب الجماعات المعادية للدولة الاموية . ولما كان هشام بن عبد الملك يبغض اليمانية (٢) ، كان عليه ان يواجه مشكلة خطيرة من هذه الناحية ، من حيث ارتباطه بالقبائل ، هذا في العراق . اما في بقية اطراف المملكة الاسلامية ، فقد اخذت الامور تسير من سيء الى اسوء ، فقد كانت خراسان مثالا صارخا للاوضاع الشاذة التي سببتها الاحن والاحقاد القبلية فكان الصراع بين تميم وربيعة على اشده ، ثم دخلت الازد هذا الميدان ، فصار الصراع بين مضر (قيس وتميم) وبين اليمن (الازد وربيعة) (٣) . وقد نجم عن هذا الصراع نتائج خطيرة كانت سببا مباشرا في تقويض اركان الدولة الاموية (٤) وذاقت افريقيا الامرّين من جراء هذه المنازعات أيضا ، فكانت الامور تسير فيها تبعا لرغبة الخليفة ومزاجه . وقد ابتدأ هشام بن عبد الملك خلافته بابعاد القيسية عن الادارة العامة للدولة ، وتولت كلب الامور . وبذلك استمرت ولاية بشر بن صفوان (١٠٣ - ١٠٩ هـ) على أفريقيا والمغرب . وكان بشر هذا مثالا صارخا

---

(١) المعارف ص ٣٦٥ .

(٢) الاخبار الطوال ص ٣٤٢ ، الطبري ١٨٠/٨ .

(٣) الطبرى ١٨٣/٨ ، فلها وزن : الدولة العربية وسقوطها ص ١٧١ .

(٤) الطبرى ٩١/٩ - ٩٢ .

للنعرة العصبية حتى كثر اعداؤه (١) . ولما حضرته الوفاة عام ١٠٩ هـ ، اوصى الى نفاش بن قرط الكلبي ، بغية الابقاء على سلطة بني كلب ، بيد ان هشام بن عبد الملك لم يوافق على ذلك ، وارسل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي (١١٠ـ١١٤ هـ) واليا على افريقية والمغرب (٢) . وهكذا انتهت سيطرة الكلبيين في افريقيا بمجيء عبيدة هذا ، واضحت الادارة هناك قيسية متطرفة ضد الكلبيين بفضل الوالي الجديد (٣) . وهذا احد عمال الامويين المعزولين ، في افريقية وهو ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي يصف الحالة هناك في رسالة بعث بها الى الخليفة هشام بن عبد الملك قائلا (٤) :

اقادت بني مروان قيسا دماءنا ... وفي الله ان لم تعدلوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ... ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
تعاميتم عنا بعين جلية ... انتم كذا ما قد علمنا لنا فعل

فلما وصل هذا الكتاب الى الخليفة هشام استبدل عبيدة بعقبة بن قدامة (٥) (١١٤ ـ ١١٦هـ) ، غير انه مالبث ان جعل عبيد الله بن الحبحاب (١١٦ـ١٣٢ هـ) واليا على افريقية والمغرب ، وكان ابن الحبحاب هذا قيسيا يتصعب على اليمن(٦)

(١) ابن عذارى : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ٤٩/١ .
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩١ .
(٣) البلاذري : انساب الاشراف ١٤٢/٥ ، البيان المغرب ٥٠/١ .
(٤) انساب الاشراف ١٤٢/٤ ، البيان المغرب ٥٠/١ .
(٥) البيان المغرب ٥١/١ .
(٦) حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ١٦٢ .

فلا عجب ان يثير تعيينه استياءاً شديداً بين اليمانيين ، سيما انه بدأ ولايته بتنحية الكلبيين عن ادارة الدولة (١) . هذا ما كان يجري في شمالي افريقية . اما الاحوال في الاندلس فكانت كذلك إذ تلك الرقعة من الارض البعيدة كانت من وجهة ادارية تابعة لافريقية . وفي الفترة التي نؤرخها والتي تعنينا لعلاقتها الوثيقة بسياسة هشام ، نجد أن الكلبيين في البداية كانوا قد استبدوا بحكم الاندلس في ولاية بشر بن صفوان لافريقية . وبشر هذا استهل ولايته هذه بعزل الحر بن عبد الرحمن القيسي ، وتولية عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣ - ١٠٧ هـ) مكانه (٢) ، ثم تولاها عذرة ابن عبد الله الفهري (شعبان ١٠٧ - شوال ١٠٧ هـ) ويحيى بن سلمة الكلبي (١٠٩ - ١١٠ هـ) (٣) ، وفي خلال هذه السنوات الثلاثة ، ذاقت القيسية صنوف الاذى وغدت في مقدمة الناقمين على الاوضاع القائمة (٤) . وما ان تولى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي افريقية حتى بدأ نجم الكلبيين بالافول ، فتولى الاندلس عمال قيسيون اولهم حذيفة بن الاحوص الاشجعي (١١٠ هـ) وعثمان بن نسعة الخثعمي (١١٠ هـ) ، والهيثم بن عبيد الكناني (١١١ هـ) ، ومحمد بن عبد الله الاشجعي (١١١ هـ) (٥) . وبذلك انفجر حقد القيسية على الكلبية وحاولوا الانتقام من

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩١ .

(٣) البيان المغرب ٢/٢٧ .

(٤) اخبار مجموعة : للمؤلف المجهول ص ٢٤ - ٢٥ .

(٥) البيان المغرب ٢/٢٧ - ٢٨ :

الكلبيين ، وتعقدت الاوضاع حتى اضطر هشام بن عبد الملك الى عزل الهيثم بن عبيد (١) . بيد ان هذا التدبير لم يغير من وجهة الاحداث ، ذلك ان العصبية القبلية كانت قد مزقت الدولة الاموية ، وشتت شمل اعوانها . ويصف « ارنولد » هذه العصبية واثرها في الدولة الاموية بقوله : « وكانت العاطفة القبلية الضيقة التي اظهرها البيت المالك احد الاسباب التي اضعفت سلطانهم ومهدت السبيل لثورة العباسيين » (٢) .

لقد استنزفت الثورات المسلحة التي قامت في وجه الدولة الاموية اموالا طائلة ، وعدداً لا يستهان به من خيرة الرجال ، على الرغم مما كان يبدو للناس من ان الدولة لا تزال محتفظة بقوتها . وكان عهد هشام بن عبد الملك فترة انتكاس لقوة الدولة العسكرية ، فقد منيت فيه بالفشل والاندحار في اغاب الجهات : ففي القسم الشرقي من المملكة الاسلامية اي في منطقة خراسان ، وتركستان (٣) ، وما وراء النهر (٤) ، ورث هشام اندحارات يزيد بن عبد الملك (٥) ، واضاف اليها الفوضى في القيادة العسكرية في زمنه (٦) . وكان عام ١١٢ ﻫ اقسى الاعوام

---

(١) حسين مؤنس : فجر الاندلس ص ١٥٣ .

(٢) ارنولد : الخلافة ص ٣٠ .

(٣) تركستان : اسم جامع لبلاد الترك (معجم البلدان ١/٨٣٨) .

(٤) ما وراء النهر : يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان ، فما كان في شرقيه يسمى ما وراء النهر وما كان في غربيه فهو خراسان معجم البلدان ٤/٤٠٠

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٢٧ .

(٦) الطبري ٨/٢٠٩ .

التي مرت بالمسلمين هناك ، فقد بدأ تراجعهم في بلاد الترك بعد اصطدامات عنيفة بينهم وبين الترك بقيادة خاقان ملك الترك . وقد ادت هذه المصادمات الى اندحار الجيش العربي ، ومقتل القائد العربي سورة بن الحر (١) ، وقد دون احد المشاركين في جبهات القتال هناك ، وهو ابن السجف ، حالة الجند العرب في تلك المعارك ، فقال مخاطبا الخليفة (٢) :

اذكر يتامى بأرض الترك ضائعة — هزلى كأنهم في الحائط الحجل
وارحم والا فهبها امة دمرت — لا انفس بقيت فيها ولا ثقل
لا تأملن بقاء الدهر بعدهم — والمرء ما عاش محمودا له الاجل
لاقوا كتائب خاقان معلمة — عنهم بأيديهم لله وابتهلوا
وبايعوا رب موسى بيعة صدقت — ما في قلوبهم شك ولا دخل

وفي العام نفسه اصطدمت الجيوش العربية في منطقة بلاد الخزر بالترك في ناحية « اللان » (٣) ، وكانت ملحمة عظيمة في « مرج اردبيل » (٤) . اندحر فيها العرب ، وقتل قائدهم، الجراح بن عبد الله الحكمي (٥) ، فلما سمع هشام بن عبد الملك بالخبر جزع من ذلك وقال : « انا لله وانا اليه راجعون مصاب

(١) المرجع السابق ٨/ ٢١٠ .

(٢) المرجع السابق ٨/٢١٢ .

(٣) اللان : بلاد واسعة في طرف ارمينية . معجم البلدان ٤/٣٤٣ .

(٤) اردبيل : من اكبر مدن اذربيجان . الاصطخرى : مسالك الممالك ص ١٨١ .

(٥) ابن الاثير ٥/٦٣ .

سورة بن الحر بخراسان والجراح بالباب » (١) . وعلى اثر هذه الاندحارات « توغل الخزر فى البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين » (٢) . ويظهر ان خراسان قد افلتت من ايدى الامويين في عهد هشام ، حتى ان اسد بن عبد الله القسري حينما اعيد اليها عام ١١٧هـ ، وجد نفسه لا يملك الامور وابرشهر (٣) ، كما توقف العرب عن التوغل في شرق خراسان ، كما يبدو ، بعد فشل غزوة عبد الله بن الاصفح بن عبد الله الكلبي ، عامل سجستان (٤) ، في « النية » (٥) .

وشمل التدهور العسكري افريقية والاندلس ايضاً ، فقد عمت الفوضى في هذا القسم من المملكة الاسلامية ، واخذت الامور تسير من سيء الى اسوأ خاصة بعد عام ١٠٤ هـ (٦) . فقد ظلت مشاكل البربر في شمالي افريقية بلا حل مرض ، وقد حاول الامويون مجابهة الاوضاع المتأزمة هناك بقوة السلاح فعاد عليهم ذلك بالوبال ، حيث اصطدم الجيش العربي بجحافل البربر عام ١٢١ هـ وكان بنتيجة ذلك اندحار العرب ، حيث قتل غالبيتهم (٧)

---

(١) الطبرى ٨/٢١١ .

(٢) ابن الاثير ٥/٦٣ .

(٣) الطبرى ٨/٢٢٦ .

(٤) اليعقوبي ٢/٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٥) النيه : قرية بين هراة وكرمان ، وقيل بلدة بين سجستان واسفزار معجم البلدان ٤/٨٧١ .

(6) Muir , Caliphate , p . 378 .

(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص٢٩٤ .

وقد سميت تلك الموقعة بـ « غزوة الاشراف » لكثرة من قتل فيها « من حماة العرب وفرسانهم » (١) . وهكذا انتقضت افريقية بعد هذه الوقعة واصبح من العسير السيطرة عليها (٢) . يدل على ذلك ان الخوارج نقلوا ، في هذه الفترة ، فعالياتهم الى افريقية ، لأنهم وجدوا فيها ارضا خصبة لبث معتقداتهم وآرائهم ونجحوا الى حد ما ، في محاربة الدولة بسبب السياسة غير الحكيمة التي اتبعها الولاة هناك (٣) . فقد اعلن ميسرة الخارجي نفسه خليفة ، وبويع على ذلك ، وتزعم ثورة البربر وشتت جند الشام (٤) . وقد بلغت ثورة البربر ذروتها عام ١٢٣ هـ حيث دارت رحى معركة ضارية عرفت بغزوة « حقل الاصنام » على مقربة من « القيروان » تكبدت فيها القوات العربية خسائر فادحة وقتل القائد العربي كلثوم بن عياض القيسي (٥) .

ومن الطبيعي ان تتأثر صلات العرب بالافرنج بهذه الاحداث وان تضعف منزلة العرب هناك بوجه عام ؟ وكانت اول انتكاسة للعرب في موقعة « بلاط الشهداء » عام ١١٤ هـ في منطقة « بواتيه » (٦) ، حيث قتل القائد العربي عبد الرحمن الغافقي

(١) البيان المغرب ١/٥٤ ، وانظر ابن الاثير ٥/٧٥ .

(٢) ابن الاثير ٥/٧٥ .

(٣) البيان المغرب ١/٥٢

Marcais , L Efripue Du Nord Francaise Dans L ,Histoire p. 139

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣ .

(٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ص ٤١ ، البيان المغرب ١/٥٥

(٦) بواتيه : مدينة واقعة على نهر اللوار في فرنسا .

وعامة اصحابه (١) وقد وضعت هذه الموقعة حداً لتغلغل المسلمين في اوربا ذلك انه لو لم يصب المسلمون بهذه النكسة لكان لهم في اوربا شأن عظيم (٢) .

واذا انتقلنا الى المناطق المجاورة للروم البيزنطيين ، نجد ان المسلمين فيها كانوا في حالة يرثى لها ، ففي عـــام ١٠٥ هـ غزا سعيد بن عبد الملك ارض الروم ولكنه مني بالفشل واصيب من كان معه ، وهم الف مقاتل (٣) . وفي سنة ١١٣ هـ فشلت حملة عبد الله بن البطال (٤) . وقد تلاحقت اندحارات المسلمين في الغزوات البحرية زمن هشام ، ففي عام ١١٥ هـ استطاع الاسطول البيزنطي ان يقضي على حملة بقيادة ثمامـة بن ابي وقاص (٥) ، واستطاع الروم عام ١١٨ هـ دخول الاراضي المصرية والاستيلاء على مدينة « تريحة » واسر من كان فيها (٦) . وقـد استمرت الحرب ضد البيزنطيين طيلة خلافة هشام ، ولكنها لم تأت بنتيجة(٧)

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص٢٩٢ ، ابن الاثير ٥/٦٩ اخبار مجموعة ص ٢٥ .

(2) Gibbon , The Decline and fall of Roman Impire , Vol . VI , p . 15 .

(٣) ابن الاثير ٥/٥٠ .

(٤) المرجع السابق ٥/٨٨ .

(٥) العدوى ، ابراهيم : دراسات في التاريخ البيزنطي ـ مقالة في المجلـة التاريخية المصرية المجلد الثاني ، العدد الثاني ، اكتوبر سنة ١٩٤٩ .

(٦) الكندي : الولاة وكتاب القضاة ص ٨٠ .

(7) Encyclopeedia of Islam , Hrt Aisham , Vol . II , p . 317

والواقع ان سوء علاقة الحكام بالمحكومين كان من الصفات التي تميزبها عهد هشام . هذا الى النظرة العدائية التي كانت بين انصار الامويين ومعارضيهم اما علاقة العراق بالشام فكانت ، كما اوضحنا من قبل ، سيئة جدا ، حتى غدت الكوفة مركزا للدعايات المعادية للامويين (١) . وكذلك كانت الحال فى خراسان فقد كانت تلك المنطقة مسرحا لاضطراب الادارة ، وفشل السياسة ، وكانت بوادر ذلك الفشل ارغام الناس الولاة بقوة السيف ، على قطع سب الامام علي (٢) . بعد ان كان ذلك سياسة تقليدية للامويين . وفي عام ١٠٦ هـ ولى هشام بن عبد الملك نصر بن سيار (المتوفى ١٣١هـ/٧٤٨م) « طخارستان»(٣) فلم يلق هذا الامر قبولا من العرب هناك ، مما حدا بنصر الى تجريد السيف فيهم (٤) . وكان اسد بن عبد الله القسري (المتوفى ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م) والي الامويين على « بلخ » (٥). قد ساس الناس هناك سياسة هوجاء ، ابعد ما تكون عن المعرفة بطريق واساليب الادارة الحازمة ، فقد خطب اهل بلخ قائلا:

(١) الاخبار الطوال ص ٣٣٥ .

(٢) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(٣) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشمل على عدة بلاد وهي من نواحي خراسان ـ معجم البلدان ٢٣/٤ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢٨ .

(٥) بلخ : من اجل مدن خراسان واذكرها واكثرها خيرا واوسعها غلة ، معجم البلدان ٧١٣/١ .

« ياهل بلخ لقبتموني بالزاغ ، والله لازيغن قلوبكم » (١) وقد تعصب لليمانية حتى افسد الناس بالعصبية (٢) . عند ذلك ادرك هشام بن عبد الملك خطائه ، فأمر بعزل اسد عام ١٠٩ ه (٣) وولى مكانه اشرس بن عبد الله السلمي (١١٠ - ١١١ ه) . وقد دعا اشرس اهل سمرقند وما وراء النهر الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية ، فلما اسلموا وضعها عليهم ، وطالبهم بها (٤) . فأشعلوها حربا ضد الامويين ، يساندهم العرب انفسهم (٥) وقد استخف اشرس بالدهاقين هناك (٦) . وهذا ما هيأ الجو للحارث بن السريج حيث اعلن الثورة هناك عام ١١٦ ه : ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة الى الرضا من آل البيت وانضم اليه ازد وتميم ودهاقين مرو الروذ حتى بلغ جنده ستون الفا (٧) . واستولى على مرو (٨) . والجوزجان (٩) ،

---

(١) الطبري ١٩٣/٨ ، ابن الاثير ٥٦/٥ .

(٢) الطبري ١٩٣/٨ .

(٣) المرجع السابق ١٩٣/٨ .

(٤) الطبري ١٩٦/٨ ، ابن الاثير ٥٨/٥ .

(٥) فتوح البلدان ص ٤٢٩ ، الطبري ١٩٦/٨ .

(٦) فتوح البلدان ص ٤٢٩ .

(٧) ابن الاثير ٧٢/٥ .

(٨) مرو : وهي من اشهر مدن خراسان وقصبتها (معجم البلدان ٥٠٧/٤)

(٩) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، بين مرو الروذ وبلخ - معجم البلدان ١٤٩/٢ .

والفارياب(١) ، والطالقان (٢) ، ومروالروذ (٣) ، فاضطر عاصم ابن عبد الله (١١٦ - ١١٧ هـ) الوالي الاموي فى خراسان الى ان يستنجد بالخليفة هشام طالبا مددا يقدر عدده بعشرة الاف مقاتل من جند الشام (٤) .عند ذلك اخذت قوات الحارث بن سريج بالتقهقر (٥) ، مما حدا به الى التعاون مع خاقان في ضرب الامويين (٦) . واستمر الحارث هذا يقاوم الامويين طيلة خلافة هشام بن عبد الملك واستمرت مقاومته بعد هشام ايضا (٧) ولم تنته هذه الثورة حتى عام ١٢٨ هـ . وعلى الرغم من اخماد هذه الثورة فانها عكـرت صفو الا من على الامويين في خراسان وجعلتهم غير قادرين على مواجهة الاحداث الخطرة التي قضت على الدولة الاموية ، ومهدت الطريق للدولة العباسية . ولم يحل عام ١١٧ هـ حتى اضطر هشام بن عبد الملك الى ضم خراسان الى العراق ، واصبحت تحت اشراف والي العراق ، فقد كتب اليه عاصم بن عبد الله والي الامويين هناك : « ان خراسان لا تصلح الا ان تضم الى صاحب العراق فتكون موادها ومنافعها

(١) الفارياب : مدينة مشهورة بخراسان من اعمال الجوزجان ، معجم البلدان ٣/٨٤٠ .

(٢) الطالقان : اكبر مدينة بطخارستان . معجم البلدان ٣/٤٩١ .

(٣) مرو الروذ . مدينة قريبة من مرو (معجم البلدان ٤/٥٠٦) .

(٤) الطبرى ٨/٢١٩ - ٢٢٠ .

(٥) المرجع السابق ٨/٢٢١ .

(٦) المرجع السابق ٨/٢٣٧ .

(٧) الطبري ٩/٤٢ ، ابن الاثير ٥/١٢٣ .

ومعونتها في الاحداث والنوائب من قريب لتباعد امير المؤمنين عنها وتباطىء غياثه عنها » (١) .

وشملت الفوضى الادارية شمالي افريقية ايضا ، ففي عام ١٠٧ ه « اختلط ولاة مصر اختلاطا كبيرا » (٢) واصبح طرد الولاة وتعينهم يجري بصورة تثير الاشمئزاز . ذكر ابن عذارى صورة لكيفية تولي عبيدة بن عبد الرحمن السلمي لافريقية والمغرب عام ١١٠ ه ، ذلك انه قدم في ربيع الاول من تلك السنة « فدخل القيروان فجأة ، يوم الجمعة فألفى خليفة بشر بن صفوان قد تهيأ لشهود الجمعة ولبس ثيابه ، فقيل له : هذا عبيدة قدم اميرا فقال : لا حول ولا قوة الا بالله هكذا تقوم الساعة بغتة » (٣) ، واخذ عبيدة عمال بشر واصحابه فحبسهم واغرمهم وعذبهم (٤) وصار الاستخراج قاعدة يلجأ اليها الوالي الجديد في محاسبة الوالي المخلوع واتباعه (٥) . وكان عبد الله بن الحبحاب مثالا لسوء الادارة وعدم المراعاة لشعور المحكومين ، ففي عام ١٠٧ ه زاد على اقباط مصر قيراطا على كل دينار بعد حصوله على موافقة هشام . فقام القبط في وجه هذه الاجراءات الجديدة . واعلنوا الثورة ، فحاربهم ابن الحبحاب وقضى على اول ثورة لهم (٦)

---

(١) الطبرى ٢٢٢/٨ ، ابن الاثير ٧٣/٥ .

(٢) البيان المغرب ٤٩/١ .

(٣) المرجع السابق ٥٠/١ .

(٤) المرجع السابق ٥٠/١ .

(5) Browne , Literary History of perisia Vol . I , p . 233 .

(٦) الكندي : الولاة وكتاب القضاة ص ٧٣ ـ ٧٤ .

ويوضح ابن عذارى الاسباب التي حملت البربر على اعلان الثورة في افريقية فيقول : « كان الخلفاء بالمشرق يستحبون البربريات السنيات ، فلما افضى الامر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير وكلف لهم او كلفوه اكثر مما كان ، فاضطر الى التعسف وسوء السيرة (١) وهكذا كان يتم تعيين الولاة للاقطار النائية ، فلم تكن الكفاءات هي المعول عليها ، بل المقدار الذي يستطيع الوالي دفعه الى دمشق (٢) . ويقوم هو في الوقت نفسه بجمع ما يستطيع جمعه لنفسه ، حتى ان عبيدة بن عبد الرحمن حين خرج من افريقيا كان فيما خرج به من العبيد والاماء ومن الجواري المتخيرة سبعمائة وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة والآنية (٣) . وكان عمر بن عبد الله المرادي والي طنجة (١١٦ / ١٢٢ هـ) هو الاخر « قد اساء السيرة ، وتعدى في الصدقات والعشر ، واراد تخميس البربر ، وزعم انه في فيء المسلمين ، فقاموا عليه وقتلوه » (٤) . وبذلك استمرت هذه المقاطعات على طريقتها القديمة في قتل الولاة وتعيين آخرين بدلهم كما يروق لها ، ومن ثم ترسل الى دمشق تطلب الاعتراف بالوالي الذي تعينه (٥) . وقد اشتد ساعد البربر عام ١٢١ هـ ، فثاروا

(١) البيان المغرب ١ / ٥٢ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٢ .

(٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ص ٤٠ ، اخبار مجموعة : للمؤلف المجهول ص ٢٨ .

(٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٥٧ .

ثورة عامة على العرب . وانتقلت عدوى الثورة الى الاندلس ، فلما وصلتهم انباء اضطرابات افريقيا ، ثار اهل الاندلس ضد الوالي الاموي عقب بن الحجاج وعزلوه ، ثم اعيد اليها وبقي حتى عام ١٢١ هـ ، حين خلعه عبد الملك بن قطن الفهري وتولى الامور بدلا منه (١) ولم يقف الامر على العرب انفسهم بل ان برابرة الاندلس اتحدوا هناك في وجه العرب ، وبدأوا بطردهم من البلاد حتى اضطروهم الى النزوح الى وسط الاندلس (٢).
ويبدو الضعف السياسي واضحـا في جهل الحكام الامويين بمتطلبات الاوضاع في شمالي افريقية ، ويظهر ذلك من الرسالة التي قدمها وفد البربر برآسة ميسرة الى الخليفة هشام وذلك انهم قدموا الى الشام لمقابلة الخليفة ، بيد انهم لم يستطيعوا الظفر بتلك المقابلة لعرض شكواهم حتى نفذت اموالهم ،عند ذلك تقدموا الى الابرش حاجب الخليفة فقالوا له : « ابلغ امير المؤمنين ان اميرنا يغزو بنا وبجنده ، فاذا اصاب نفلهم دوننا ، وقال : هم احق به ، فقلنا هو اخلص لجهادنا ولا نأخذ منه شيئا ان كان لنا فهم منه في حل ، وان لم يكن لنا نرده . واذا حاصر نا مدينة قالوا : تقدموا واخر جنده ، فقلنا : تقدموا فانه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى اخوانه ، فوقيناهم بأنفسنا و كفيناهم ، ثم أنهم عمدوا الى ماشيتنـا فجعلوا يبقرون عن السخال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين فيقتلون الف شاة في جلد ، فقلنا : ما أيسر هذا الامر فاحتملنا ذلك وخليناهم ، وذلك انهم سامونـا ان يأخذوا

(١) البيان المغرب ١/٥٣ .

(٢) اخبار مجموعة : للمؤلف المجهول ص ٣٨ .

كل جميلة من بناتنا فقلنـــا لم نجد هذا في كتاب الله ولا سنة ونحن مسلمون فأحببنا ان نعلم عن راي امـــير المؤمنين ذلك ام لا » (١) . وهكذا اصاب البربر نوع من اليأس في الاصلاح ، فأعلنوها ثورة عنيفة في وجه الدولة الاموية وقضت على جندها

شخصية هشام بن عبد الملك

ولابد هنا ان نتعرض الى شخصية هشام وهو الخليفةالذي واجه ثورة زيد بن علي ، بمقدار مالها من صلة بأحداث الثورة واول ما يلاحظ هنا ان المؤرخين اختلفوا اختلافا بينا في تصوير شخصيته . فابن قتيبة يقول انه « كان من احزم بني امية »(٢) ويقول « كان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس معه في دعة وسكون وراحة » (٣) . واليعقوبي يقول : « كان هشـام من احزم بني امية وارجلهم ، وكان بخيلا حسودا فظا ظلوما شديد القسوة بعيـد الرحمة طويل اللسان » (٤) . وفي روايـة الطبري انه رجل محشو عقلا (٥) . وقد عده الهيثم بن عدي احد سواس بني امية الثلاثة وهم معاوية وعبد الملك ، وبهشام ختمت ابواب السياسة (٦) . هذا وان تنظيمه لدواوين الدولة كان مثالا

---

(١) الطبرى ٥/ ٤٩ - ٥٠ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٦٥ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢/ ١١٦ .

(٤) اليعقوبي ٢/ ٣٩٣ .

(٥) الطبرى ٨/ ٢٨٤ .

(٦) مروج الذهب ٣/ ١٢٣ .

يحتذى به في الدقة والاتقان (١) . ويذهب اخرون الى ذمه والتشنيع عليه . وكانوا يقولون انه كان لا يتقيد بالعهود والمواثيق فقد نقض وصية اخيه يزيد بن عبد الملك الذي اوصى بأن يكون الخليفة من بعد هشام الوليد ، غير ان هشاما ارغم الوليد بن يزيد على ان يخلع نفسه ويبايع لمسلمة بن هشام . فلما رفض الوليد بن يزيد ذلك حرمه هشام ما كان له ولمواليه من العطاء (٢) . وكانت علاقة هشام ببني امية غريبة ، فقد خص بأعطياته جماعة منهم وترك اخرين ، حتى ابدى بعضهم استياءه من ذلك فقال :

خس حظي ان كنت من عبد شمس ليتني كنت من بني مخزوم
فأفوز الغداة منهم بقسم وابيع السنا مني بلوم (٣)

ويصف غالب مولى هشام حالهم زمن هشام وما صاروا اليه بعد وفاته بقوله (٤) :

هلك الاحول المشؤ وم وقد ارسل المطر
وملكنا من بعد ذا ك فقد اورق الشجر
فاشكر الله انه زائد كل من شكر

وكان استقبال اهل الشام للوليد بن يزيد بعد وفاة هشام عظيما وهم يرجون ان ينجيهم من مظالم هشام (٥) . هذا مجمل ما رواه المؤرخون عن الخليفة هشام . وهذه الروايات تتضمن

---

(١) الطبري ٨/ ٢٨٥ .
(٢) الاغاني ٦/ ٩٩ .
(٣) ابن دريد : الاشتقاق ص ٨٢ .
(٤) ابن الاثير ٥/ ١٠٦ .
(٥) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ١/ ٢٤١ .

اموراً متناقضة ولا يبعد ان يكون للاهواء والميول دخلا في هذا التناقض ، خاصة وان هشاما ـ حكم مدة طويلة تربو على عشرين عاما ، حتى مله الناس . والذي يبدو لي من خلال هذه النصوص ان هشام بن عبد الملك ورث ملكا واسعا مجزءاً مليئا بالمشاكل وعلى الرغم مما امتاز به من صفات عالية في الادارة ، فانه كان غير قادر على معالجة الاحوال .

الفصل الثالث

الدعوة الى الثورة

طبيعة الثورة

من الواضح ان الثورة التي قام بها زيد بن علي ، وعمل لها طوال حياته ، لم تكن ثمرة خيال فردي اوحت به مخيلته ، وانما كانت نتيجة عوامل صاغتها ظروف ذلك العصر ، الذي اصطدمت فيه النزعات الدينية بالنزعات السياسية . فقد ثار زيد بن علي على الدولة الاموية على النحو الذي ثار عليه من قبل جده الحسين بن علي (١) ، وكما كانت ثورة الحسين ، في احد جوانبها ، صراعا بين التيار الديني وبين الاتجاهات الدنيوية (٢) كذلك كانت ثورة زيد بن علي ، تعبيرا عن النزعة الدينية التي حملها اهل الورع والتقوى (٣) ، مقابل النزعة الدنيوية التي اتخذت من الخلافة اداة للسلطة والتحكم (٤) . وهذا هو السبب

---

(١) الروض النضير ١/٥٠ .

(٢) الطبرى ٦/٢٠٠.

(٣) الروض النضير ١/٢٨ .

(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤١ .

في ان ثورة الحسين بن علي لم تنته لمجرد القضاء عليها في وقعة كربلاء ، ولكنها استمرت في ثورات اخرى اتت بعدها لتحقق الغرض الذي اراد الحسين تحقيقه ، فقد ثار الحسين بدعوة من اهل العراق حيث بعثوا اليه بكتبهم يطلبون فيها قدومه اليهم ، ليعلن الحرب على الامويين ، ويزيل دولة الظلم ، ويقيم مقامها دولة العدل (١). وقد لخص الحسين مبادىء ثورته بخطبته المشهورة « ايها الناس ، ان رسول الله - ص - قال : من راى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله - ص - يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله ، الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله ، وانا احق من غيري » (٢) . فكان الحسين يرى ان الخروج على يزيد بن معاوية فرض ديني واجب ، وذلك لما اشتهر به يزيد من فسق عند الكافة من اهل عصره (٣) كذلك كان الامر بالنسبة الى زيد ابن علي ، فانه ثار على الاوضاع الفاسدة ، وعلى انحراف الحكام عن جادة الصواب ، وكان هدف زيد احياء الشريعة ، والعمل وفق « كتاب الله وسنة نبيه » (٤) . وهذا الهدف هو الذي يراود المفكرين والمصلحين كلما ساءت الاحوال وانحطت القيم

---

(١) ابن الاثير ٤/٩ .

(٢) الطبري ٦/٢٢٩ ، الخوارزمي : مقتل الحسين ١/ ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٨٢ .

(٤) الطبري ٨/٢٦٧ ، ابن خلدون : العبر ٢/٢٠٦ .

والمقاييس الخلقية . وقد عبر غيلان الدمشقي (المتوفى بعد عام ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) عن هذه الحقيقة حينما راى اموال بني امية التي كانت مكدسة في خزائنهم ، والتي امر باخراجها عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة ، فقال غيلان : « من يعذرني ممن يزعم ان هؤلاء كانوا ائمة هدى ، وهذا - يعني المال المخزون - يتأكل والناس يموتون جوعا » (١) . وكان مجيء عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ / ٧١٧ م - ١٠١ هـ / ٧١٩ م) الى الخلافة رحمة للناس وللدولة الاموية (٢) . ذلك انه حاول اصلاح الاوضاع الفاسدة التي سارت عليها الخلافة الاموية من انحراف عن سنن الشريعة(٣) ولجوء الى الضغط والقهر (٤) . وكان الشعبي (المتوفى ١٠٥ هـ /٧٢٣ م) يقول : « فوالله ما اعلم قوما على بسيط الارض اعمل ولا اجور منهم في الحكم » (٥) . وقد وضح ابو حازم الاعرجي هذا الوضع حينما قال له سليمان بن عبد الملك : « مالنا نكره الموت ؟ فقال ابو حازم : لأنكم عمرتم دنياكم واخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب » (٦) . وكانت حياة الخلفاء الامويين ، من حيث العموم ، يغمرها الترف

---

(١) المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٢٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٢٥٢/٥ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٣٢ .

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢ .

(٤) احمد امين : فجر الاسلام ص ١٦٤ .

(٥) الطبرى ٢١/٨ .

(٦) مروج الذهب ١٨٧/٣ :

والمجون والانغمار في امور الدنيا (١) ، وهذا مالا يرضاه المؤمنون واهل الورع والتقوى . وقد لاحظ زيد بن علي هذا خلال زياراته للشام (٢) ، فدهش له ، وانكره . وكان هذا الفارق العظيم بين واقع الدولة الاموية ، وبين ما يجب ان تكون عليه احد العوامل التي دفعت به إلى القيام بالثورة ليعيد الى الخلافة طابعها الديني ، ويجعل منها اداة لتحقيق العدالة الاجتماعية «فكان خروجه على سبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٣) . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان ائمة الدين واهل الورع والتقوى كانوا من حيث العموم ، يرون وجوب قيام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكنهم كانوا يختلفون في السبل التي يسلكونها لتحقيق هذا الواجب ، فبينما كان سائر ائمة الدين يرون قصر هذا الواجب على الطرق السلمية ، كان زيد بن علي يرى ضرورة استعمال العنف واللجوء الى القوة المسلحة كوسيلة لتحقيق العدل الاجتماعي (٤) . وهذا ما يميز زيد بن علي عن غيره فقد كان سعيد بن المسيب (المتوفى عام ٩٣ هـ / ٧١٠ م) يقول في بني امية « ما اصلي صلاة الا دعوت الله عليهم » (٥) وكان

---

(1) Browne, Literary History Of Perisia, Vol. I, P. 231

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٠٥ .

(٣) الراوندي : الخرايج والجرايح ص ٣٢٧ .

(4) Shorter Encyclopaedia Of Islam, Art Zaidiya, P. 651

وانظر : ماسنيون : خطط الكوفة ص ١٤ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٥/٩٥ .

اذا قيل له ادع على بني امية قـال : « اللهم اعز دينك واظهر اولياءك واخز اعداءك » (١) . ولما توفى الحجاج وبلغ خبره الحسن البصري قال : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، اللهم كما امته فأمت سنته » (٢) . والسبب الذي جعل هؤلاء العلماء يحجمون عن معارضة الدولة الاموية معارضـة صريحة وقوية ، هو قسوة بني امية وبطشهم بالمعارضين (٣) اما السبب الذي دفع زيد الى الثورة المسلحة فربما كان الثأر للعلويين الذين نكل بهم الامويون ، فقد استباح بنو امية الحسين بن علي هو وافراد اسرته ومثلوا بهم (٤) ، والحسين جـد زيد فكـان من الطبيعي ان يثأر له حين يجد الفرصة مؤاتية لذلك . وقـد صرح زيد بهذا فقال : « انما خرجت على الذين قاتلوا جـدي الحسين » (٥) . ويظهر ان الاحداث القاسيـة التي وقعت فى الحجاز من استباحة المدينة وضرب الكعبة ، كان لها اثر عميق في نفس زيد ، قال : « انما خرجت على الذين اغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنـار » (٦) . والواقع ان هذه الاحداث كان لها تأثير عظيم في نفوس ائمـة

---

(١) المرجع السابق ٥/٩٤ـ٩٥ .

(٢) المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٣٢ .

(٣) الطبري ٧/١٧٨ .

(٤) الطبري ٦/٢٦٠ـ٢٦١ ، الخوارزمي : مقتل الحسين ٢/٤٧ .

(٥) المفيد : الارشاد ص ٢٤٧ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ ، الطبرسي : اعلام الورى بأعلام الهدى ص ٢٥٧ .

(٦) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ .

المسلمين واهل الورع والتقوى قاطبة . قال الحسن البصري (١) (المتوفى عام ١١٠هـ/٧٢٨م) : « قبحهم الله وبرّحهم - يعني بني امية - اليس هم الذين احلوا حرم رسول الله - ص - يقتلون اهله ثلاثا ، قد اباحوها لانباطهم واقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا ينتهون عن انتهاك حرمه ، ثم خرجوا الى بيت الله الحرام فهدموا كعبته واوقدوا النيران بين احجارها واستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار » . وفي الوقت الذي كان فيه اهل الورع ينظرون الى الدولة الاموية هذه النظرة الخاصة ، نجد الامويين وعمالهم يأتون بمبدأ جديد لتعزيز مركزهم ، فيقولون ان الخليفة في اهله خير من النبي في امته (٢) . ويصف لنا الدينوري احدى المشاهد التي جرت في البلاط الاموي بالنسبة الى هذا الامر حين دخل عبد الله بن صيفي على الخليفة هشام بن عبد الملك فقال : « يأمير المؤمنين اخليفتك في اهلك احب اليك وآثر عندك ام رسولك ؟ قال هشام : بل خليفتي في اهلي ، قال : فأنت خليفة الله في ارضه وخلقه ، ومحمد رسوله - ص - اليهم ، فأنت اكرمهم على الله منه . فلم ينكر - هشام - هذه من عبد الله بن صيفي وهي تضارع الكفر » (٣) . ولا يخفى ان هذه الدعوى تثير حقد الناس وتذمرهم ، وبخاصة القراء واهل الورع والتقوى ذلك ان دعوى كون الامويين اعلى مقاما من الانبياء امر لا يقبله مؤمن ولا يتصوره ، وهذا ما اثار زيد بن علي حين بلغه

(١) الطبري ٨/١٥٠ . ابن الاثير ٤/٣١ .

(٢) الطبري ٨/٦٧ ، ابن الاثير ٤/٢٢٠ .

(٣) الاخبار الطوال ص ٣٤٦ .

قولهم هذا ، فقال : « لو لم اكن الا انا وابني لخرجت عليه»(١) ولا يفوتنا ، ونحن نستعرض العوامل التي مهدت لثورة زيد ، ان نشير الى ان اعتقاد العلويين بأحقيتهم في الخلافة وتأييد الناس لهم ، واهل الكوفة بخاصة ، كان من الأمور التي ساعدت على قيام الثورة . قال زيد : « انا كنا احق الناس بهذا الأمر ولكن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه » (٢) . يؤيد هذا ما ذكره معاوية بن يزيد حين قال لاهل الشام : « انا قد بلينا بكم وابتليتم بنا وان جدي معاوية نازع الامر من كان اولى به واحق فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتهنا بعمله ، ثم تقلده ابي ولقد كان غير خليق ، فركب ردعه واستحسن خطائه » (٣) كذلك ما ورد على لسان عمر بن عبد العزيز من ان اولاد فاطمة « طالما تخطتهم حقوقهم » (٤) . يضاف الى ذلك كله ان العلاقة بين زيد وهشام بن عبد الملك كانت سيئة جدا ، فقد تحمل من العنت والحرج شيئا كثيراً ، حيث استدعاه الخليفة الى الشام ثم بعثه الى العراق ، وكان زيد ، في جميع هذه الاحوال ، على علم بما يراد به ، فقد قال لهشام حينما طلب اليه ان يذهب الى يوسف بن عمر : « لا توجه بي الى عبد ثقيف يتلاعب بي» (٥) واذا ما علمنا ان زيدا ابعد من ان يتحمل ضيما ، وهو الذي

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٣١٠ .

(٢) الطبرى ٨/ ٢٧٢ .

(٣) المقدسي : البدء والتاريخ ٦/ ١٨ .

(٤) مروج الذهب ٣/ ١٩٤ .

(٥) اليعقوبي ٢/ ٣٩٠ .

يقول « فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب احسابهم » (١) . ادركنا وقع تلك الحوادث في نفسه ، واثرها في قيام الثورة .

الدعوة للثورة في الكوفة

استقر زيد بن علي في الكوفة حيث الاوضاع الملائمة للعمل ضد الامويين ، فدعا الى الثورة ، واستهوت دعوته هذه الناس على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم واهوائهم . فقد كانت تدعو « الى كتاب الله وسنة نبيه ، وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين اهله بالسواء ورد المظالم واقفال المجمر ، ونصرة اهل البيت على من نصب لهم وجهل حقهم » (٢) . والذي يظهر من نصوص هذه الدعوة انها اكدت امورا خمسة كان الناس يتوقون الى تحقيقها ، وفي مقدمتها العمل بكتاب الله وسنة نبيه ، وهذا ما جذب اليها اهل العلم والفقه والتقوى ، فأعلن فقيه العراق (٣) ، ابو حنيفة النعمان بن ثابت (المتوفى عام ١٥٠ هـ / ٧٦٨ م) مساندته لزيد ، وامده بالمال ليتقوى به على الامويين فقد تبرع ابو حنيفة بعشرة آلاف درهم من ماله الخاص لهذا الغرض (٤) . وبعد ان بايع الناس زيدا وسمع ابو حنيفة بذلك ، وبأن زيدا سيخرج ، قال : ضاهى

(١) الطبرى ٢٦٣/٨ .

(٢) الطبرى ٢٦٧/٨ ، ابن الاثير ٥/ ٩٢ .

(٣) البغدادي : تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣ .

(٤) ابن البزاز الكردي : مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة ١/٢٥٥ ، الحدائق الوردية ١/١٥٢ .

خروج رسول الله يوم بدر (١) . ولا شك ان هذا السند كان من الاسباب التي دفعت بالثورة وقوتها وانضم الى الثورة كذلك فريق من الاتقياء منهم : زبيد الايامي (٢)، وهو من عباد الكوفة ومحدثيها (٣) وهلال بن حباب قاضي المدائن (٤) ، وهو من المحدثين (٥) ، ويحى بن دينار الواسطي (٦) ، وهو من كبار المحدثين (٧) ، وهاشم بن البريد (٨) ، وهو من محدثي الكوفة (٩) . وبايعه ايضا محمد بن عبد الله بن الحسن ذو النفس الزكية (١٠) وعبد الله ابن علي بن الحسين (١١) ، ومسعر بن كدام (١٢) ، وهو من المحدثين (١٣) ، وعبد الله بن شبرمة (١٤) ، وهو من الفقهاء

(١) ابن البزاز الكردى : مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة ١/٢٥٥ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٤٦ .

(٣) الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١/٣٥٤ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص ١٤٦.

(٥) ابن سعد : الطبقات ٧/٣١٩ .

(٦) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .

(٧) العسقلاني : تهذيب التهذيب ١٢/٢٦١-٢٦٢ .

(٨) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .

(٩) تهذيب التهذيب ١١/١٦-١٧ .

(١٠) الحدائق الوردية ١/١٥٢ .

(١١) المرجع السابق ١/١٥٢ .

(١٢) الحدائق الوردية ١/١٥٢ .

(١٣) المعارف ص ٤٨١، الشعراني: لواقح الانوار في طبقات الاخيار ١/٥٧-٥٨

(١٤) الحدائق الوردية ١/١٥٢ .

والمحدثين (١) ، وتولى القضاء لابي جعفر المنصور على الكوفة (٢) وقيس بن الربيع (٣) ، وهو من كبار المحدثين (٤) ، ومنصور ابن المعتمر (٥) وهو من رجال الحديث ، وأحد الزهاد المتعبدين (٦) وعثمان بن عمير ابو اليقظان (٧) ، وهو من رواة الحديث المعروفين (٨) ومحمد بن عبد الملك بن ابي ليلى (٩) ، وهو من فقهاء العراق (١٠) ومعاوية بن ابي اسحاق (١١) ، وهو من كبار المحدثين (١٢) . وسعيد بن خيثم (١٣) ، وهو من رواة الحديث (١٤) . والحسن ابن سعد (١٥) ، المعتزلي (١٦) . وخرج عمرو بن عبيد للانضمام

(١) تهذيب التهذيب ٥/٢٥٠ .
(٢) المعارف ص ٤٧٠ .
(٣) الحدائق الوردية ١/١٥٢ .
(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ٢/٣٤٩ - ٣٥٠ .
(٥) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .
(٦) ابن سعد : الطبقات ٦/٣٣٧ .
(٧) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .
(٨) ميزان الاعتدال ٢/١٨٢ .
(٩) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .
(١٠) المعارف ص ٤٩٤ .
(١١) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .
(١٢) تهذيب التهذيب ١٠/٢٠٢ .
(١٣) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .
(١٤) تهذيب التهذيب ٤/٢٢٠ :
(١٥) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .
(١٦) العسقلاني : لسان الميزان ٢/٢١٠ .

الى الثورة الا ان الخبر ورد بمقتل زيد (١) . وقد تضمنت الدعوة جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين، وهذا ما جذب كل من اصابه حيف او ضرر ، وفي مقدمتهم الموالي (٢) الذين كانوا يؤلفون نصف سكان الكوفة (٣) . اما ما جاء في وثيقة الدعوة من قسمة الفيء بين اهله بالسواء ورد المظالم فهو من الامور المهمة التي كان يتحسس بها اهل العراق آنذاك فقد كان الصراع بينهم وبين اهل الشام متأثرا الى حد بعيد بهذا الامر . وقد ظهر ذلك في الاحداث التي سبقت ثورة زيد بن علي ، كثورة ابن الاشعث ، وثورة ابن المهلب ، فانهما اكدتا رغبة اهل العراق فى الاحتفاظ بأموالهم وعدم ارسالها الى الشام وقد افادت هذه القضية زيدا ، فانه استطاع ان يجمع الناس حوله ويدفع بهم الى ميدان الثورة . وقد وعد زيد اقفال المجمر وهو عدم ارسال الجند الى القتال ، ووضعه في المسالح والثغور لمدة طويلة ، ولهذا الامر اهمية بالغة بالنسبة الى العراقيين الذين كان الحجاج بن يوسف يجمرهم في البعوث ويرسلهم الى شرق المملكة الاسلامية للفتح (٤) ، ولا يخفى ما في ذلك من مشقة عليهم ، من مفارقة اهليهم وذويهم . اما الامر الخامس الذي نصت عليه البيعة فهو نصر اهل البيت والدفاع عنهم ، وهذا كان مطمح الشيعة ، ومحط امالهم . وهذه الامور هي التي

(١) الروض النضير ١/٥١ .

(٢) العقد الفريد ٣/٤١٦ .

(٣) فلها وزن : الخوارج والشيعة ص ٢١١.

(٤) الطبري ٨/٨ .

جذبت الناس اليه فأخذوا يبايعونه ، وفي مقدمتهم : يزيد بن ابي زياد (١) ، من كبار الشيعة (٢) ، وهارون بن سعد (٣) ، وهو من المحدثين (٤) ، والحجاج بن دينار (٥) ، وهو من اصحاب الباقر (٦) ولم تقتصر بيعة زيد على الرجال ، بل انضم اليها عدد من النساء منهم أم عمر بنت الصلت (٧) ، وام خالد التي قطع يوسف بن عمر يدها (٨) ، وغيرهن (٩) .

بث الدعوة

يظهر ان دعوة زيد الى الثورة بالكوفة كانت اول دعوة علوية نهجت نهجا سريا في نشر مبادئها . والسبب في ذلك راجع الى ان زيدا افاد من الحركات الثورية التي سبقته واقصد بذلك ثورة الحسين بن علي . فالحسين اعتمد على اهل الكوفة قبل ان يراهم او يجتمع بهم ، وكان قدومه عليهم بناء على ما

(١) مقاتل الطالبين ص ١٤٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٢٩ .
(٣) مقاتل الطالبين ص ١٤٧ .
(٤) تهذيب التهذيب ١١/ ٦ .
(٥) مقاتل الطالبين ص ١٤٧ .
(٦) الطوسي : الرجال ص ١١٩ .
(٧) الطبري ٨/ ٢٦٧ .
(٨) الكشي : الرجال ص ٢٠٩ .
(٩) البلاذري : انساب الاشراف ٣/ ٢٠٣ (مخطوطة مصورة في معهد الدراسات الاسلامية العليا ببغداد) .

وصله من كتبهم ، ولما جاء الى العراق ، ورای خذلانهم له ، احتج عليهم بتلك الكتب التي بعثوا بها اليه ، بيد انهم انكروا عليه ان يكونوا قد بعثوا اليه بها ، وكان ذلك في اشد لحظات حياته حراجة (١) . وكان من نتيجة ذلك ان ذهب الحسين ضحية هذا النوع من التنظيم للدعوة . ويتضح ذلك جليا اذا علمنا ان اهل الكوفة لم يستطيعوا التمييز بينه وبين عبيد الله ابن زياد حينما شخص اليهم من البصرة بعد سماعه قدوم الحسين ابن علي الى الكوفة ، فلما دخل عبيد الله بن زياد الكوفة متلثما حياه اهلها بقولهم « اهلا بابن بنت رسول الله » (٢) ظنا منهم انه الحسين بن علي . وقد وعى زيد ثورة الحسين ووضع يده على مواطن الضعف فيها (٣) ، فأراد ان يقوم بتنظيم محكم للدعوة بحيث يضمن نجاحها . فابتدأ بتنظيم الدعاة وارسلهم الى الاقطار المختلفة ، منهم عبدة بن كثير الجرمي (٤) وعطاء بن مسلم (٥) ، والحسن بن سعد الفقيه ، وسالم بن ابي الحديد (٦) ، ويزيد ابن ابي زياد (٧) ، وعثمان بن عمير ابو اليقظان الفقيه (٨) ،

---

(١) الطبري ٦/٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق ٦/٢٠١ .

(٣) المفيد : الارشاد ص ١٧٤ .

(٤) مقاتل الطالبين ص ١٤٧ .

(٥) انساب الاشراف ٣/٢٠٢ .

(٦) مقاتل الطالبين ص ١٤٧ .

(٧) المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٨) المرجع السابق ص ١٤٥ .

وفضيل بن الزبير الرسان (١) . وقد اتخذت دعوته صور شتى فتارة كان يرسل الى الذين يريد ضمهم الى الدعوة رسولا ، ثم يواجههم بنفسه (٢) ، وقد يرسل اشخاصا يستعين بهم في دعوة النـــاس الى تأييده ، دون ان يواجه اولئك الناس . وينقل لنا شريك صورة لذلك فيقول : « اني لجالس عنـــد الاعمشي اذ جاءنا عثمان بن عمير ابو اليقظان الفقيه فقال : اخلنا فان لنا اليك حاجة فقال الاعمشي : وما خطبكم هذا شريك وهذا عمرو بن سعيد اذكر حاجتك ، فقال : ارسلني اليك زيد بن علي ادعوك الى نصرته والجهاد معه وهو من قد عرفت » (٣) . على هذه الشاكلة كان دعاة زيد ينتشرون في الآفاق ، يحثون الناس على الانخراط في سلك الدعوة ، وقد زودهم زيد بكتاب « يصف فيه جور بني امية ، وسوء سيرتهم ويحضهم على الجهاد ويدعوهم اليـه ، وقال : لا تقولوا خرجنا غضبا لـكم ولكن قولوا خرجنا غضبا لله ودينه » (٤) . فكان عبدة بن كثير الجرمي ، والحسن بن سعد الفقيه يدعوان الناس في خراسان (٥) ، ويزيد بن ابي زياد في الرقة (٦) واناس اخرون في خراسان ، والبصرة ، وواسط ،

---

(١) الحدائق الوردية ١/١٥٢ .

(٢) الطبرسي : الاحتجاج ص ٢٠٤ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ١٤٨ .

(٤) انساب الاشراف ٣/٢٠٢ .

(٥) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .

(٦) المرجع السابق ص ١٤٥ .

والموصل ، والري ، وجرجان . وغيرها (١) . ونالت الدعوة تأييد اهل الحجاز وهذا ما حمل هشام بن عبد الملك على قطع اعطيات اهله لمدة سنة (٢) . وقد سلك الدعاة مسلك الحذر في تنظيم الدعوة ، يدل على ذلك ان يزيد بن زياد حينما دعا اهل الرقة الى الانضمام الى زيد اجابه عدد كبير من اهلها (٣) ، والرقة (٤) اقرب الى دمشق منها الى الكوفة (٥) ، ووجود الدعاة فيها خطر على حياتهم لقربهم من عاصمة الخلافة ولكنهم مع ذلك تمكنوا بحسن تنظيمهم ان يصلوا الى هناك ، في وقت كانت السلطة الاموية قد نشطت في القضاء على الحركات السرية المناوئة لها (٦) . وقد حاول زيد الاعتماد على اكثر من تنظيم حزبي ، فعقد ارتباطا ببعض القبائل في الكوفة ، فتزوج ابنة يعقوب بن عبد الله السلمي ، وتزوج ابنة عبد الله ابن ابي العنبسي الازدي (٧) ، كما فعل معاوية بن أبي سفيان من قبل ،

---

(١) انساب الاشراف ٢٠٢/٣ .

(٢) الاغاني ٢١/٧-٢٢ .

(٣) مقاتل الطالبين ص ١٤٥ .

(٤) الرقة : قصبة ديار مضر على الفرات بينهاوبين الانبار عشرين مرحلة (معجم البلدان ٢ /٨٠٢) .

(٥) انظر : ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٩٨ ، المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٩٠ .

(٦) اليعقوبي : ٢ /٣٨٣ .

(٧) الطبري : ٨ /٢٦٧ .

بزواجه من ميسون الكلبية ، التي ساندت قبيلتها حكم الامويين (١) وقد دفعه الحذر الشديد الى التنقل والاختفاء ليصبح بمنجاة عن جواسيس يوسف بن عمر « فتارة في بيت امرأته من الازد ، ومرة في اصهاره السليميين ، ومرة عند نصر بن خزيمة في بني عبس ، ومرة في بني غبر » (٢) . اقام زيد في الكوفة بضعة عشر شهرا (٣) ، قضى شهرين منها في البصرة (٤) ، وعندي انه بعد ان تم التنظيم في الكوفة غادرها الى البصرة للإشراف على التنظيمات هناك ، وذهب الى واسط للغرض ذاته (٥) . وهو بذلك قد فتح افاقا واسعة دلت على علمه الدقيق بالاحداث ، حتى احصي ديوانه من اهل الكوفة خمسة عشر الف رجل ، سوى اهـــل المدائن والبصرة وواسط ، والموصل ، وخراسان ، والري وجرجان (٦) وفي خلال هذه الاشهر كان زيد قد تهيأ للثورة ، وحدد يوم الاربعاء اول ليلة من صفر سنة ١٢٢ هـ بداية لها (٧) . كـل هذا كان يحدث في الكوفة وما جاورها ، ولم يكن لوالي الكوفة علم بذلك : وحدث مرة ان احد الامويين استطاع في الكوفة الحصول على بعض اخبارها ، ويبدو ان ذلك حدث بفعـــل فلتات اللسان ، فأرسل يخبر الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب

---

(1) Muir , Caliphate , P , 316

(٢) الطبرى ٨/٢٦٧ .

(٣) مقاتل الطالبين ص ١٣٥ .

(٤) انساب الاشراف ٣/٢٠٢ .

(٥) المرتضى : الفصول ١/٧ .

(٦) انساب الاشراف ٣/٢٠٢ ، مقاتل الطالبين ص ١٣٧ .

(٧) انساب الاشراف ٣/٢٠٢ .

هشام الى والي الكوفة : « انك لغافل وزيد غارز ذنبه بالكوفة يبايع له ، فألجج في طلبه ، فأعطه الامان فان لم يقبل فقاتله »(١) فبث يوسف بن عمر عيونه يتصيد الاخبار ، غير ان ذلك لم يجده نفعا . فلجأ يوسف بن عمر الى حيلة سبقه اليها عبيد الله ابن زياد حينما اعياه العثور على مسلم بن عقيل (٢) . فأمر يوسف ابن عمر مملوكا خراسانيا له ، باظهار ولائه للدعوة ، وحب اهل البيت والرغبة في مساعدتهم . وقد امده يوسف بن عمر ببعض المال ، فذهب ذلك الخراساني وادخل على زيد ، فلما خرج منه اخبر يوسف بن عمر بالمكان ، فداهمت الشرط زيدا(٣) غير انهم لم يجدوه هناك ذلك الوقت لتنقله السريع واختفائه (٤) وقد استمر زيد على عادته متنقلا بين اعوانه حتى استطاع احد الجواسيس المدعو سليمان بن سراقة البارقي ان يضبطه وهو يهم بدخول احدى الدور ليلا ، فأخبر يوسف بن عمر بذلك ، وارسل يوسف شرطه الى ذلك المكان ، فلم يجد له اثرا ، ولكنه القى القبض على رجلين من انصار زيد ، كانا هناك . فاحضرهما يوسف وعذبهما حتى ادليا بأمور تتعلق باسرار الدعوة ، ثم ضربت عنقيهما (٥) وكانت الخطة التي وضعها زيد تهدف الى الثورة في ليلة واحدة في جميع المدن التي بايعته ، ثم السيطرة

(١) الطبرى ٢٧٧/٨ .

(٢) ابى مخنف : مقتل الحسين ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) الطبرى ٢٧٧/٨ .

(٤) فلهاوزن : الخوارج والشيعة ص ٢٧٥ .

(٥) الطبري ٢٧٢/٨ : مقاتل الطالبيين ص ١٣٥ .

عليها . فلما علم يوسف بذلك ، قام بتدابير سريعة لمواجهة الموقف فرحل يوسف بن عمر الى واسط ، وتأكد من سلامة ابوابها ، وزج بالسجن من شك في ولائه للسلطة ، وشحن المدينة بالفرسان ثم عاد الى الكوفة (١) ، فأمر نائبه فيها الحكم بن السلط بجمع اهل الكوفة في المسجد حتى يشل الثورة ويقف في طريق من يريد الالتحاق بها ، ثم اصدر بيانا قال فيه : « ايما رجل من العرب والموالي ادركناه في رحبة المسجد فقد برئت منه الذمة »(٢) وذكر ابن عساكر ان يوسف بن عمر اشرف بنفسه على هذه الاعمال كلها ، فأمر بالصلاة جامعة ، وحذر من لم يأت بالعقوبة فدخل الناس المسجد ومن ثم بنيت عليهم الابواب (٣) ، كما انتشرت الشرطة في ازقة الكوفة (٤) لارهاب من في المسجد . وارسلت مجموعة اخرى من الشرط لتتبع اثر زيد ، خاصة بعد ان عرفت اماكن اختفائه ، فهوجمت دار معاوية بن اسحاق ، وكان زيد قد خرج منها (٥) . ولما راى زيد ذلك ، اضطر الى تقديم موعد اعلان الثورة ، خوفا من ان يلقي شرط يوسف ابن عمر القبض عليه قبل اعلانها ، فتم الاتفاق على ليلة الاربعاء لسبع بقين من المحرم سنة ١٢٢ هـ بدلا من الاتفاق السابق وهو

---

(١) انساب الاشراف ٣/٢٠٢ .

(٢) الطبرى ٨/٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) مقاتل الطالبين ص ١٣٦ .

(٥) الطبرى ٨/٢٧٢ .

ليلة الاربعاء اول ليلة من صفر ١٢٢ هـ (١) ، وهذا دليل اخر على قوة وعي زيد للظروف المحيطة به ، وقابليته لتقدير اهمية المباغتة في الحرب ، فقيام الحركات ليلا ذو اهمية عسكرية كبرى ، حيث يستطيع المهاجم ، بأقل عدد من الجند ، اثارة الفزع في صفوف العدو ومستغلا الظلام ، وحال المدافع النفسية حيث يثيره الفزع لأقل حركة لجهله بها ، كما يستطيع المهاجم غير المدافع بتحركه نحو هدفه بدون ان يكشف ذلك ، او يعرف عدده وقوته (٢) . وقد عبر احد الاعراب عن اهمية الظلام هذه بقوله : « خرجنا في ليلة حندس قد ألقت على الارض اكارعها ، فمحت صورة الابدان ، فما كنا نتعارف الا بالاذان » (٣)

ليلة الثورة

خرج زيد بن علي من منزل معاوية بن اسحاق الانصاري في الموعد المحدد للثورة ، في ليلة شديدة البرد (٤) ، محاطا بأصحابه ، فأوقدوا النيران في المشاعل ايذانا باعلان الثورة ودوت في سماء الكوفة صيحات « يامنصور امت » اشارة بدأ الهجوم وحاول الثوار السيطرة على المدينة (٥) . غير ان عددهم لم يكن

---

(١) انساب الاشراف ٢٠٢/٣ ، مقاتل الطالبيين ص ١٣٦ .

(2) Sweet , Tactics and Technique Of Infantry , Vol . I , 110

(٣) شرح نهج البلاغة ٧٣/١ .

(٤) انساب الاشراف ٢٠٢/٣ .

(٥) الطبرى ٢٧٣/٨ .

كافيا لتحقيق هـذا الغرض ، فاستمروا طوال الليـل يجمعون انصارهم ، ونيرانهم مشتعلة حتى الصباح ، وفي الصباح بعث زيد القاسم التنعي الحضرمي ورجـلا آخرا يناديان بشعارهما ، ويدعوان الناس الى الانضمام للثورة ، وبينما كانا يقومان بهـذه المهمة اذ اصطدما بجعفر بن العباس وكان على جند الشام ، اما الرجل فقتل ، واما القاسم فأخذ وضربت عنقه ، فكان هـذا اول قتيل من اصحاب زيد (١) . وارسل زيـد سعيد بن خيثم وكان رجلا صيتا ينادي بشعـاره (٢) . وتختلف الروايات في عدد من وافاه من اصحابه ، فبعض الروايات تذكر انهم بلغوا مائة وخمسين رجلا (٣) ، واخرى تذكر ان عددهم كان مائتين وثمانية عشر رجلا ، وقد ساء هذا زيدا ، لانه كان يتوقع ان ينضم اليه كل من بايعه (٤) . وذكر سعيد بن خيثم انـه كان « مع زيد خمسمائة واهل الشام اثنا عشر الفـا » (٥) ويبدو ان هذه الروايات الثلاثة لا تعكس صورة حقيقية لا تباع زيـد ، الذين قاتلوا معه جند الشام ، ذلك انه لا يعقل ان يتمكن زيد من السيطرة على الكوفة مدة يومين (٦) ، واتباعه بهذه القلة ، وجنود الشام الذين كانوا يصدون الثورة بمثل هذا العدد الكثير

---

(١) الطبري ٨/٢٧٣ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٣٦ .

(٣) انساب الاشراف ٣/٢٠٢

(٤) مقاتل الطالبيين ص ١٣٧ .

(٥) المرجع السابق ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٦) الطبري ٨/٢٧٤ ، فلها وزن : الخوارج والشيعة ص ٢٥٩ .

اذ لا تكافؤ بين المعسكرين . فلابد ان يكون اتباع زيد اكثر من هذا بكثير . ويؤيد هذا ما ذكره البلاذري من ان نصر بن خزيمة « دعا قوما من قيس فتتام مع زيد منهم الف رجل»(١) فاذ كان الذين استجابوا لدعوة زيد من قبيلة قيس فقط عددهم هذا ، فكم كان معه من بقية القبائل ؟ ويذكر ابن عساكر ان ابا كثير كان يضرب بغلته ويقول : « الحمد لله الذي سار بي تحت رايات الهدى » (٢) ، يعني رايات زيد . كما روى ان الرايات لما خفقت على رأس زيد قال : « الحمد لله الذي اكمل ديني والله اني كنت استحي من رسول الله - ص - ان ارد عليه الحوض ولم آمر بمعروف » (٣) . وهذا يعني ان هناك قوة كبيرة استعرضها زيد قبل بدء الهجوم وخطب فيها قائلا : « عليكم بسيرة امير المؤمنين علي بالبصرة والشام ، لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا مغلقا ، والله على ما نقوله وكيل » (٤) .

القتال فى شوارع الكوفة

انطلق زيد من جبانة سالم (٥) ، ومن هناك بدأ يوجه

(١) انساب الاشراف ٣/٢٠٣ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/٢٤ .

(٣) ابن الطقطقي : تاريخ الدول الاسلامية ص ١٢٣ ، ابن عنبة : عمدة الطالب ٢٥٦ .

(٤) الحدائق الوردية ١/١٤٨ .

(٥) انساب الاشراف ٣/٢٠٣ .

اصحابه الى ساحة القتال جماعات جماعات ، فخرج نصر بن خزيمة على رأس جماعة ، فالتقى بعمرو بن عبد الرحمن ، و كان على شرط يوسف بن عمر ، في خيله من جهينة ، و كان ذلك عند دار الزبير بن ابي حكيمة ، فقتل عمرو ، وانهزم من كان معه من جند الشام (١) . واخذ زيد يطارد جند الشام في شوارع الكوفة فشن حملة على جبانة الصائدين ، حيث عسكر بها خمسمائة من اهل الشام فهزمهم (٢) . وكانت خطة زيد ان تهاجم كل جماعة من اتباعه ، جماعة من جند الشام ، ثم شن حملة اخرى تجاه مصلى خالد بن عبد الله ، ووجه جماعة اخرى نحو الكناسة (٣) والظاهر ان اتباع زيد كانوا في هذه اللحظة قد حوصروا في مسجد الكوفة وحيل بينهم وبين الالتحاق بزيد ، وكان هذا اول انتكاس واجهه زيد . وقد حاول زيد ان يتغلب على الموقف ، فاتجه صوب المسجد لفك الحصار عمن بداخله يسانده نصر بن خزيمة ، غير ان عبيد الله بن العباس الكندي ، وكان على جند الشام ، اعترضه عند باب عمر بن سعد بن ابي وقاص فنشبت على اثرها معركة ادت الى انهزام عبيد الله واصحابه (٤) واصبح المجال مفتوحا امام زيد ليدخل المسجد ليفك الحصار عن اصحابه ، فأمر اصحابه ان ينشروا راياتهم ويرفعوها ليراها من في داخل المسجد ، ثم خاطبهم نصر بن خزيمة يحرضهم

(١) مقاتل الطالبيين ص ١٣٨ .

(٢) الطبري ٨/٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ٨/ ٢٧٤ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص ١٣٨ .

« يأهل المسجد اخرجوا من الذل الى العز ، اخرجوا الى الدين والدنيـا ، فانكم لستم في دين ولا دنيا » (١) . فلم يبـد من في المسجد اي حركة تدل على الاستجابة لهذا النـداء ، وفي ذلك الوقت جوبه زيد واصحابه بمقاومة شديدة من جند الشام المكلفين بحراسة المسجد ، مما اضطر زيد واصحابه الى التراجع نحو دار الرزق ، بعد سماعهم انباء عن وصول مدد جديد لجند اهـل الشام (٢) . وقد اتخذ زيد دار الرزق مقراً لعملياته العسكرية ، لأنها كانت محلا لحفظ الاموال والصدقات والغنائم ، وكانت تقع في مكان حصين ، فهي عند باب الجسر حيث يسندهانهر الفرات من الخلف مما يصعب مهاجمتها والاستيلاء عليها (٣) وكدس زيد اكواما من الخشب في الطريق اليها ليصعب اجتيازها وذلك زيادة في التحصين (٤) . ولما علم جند الشام بذلك هاجموا دار الرزق بقيادة الريان بن سلمة ، وجرت معركة ضاريـة بين الطرفين ، تقهقر على اثرها جند الشام وعادوا « وهم اسوء شيء ظنا » (٥) . واسدل الظلام ستاره ، وحـال ذلك دون استمرار القتال . وكان هذا خلاصة ما جرى في اليوم الاول من الثورة ولما حلَّ الليل سهل على كثيرين من اصحاب زيـد ممن تخلوا عنه ، ان يلتحقوا به ، خاصة بعـد ان شاعت في

(١) انساب الاشراف ٣/٢٠٣ .

(٢) الطبري ٨/٢٧٣ .

(٣) ماسنيون : خطط الكوفة ص ٢٢ ، وانظر خارطة الكوفة لماسنيون .

(٤) الطبري ٨/٢٧٥ .

(٥) مقاتل الطالبين ص ١٣٩ .

المدينة انتصاراته على القوات الشامية(١). وفي الليل عقد يوسف ابن عمر في مقره اجتماعا لاتخاذ ما يجب لمقاومة الثورة، فلما اطل صباح الخميس سير العباس بن سعيد المزني صاحب شرطه في اهل الشام تجاه دار الرزق. اما زيد فانه عبأ اصحابه وكان عليه درع تحته قباء ابيض، ومعه سيف ودرقة (٢)، وجعل على مجنبتيه نصر بن خزيمة العبسي، ومعاوية بن اسحاق الانصاري وخرج لملاقاة جند الشام. ودارت رحى معركة عنيفة قتل فيها نصر بن خزيمة، وابلى فيها زيد بلاءً حسنا (٣)، « فما رأى الناس قط فارسا اشجع منه » (٤). فلما رأى العباس ذلك فر بأصحابه. وظل زيد مسيطرا على الموقف، غير ان يوسف ابن عمر عاد فجهز حملة جديدة بقيادة العباس بن سعيد لمهاجمة زيد ولما رأى زيد ذلك « صف اصحابه صفا بعد صف، حتى لا يستطيع احدهم ان يلوي عنقه » (٥). ويظهر ان زيدا اراد في هذه اللحظة ان يقوم بهجوم شامل لاكتساح جند الشام، فخرق صفوفهم آخذا بهم نحو السبخة، ثم اخرجهم الى بني سليم، وتبعهم حتى المسناة، وكان صاحب لوائه عبد الصمد بن ابي مالك بن مسرح، وضج جند الشام لما رأوا حراجة الموقف وكادوا ينهزمون، لولا ان يتداركهم العباس بن سعيد حيث

---

(١) الطبري ٨/٢٧٤.

(٢) انساب الاشراف ٣/٢٠٢.

(٣) الطبري ٨/٢٧٥.

(٤) انساب الاشراف ٣/٢٠٢.

(٥) ابن عنبة: عمدة الطالب ص ٢٧٥.

بعث الى يوسف بن عمر يخبره بذلك ،و طلب منه ان يمده بقوة جديدة لمواجهة الموقف ، فأرسل يوسف بن عمر ، سليمان بن كيسان الكلبي في القيقانية والبخارية ، وهم ناشبة ، فجعلوا يرمون زيدا واصحابه واستمر القتال بين الجانبين ، وقتل معاوية ابن اسحاق ، ثم اخذهم الليل بسدوله وهم يتقاتلون (١) . وهذا مجمل ما جرى في اليوم الثاني للثورة . اما زيد فانه اصيب في ذلك المساء بسهم في جبهته اليسرى (٢) . فحمله اصحابه الى دار الجوارين بالسبخة (٣) ، ويقال الى دار حران بن كريمة في سكة البريد (٤) ، وطلبوا طبيبا لانتزاع السهم ، فما ان انتزعه حتى فارق الحياة ، ودفنه اصحابه في تلك الليلة (٥) . وقد اختلف المؤرخون في مكان دفنه ، فبعضهم يرى انه بموضع من دار الجوارين حيث اجروا عليه ساقية من ماء السبخة كي يعفوا قبره (٦) . وبعضهم الأخر يرى ان اصحابه انطلقوا به الى العباسية (٧) فحفروا له حفرة في ساقية ثم اجروا عليها الماء (٨) . فرآهم

---

(١) الطبري ٨/ ٢٧٥ .

(٢) انساب الاشراف ٣/ ٢٠٣ ، مقاتل الطالبيين ص ١٤١ .

(٣) انساب الاشراف ٣/ ٢٠٣ :

(٤) مقاتل الطالبيين ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٥) الطبري ٨/ ٢٧٦ .

(٦) انساب الاشراف ٣/ ٢٠٣ .

(٧) العباسية : تقع غربي الخزيمية (معجم البلدان ٤/ ٧٥) والخزيمية من منازل الحاج بعد الثعلبية (معجم البلدان ٢/ ٣٧٠) .

(٨) مقاتل الطالبيين ص ١٤٢ .

عبد نبطي يسقي زرعا ، فلما اصبح اتى الحكم بن الصلت فأخبره ودله على مكان القبر فاستخرجوه ، فجيء به فصلب هو ونصر ابن خزيمة ، ومعاوية بن اسحاق الانصاري ، وزياد النهدي (١) وبعث برأس زيد الى هشام بن عبد الملك ، فأمر به فنصب على باب دمشق ، ثم ارسل الى المدينة (٢) ، حيث نصب عند قبر النبي يوما وليلة (٣) ، ثم ارسل رأسه الى مصر حيث طيف به هناك بعد تعليقه (٤) . ثم سرقه اهل مصر ودفنوه (٥) . ولم تزل جثته مصلوبة حتى ايام الوليد بن يزيد ، فلما ظهر يحيى بن زيد في خراسان عام ١٢٥ هـ ، كتب الوليد بن يزيد الى يوسف ابن عمر : « اذا اتاك كتابي هذا فانظر عجل اهل العراق فأحرقه وانسفه في اليم نسفا ، والسلام » (٦) . فأحرقه ثم ذراه في الفرات وقال : « والله يا أهل الكوفة لادعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم » (٧) . وقيل ان حرقه تم في خلافة هشام بن عبد الملك حيث اشاع الموكل بحراسته انه رأى النبي وقد وقف على الخشبة التي كان زيد قد صلب عليها ، وقال : « هكذا تضعون بولدي

---

(١) الطبرى ٨/٢٧٦ ، مقاتل الطالبيين ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) الطبري ٨/٢٧٧ .

(٣) عمدة الطالب ص ٢٥٨ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ١/٢٨١

(٥) الكندي : الولاة وكتاب القضاة ص ٨١ .

(٦) مقاتل الطالبيين ص ١٤٧ .

(٧) اليعقوبي ٢/٣٩١ ؛

من بعدي ، يابني زيد قتلوك قتلهم الله ، صلبوك صلبهم الله»(١) فكتب يوسف بن عمر الى هشام : «ان عجل العراق قدفتنهم»(٢) فكتب اليه هشام ان احرقه بالنار فأحرقه (٣) . وخطب يوسف ابن عمر بعد قتل زيد فقال : « ياأهل المدرة الخبيثة اني والله ما تقرن بي الصعبة ، ولا يقعقع لي بالشنان ، ولا اخوف بالصغار والهوان ، لاعطاء لكم عندي ولا رزق ، ولقد هممت ان اضرب بلادكم ودوركم ، واحرمكم اموالكم ، أما والله ما علوت على منبري الا اسمعكم ما تكرهون عليه . فانكم اهل بغي وخلاف ما منكم الا من حارب الله ورسوله » (٤) . وقال : « لقد سألت أمير المؤمنين ان يأذن لي فيكم ، ولو اذن لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم » (٥) .

رثاء زيد

استشهد زيد بن علي في سبيل الدفاع عن المبادىء الاسلامية والمثل العليا التي جاءت بها تعاليم الاسلام ، بهذا بقيت ذكراه عامرة في قلوب المؤمنين وكان شأنه في هذا ، شأن المجاهدين في سبيل الله ممن ضحوا بأنفسهم في سبيل الاسلام (٦) . وكان

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ١٤٤ .

(٢) و (٣) مقاتل الطالبيين ص ١٤٤ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٣/٦

(٤) الطبري ٢٧٨/٨ .

(٥) المرجع السابق ٢٧٩/٨ .

(٦) القمي : عيون اخبار الرضا ٢٤٩/١ ، ٢٥٢ .

استشهاده مصدر وحي للشعراء ، ومادة خصبة للادب العربي
قال السيد الحميري يرثيه (١) :

بت ليلي مسهداً ساهر الطرف مقصدا
ولقد قلت قولة واطلت التلبدا
ويزيد فانه كان اعتى واعتدا
الف الف والف الف من اللعن سرمدا
انهم حاربوا الاله وآذوا محمدا
ثم عالوه فوق جذع صريعا مجردا

ويصف فضل بن العباس بن عبد الرحمن ما صار اليه زيد بعد مقتله ويقارن بينه وبين اهله الذين خروا صرعى في ساحات القتال فيقول (٢) :

الا ياعين لا ترقي وجودي بدمعك ليس ذا حين الجمود
غداة ابن النبي ابو الحسين(٣) صليب بالكناسة فوق عود
يظل على عمودهم ويمسي بنفس اعظم فوق العمود
تعدى الكافر الجبار فيه فأخرجه من القبر اللحيد
فظلوا ينبشون ابا حسين خضيبا بينهم بدم جسيد
وجاور في الجنان بني ابيه واجدادا هم خير الجدود
فكم من والد لابي حسين من الشهداء او عم شهيد
ومن ابناء اعمام سيلقى هم اولى به عند الورود
دماء معشر نكثوا أباه حسينا بعد توكيد العهود

(١) الطبري ٨/٢٧٨ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٤٩ .
(٣) ابو حسين : هو زيد بن علي :

فسار اليهم حتى اتاهم فما راعوا على تلك العقود
وكيف تضن بالعبرات عيني وتطمع بعد زيد في الهجود

وقال ابو ثميلة الابار (١) :

ابا الحسين اعار فقدك لوعة من يلق ما لقيت منها يكمد
فغدا السهاد ولو سواك رمت به الاقدار حيث رمت به لم يشهد
ونقول لا تبعد وبعدك داؤنا وكذاك من يلق المنية يبعد
كنت المؤمل للعظائم والنهى ترجى لامر الامة المتأود
فقتلت حين رضيت كل مناضل وصعدت في العلياء كل مصعد
فطلبت غاية سابقين فنلتها بالله في سير كريم المورد
وابى الهلك ان تموت ولم تسر فيهم بسيرة صادق مستنجد
والقتل في ذات الاله سجية منكم واحرى بالفعال الامجد
والناس قد امنوا وآل محمد من بين مقتول وبين مشرد
نصب اذا القى الظلام ستوره رقد الحمام وليلهم لم يرقد
ياليت شعري والخطوب كثيرة اسباب موردها وما لم يورد
ما حجة المستبشرين بقتله بالامس او ما عذر اهل المسجد

ويصف السيد الحميري منزلة زيد عند ربه فيقول (٢) :

فالناس يوم البعث راياتهم خمس فمنها هالك اربع
قائدها العجل وفرعونهم وسامري الامة المفظع
وما رق من دينه مخرج اسود عبد لكع أوكع
وراية قائدها وجهه كأنه للشمس اذا تطلع

(١) مقاتل الطالبيين ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) الاغاني ٧/٢٥٢ :

وقال شاعر الخوارج حبيب بن جدرة الهلالي يرثيه ويصف غدر اهل الكوفة (١) :

يااباحسين والامور الى مدى ... اولاد درزة اسلموك وطاروا
يابا حسين لو شراة عصابة ... علقتك كان لوردهم اصدار

وقال :

اولاد درزة اسلموك مبللا ... يوم الخميس لغير ورد الصادر
تركوا ابن فاطمة الكرام تقوده ... بمكان مسلمـــة لعين الناظر

وقال يحيي بن زيد : (٢)

خليلي عني بالمدينة بلغا ... بني هاشم اهل النهى والتجارب
فحتى متى مروان يقتل منكم ... خياركم والدهر جم العجائب
وحتى متى ترضون بالحرق منهم ... وكنتم اباة الخسف عند التجارب
لكل قتيل معشر يطلبونـــه ... وليس لزيد بالعراقين طالب

وقال الصاحب بن عباد (٣) :

بدا الشيب في رأسي تفاريق ... وحان للهو تحميص وتطليق
هذا فلا لهم هم يعوقني ... بيوم زيد وبعض الهم تعويق
لما رأى ان حق الدين مطرح ... وقد تقسمه نهب وتمحيق
وان امر هشام في تفرعنـــه ... يزداد شرا وان الرجس تنديق
قام الامام بحق الله تنهضه ... محجة الدين ان الدين مرموق
يدعو الى ما دعى آباؤه زمنا ... اليه وهو بعين الله مرموق

---

(١) الحور العين ص ١٨٧ :
(٢) مقالات الاسلاميين ١/١٣١ .
(٣) الحدائق الوردية ١/١٦١ .

وىما قيل فيه (١) :

مصيبة زيد انها لعظيمة اذا ذكرت يوما نسيت المصائبا
قتيلا نبيشا بارزا فوق جذعه بوجنته يلقى الظبا والقواظبا

فشل الثورة

قضي على ثورة زيد بن علي في العراق ، على الرغم من جميع الظروف المؤاتية لها ، وعلى الرغم مما كانت عليه من دقة في التنظيم وسرية في العمل ، وذلك لاسباب عدة :

احدها وجود جند اهل الشام . لقد اشتهر العراق منذ القديم بثرائه « فهو قلب الارض وخزانة الملك الاعظم ، وما قد خص الله جل وعلا ، به اهل الكوفة خاصة من عمل الوشي والخز وغير ذلك من انواع الفواكه والتمور والقسوب»(٢) وكان الامويون قد اتخذوا منه موردا مهما لبيت المال في دمشق(٣) فقد بلغت جباية معاوية للكوفة وسوادها « خمسين الف الف درهم » (٤) . وبلغ خراج « البطائح » (٥) خمسة آلاف الف درهم (٦) ، هذا عدا هدايا النوروز والمهرجان التي بلغت عشرة

(١) الشافعي : تحفة الراغب ص ٣١ .

(٢) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ٢٥٢ .

(٣) فتوح البلدان ص ٢٩٣ .

(٤) اليعقوبي ٢/٢٥٨ .

(٥) البطائح : اراض واسعة بين واسط والبصرة كانت قديما قرى متصلة وارضا عامرة (معجم البلدان ١/٦٦٦) .

(٦) قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ص ٢٤٠ .

آلاف الف درهم من البصرة وحدها (١) . وجبى عمر بن عبد العزيز العراق فحصل على مائة الف الف واربعة وعشرين الف الف درهم (٢) . وكانت لمسلمة بن عبد الملك اراض واسعة استغلها في الزراعة (٣) ، وكذلك هشام بن عبد الملك (٤) ، وبلغت غلة خالد القسري ثلاثة عشر الف الف درهم (٥) . وكان العراق ايضا مركزا للجند الاحتياطي في الفتوح التي سارت شرق المملكة الاسلامية (٦) ، واستخدم رجاله في مقاومة الخوارج والقضاء على ثوراتهم (٧) . لهذا كله رأينا الامويين يقوون نفوذهم في العراق ، ويهتمون كثيرا بدعم سلطانهم فيه فلم يكتفوا بالجند الذي اقاموه من اهل العراق ، ولكنهم اضافوا اليه الجند الشامي ، وكان هذا احد الاسباب التي حملت الحجاج ابن يوسف الثقفي على بناء واسط عام ٨٣ هـ (٨) ، لتكون معقلا للجند الذي اريد به ان يكون اداة للقضاء على الثورات التي كانت تهدف الى تقويض حكم الامويين في العراق . هذا الى ان العراق بحكم موقعه الجغرافي كان بابا للقسم الشرقي من

(١) اليعقوبي ٢/٢٥٩ .

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٤ - ١٥ .

(٣) فتوح البلدان ص ٢٩٤ ، الخراج وصنعة الكتابة ص ٢٤١ .

(٤) فتوح البلدان ص ٢٩٣ .

(٥) الطبري ٨/٢٥٠ .

(٦) فتوح البلدان ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٤٢٩ ، الطبري ٨/٢١١ .

(٧) الطبرى ٧/٢٢٩ .

(٨) الطبري ٨/٣٦ - ٣٧ ، ابن الاثير ٥/٢٠٤ - ٢٠٥ .

مملكة الاسلام (١) ، فلما ثار زيد بن علي بالكوفة هب الامويون للقضاء على هذه الثورة بكل ماأوتوا من قوة (٢) ، معتمدين في ذلك بصورة رئيسية على الجند الشامي بالاضافة الى المرتزقة من القيقانية (٣) والبخارية (٤) الذين لم يكونوا من العرب . ولما علم هشام بن عبد الملك ببيعة زيد في الكوفة ارسل الى العراق نجدات عسكرية اخرى من الشام لتكون سنداً لجند اهل الشام(٥) وبهذه الوسائل تمكن هشام من اخماد ثورة زيد بن علي . وهذا يدل دلالة واضحة على ان الجند العراقي الذي كان تابعا للدولة الاموية ، لم يكن له اثر مهم في القضاء على ثورة زيد ، وان الدور الحاسم في ذلك كان قائما على جنود اهل الشام .

وثانيها انه كان للتجسس اثر بعيد في القضاء على تلك الثورة . ولا يخفى ان للتجسس اهمية غير قليلة في شل الحركات السرية منها والعلنية (٦) ولهذا اتخذه الامويون اداة لعرقلة كل حركة من شأنها مناوأة حكمهم ، وذلك منذ تأسيس الدولة

(١) فتوح البلدان ص ٣٣٤ ، ٣٨٧ ، ٤٠٣ .

(٢) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٧٩ .

(٣) القيقانية : نسبة الى القيقان من بلاد السند مما يلي خراسان (معجم البلدان ٤/٢١٧) .

(٤) البخارية : نسبة الى بخارى من اعظم مدن ما وراء النهر (معجم البلدان ١/٥١٧) .

(٥) انساب الاشراف ٣/٢٠٣ .

(٦) انظر مقالة « لمحات عن الجاسوسية في العصر العباسي » لنعمان ماهر الكنعاني المجلة العسكرية العراقية ، الجزء الثاني ١ نيسان ١٩٥٠ .

الاموية . فقد بث معاويـة بن ابي سفيان الرجال لتتبع آثـار معارضيه في كل مكان ومراقبة حركاتهم (١) . واتبع ولاته هذه السيرة ، فبثوا العيون والارصاد لمعرفة اعـداء الدولة (٢) فلما تهيأ زيد بن علي للثورة ، حصل لوالي الكوفة علـم بذلك بواسطة جواسيسه الذين كانوا يراقبون زيدا ،ويعرفون الاماكن التي يختفي فيها ، كما يعرفون كثيرا من اعوانه . فقد وصـل الى علمهم ساعة الصفر المحددة للثورة ، وهذا ما حمل زيدا على تقديم موعد الثورة والتعجيل بها قبل الموعد الذي جعله بينـه وبين اهل الكوفة (٣) . ولا شك ان لهذا اثراً في ضعف الوسائل التي اريد بها تحقيق الخطط الموضوعة للثورة .

وثالثها مشاكل الخلافة . وذلك ان تبـاين وجهات نظر اهل العراق في الخلافة كان من الاسباب التي فتت في عضـد الثورة . فقد كان في العراق من يرى الخلافة من حق آل البيت وحدهم لا يشاركهم فيه احد . وكان هناك آخرون يرونانها حق لقريش جميعهم . وكان هناك فريق ثالث يرفض ذينك الرأيين . هذا الى ان الناس كانوا يختلفون اشد الاختلاف في تقديرهم لمقام الصحابة . فلما جاء زيد الى العراق واراد القيـام بالثورة ، حاول ان يجمع اليه الناس على اختلاف وجهات نظرهم ويجعل منهم كتلة واحدة لتقوم بالثورة على الامويين . فسلك مسلكا من شأنه ان يضعف اسباب الخلاف بين هذه الجماعات

(١) المقدسي : البدء والتاريخ ٥/٦ .

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ١٩٨ ، الخوارج والشيعة ص ١٦٣

(٣) الطبري ٢٧٢/٨ .

فقال : « ان عليا افضل الصحابة ، الا ان الخلافة فوضت الى ابي بكر وعمر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة » (١) . وهذا الرأي الذي جاء به زيد كان له تأثير فعلي في استجابة الناس وتوجيه القوى المختلفة ضد الامويين « فلم يكن الزيدي احرص عليها من المعتزلي ولا المعتزلي اسرع اليها من المرجي ، ولا المرجي من الخارجي » (٢) فكانت البيعة تشمل فرق الامة كلها (٣) . بيد ان هذا الائتلاف الذي عمل جاهدا من اجل تحقيقه لم يدم طويلا ، فقد عاد الناس الى اختلافاتهم ، وكان له اثر في فشل الثورة ، روى صاحب المحبر أن الرافضة سميت بذلك بسبب زيد « ذلك انهم بايعوه ثم امتحنوه بعد ، فتولى ابا بكر وعمر فرفضوه » (٤) . اما هشام بن الكلبي فقد حدد لنا ذلك الامتحان بقوله : « لما راى اصحاب زيد الذين بايعوه ان يوسف بن عمر قد بلغه امر زيد ، وانه يدس عليه ويستبحث عن امره ، اجتمعت اليه رؤوسهم ، فقالوا : رحمك الله ما قولك في ابي بكر وعمر؟ قال زيد رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت احدا من اهل بيتي تبرأ منهما ، ولا يقول فيهما الا خيرا ، فلما سمعوا ذلك رفضوه » (٥) اما البغدادي فقد جعل حدوث المشكلة هذه اثناء القتال ، ذكر

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ١/١١٦ .

(٢) الحور العين ص ١٨٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٤) البغدادي ، محمد بن حبيب : المحبر ص ٤٨٣ ،

(٥) الطبري ٨/٢٧٢ .

انه « لما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي ، قالوا له : انا ننصرك على اعدائك بعد ان تخبرنا برايك فى امامة ابي بكر وعمر ، فقال زيد اني لااقول فيهما الا خيرا ومـا سمعت ابي يقول فيهما الا خـيرا فرفضوه » (١) . وذكر الاسفراييني انه حين « اشتد بهم القتال قال الذين بايعوه : آه ما تقول في ابي بكر وعمر ؟ فقال زيد : اثنى عليهما جدي علي بن ابي طالب وقال فيهما خيرا ، وانما خروجي على بني اميـة فلما سمعوا ذلك منه رفضوه » (٢) . ولم تكن آراء زيد بن علي هذه غريبة عمن بايعه ، قال السدى : « اتيته ـ يعني زيدا ـ فقلت لـه : انتم ساداتنا وانتم ولاة امورنا فما تقول في ابي بكر وعمر ! فقـال تولهما » (٣) . وقال محمد بن سالم : « كان زيد مختفيـا فذكر ابو بكر وعمر فقال زيد : مه يابن سالم لو كنت حاضرا مـا كنت تصنع ؟ قال : اصنع ما صنع علي ، قال زيـد : فارض بما صنع علي » (٤) . من هذا نستدل على ان البيعة تمت والناس على علم بما يحمل زيد من افكار ، فلا يصح مناقشته بعد ذلك وهنا نسأل عن مصدر هذه المشكلة واسبابها ؟ . ان مصـدر المشكلة هذه هم اهل الكوفة الذين بايعوا زيدا ومن ثم رفضوه لمقالته في ابي بكر وعمر . والكوفة شيعة الامام علي بن ابي طالب

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ .

(٢) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٣٤ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٩/٦ .

(٣) المرجع السابق ١٩/٦ .

الذين « قدموه على سائر اصحاب الرسول » (١) وقالوا : « ان عليا اولى الناس بمقام رسول الله واحقهم بالامر في امته » (٢) وهم يرون ان جميع الخلفاء الذين سبقوا الامام عليا مغتصبون للخلافة (٣) . وهذا ما كشفه النقاش الذي دار بينهم وبين زيد حين قالوا له : « ما قولك في ابي بكر وعمر ؟ قال زيـد : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت احدا من اهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما الا خيرا ، قالوا : فلم تطلب اذن بدم اهل هذا البيت الا انهما وثبا على سلطانكم فنزعاه من ايديكم ، فقال زيد ان اشد ما اقول فيما ذكرتم إنا احق بسلطان رسول الله ـ ص ـ من الناس اجمعين ، وان القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا ، وقد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة . قالوا : فلم يظلمك هؤلاء اذ كان اولئك لم يظلموك ، فلم تدعو الى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ، ففارقوه ونكثوا بيعته » (٤) . فالنقاش يبرز عقدة الخلاف عند اهـل الكوفة ، فليس هناك من فارق بين من اخذ الامر من الامام علي وبين خلافة الامويين ، لانهما ظلما اهل البيت غـير ان سؤالا يبرز وهو : كيف ساند هؤلاء زيدا ثم خذلوه ، وهم على عـلم بآرائه هذه ؟ ويأتي الجواب ، ان طبيعـة الثورة كانت تقضي بالثأر للحسين بن علي من جهة ، ومن جهة اخرى ، فانها تعمل

(١) مقالات الاسلاميين ١ / ٦٥ .

(٢) الحور العين ص ١٥٤ .

(٣) مقالات الاسلاميين ١ /٨٧ ، الخوارج والشيعة ص ٢٤٠ .

(٤) الطبري ٨ / ٢٧٢ .

على الخلاص من الامويين ، فاندفعوا اليها بعواطفهم ، باعتبار ان الاهداف التي ترمي اليها متفقة واماني اهل الكوفة فاحتال عليه بعض من كان يهوى هشام بن عبد الملك فدخلوا عليه وقالوا : « ما تقول في ابي بكر وعمر ؟ فقال رحم الله ابا بكر وعمر صاحبي رسول الله - ص - اين كنتم قبل اليوم ؟ فقالوا : ما نخرج معك او تتبرأ منهما ، فقال : لا افعل ، هما اماما عدل فتفرقوا عنه » (١) . وهكذا تكشف هذه الرواية السر في تفرق اهل الكوفة عنه . فقد كانت بمثابة رد فعل عنيف لمشاعرهم ، حيث كانت الاحداث وطبيعة الثورة قد الهتهم عن التفكير بها ، فلما واجهوها وجها لوجه ، لم يستطيعوا ان يقفوا مكتوفي الايدي ، فرفضوه حينما رفض ان يتبرأ من ابي بكر وعمر . وهكذا فان هذه المشكلة كانت سببا مهما في انفضاض الناس عنه ، ومن ثم فشل الثورة .

ورابعها تخاذل اهل الكوفة . فقد تعرض زيد بن علي ، كما تعرض من قبل الحسين بن علي لمحنة كبرى كان نصيبها الفشل (٢) ، وذلك من جراء تخاذل اهل الكوفة وفتور حماسهم وكانت للتدابير المشددة التي اتبعها يوسف بن عمر اثر بليغ في نفوس اهل الكوفة وتخاذلهم . فلما اراد يوسف بن عمر الحيلولة بين الناس وبين المشاركة في الثورة ، وامرهم بالدخول الى المسجد اندفعوا اليه لا يبدون ايّ مقاومة لهذا الامر ، حتى يخيل للناظر انهم رحبوا بالامر ، لانهم اعتبروه بمثابة عذر لهم

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/ ٢٣ .

(٢) الاخبار الطوال ص ٢٦١ ، الطبري ٦/ ٢٢٨ .

عن التخلف ، وعن عدم المشاركة في القتال . يدل على هذا ان زيدا واصحابه لما حرضوا الناس على الخروج من المسجد ومشوا لفك الحصار عنهم ، لم يروا استجابة من الناس (١) . ويوضح لنا الاعمش حالة القوم وتخوفهم من بطش يوسف ابن عمر بهم ، ذلك الامر الذي هو سر تخاذلهم في جوابه الذي بعث به الى زيد حينما دعاه للبيعة ، فقد قال له الاعمش : « لست آمن لك ـ جعلت فداك ـ الناس ، ولو انا وجدنا لك ثلثمائة رجل اثق بهم لغيرنا لك جوانبها »(٢) . فعلى الرغم من مبالغة الاعمش في تخاذل اهل الكوفة ، الا ان قوله ينطوي على فكرة واضحة عن حالة اهل الكوفة . وكان انس بن عمرو الازدي قد بايع زيدا ، فلما اشتد القتال لم يخرج مع المقاتلين ، فتوجه زيد نحو داره وجعل ينادي : اخرج الي رحمك الله فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا (٣) . لكن الرجل رغم سماعه النداء لم يخرج . وخذله ايضا قيس بن الربيع بعد ان بايعه (٤) وهنا احس زيد بخيانة اهل الكوفة فقال : « فعلوها حسبي الله » (٥) . والتفت الى نصر بن خزيمة قائلا : « يانصر اتخاف ان يكونوا فعلوها حسينية » (٦) ، معيدا الى الاذهان مأساة

---

(١) الطبرى ٨/٢٧٤ ، الخوارج والشيعة ص ٢٥٩ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٤٨ .

(٣) الطبري ٨/٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص ١٤٨ .

(٥) الطبري٨/٢٧٤، وانظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢/٤٣٩

(٦) الطبري ٨/ ٢٧٤ .

الحسين حين نكث اهل الكوفة عهودهم له . ويبدو ان الكميت ابن زيد الاسدي هو الاخر خير من يمثل لنا نفسية اهل الكوفة وتخاذلهم عند تأزم الامور . فقد كتب اليه زيد يدعوه : « ان اخرج الينا ياأعيمش ، الست القائل » :

ما ابالي اذا حفظت ابا القا   سم فيكم ملامـة اللوام

فكتب اليه الكميت :

تجود لـكم نفسي بما دون وثبة   تظل لها الغربان حول تجمل (١)

ولم يلتحق بالثورة لخوفه من القتل ، ثم اظهر الندم بعد ذلك فقال : (٢)

دعاني ابن الرسول فلم اجبه   ألا يالهف للداعي الوثيـق

حذار منية لابد منهـا   وهل دون المنية من طريق

وكان عيسى بن زيد يقول في اهل الكوفة : « لا اعرف موضع ثقة يفي ببيعته ويثبت عند اللقاء » (٣) . وموقف اهل الكوفة هذا يذكرنا بموقفهم ايام الامام علي ، فقد وصفهم بقوله : « ياأهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنتين ، صم ذوو اسماع ، وبكم ذوو كلام ، وعمى ذوو ابصار ، لا احرار صدق عند اللقاء ، ولا اخوان ثقة عند البلاء ، تربت ايديكم ، ياأشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر . والله لكأني بكم فيما اخالكم ان لو حمي الوغى وحمي الضرب قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج المرأة عن

---

(١) الاغاني ١٥ / ١٢١ .

(٢) البدء والتاريخ ٦/٥٠ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤١٨ .

قبلها » (١) . ويتضح من هذا كله ان اهل الكوفة كثيرا ما يندفعون الى الاحداث بعواطفهم حتى اذا ما اصطدموا بالواقع ارتدوا على اعقابهم ،وتركوا ماعزموا عليه من قبل حتى وصفوا بأنهم « نفح العلانية خور السريرة هرج في الرجاء ، جزع في اللقاء تقدمهم السنتهم ولاتشايعهم قلوبهم ، لايبيتون بعدة للاحداث ولا ينؤون بدولة مرجوة» (٢) . غير انه لابد من الاشارة هنا الى ان هذه الصفات طبيعية في كل امة ، والسر في اشتهار اهل الكوفة بها ، ان الكوفة كانت مسرحا لاحداث كثيرة في الاسلام ، فظهرت فيها هذه الظواهر المتقلبة ، على عكس الاقطار الاخرى

وخامسها دعوة بني العباس . يرى المؤرخون ان عام ١٠٠ هـ كان بداية لتأليف الجماعات السرية التي تدعو الى بني العباس فقد توجه دعاة العباسيين بأمر محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (المتوفى عام ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م) الى مختلف الاقطار يبثون للدعوة وينشرونها بين الناس (٣) . وقد لاقى الدعاة اقسى ضروب التعذيب والتنكيل على يد ولاة بني امية (٤) . ولكن الدعاة استمروا في طريقهم واستطاعوا ان يجذبوا الكثير من المؤيدين ، بفضل براعتهم وخبرتهم بأحوال الناس (٥) . «فكانوا

(١) شرح نهج البلاغة ٢ / ١٨٣ .

(٢) الطبري ٨/ ٢٦٥ .

(٣) الطبري ٨/ ١٣٥ .

(٤) اليعقوبي ٢/ ٣٨٣ ، نبذة من كتاب التاريخ: للمؤلف المجهول ص ٥٩-٦٠

(٥) الاخبار الطوال ص ٣٣٧ .

يدورون كورة كورة ، وبلدا بلدا في زي التجـار » (١) . وكانت الكوفة احدى القواعد التي اعتمدوا عليها ، ولا يعرف على وجه التحديد اذا كانت الكوفة ام خراسان ، البؤرة الاولى للدعوة (٢) ، غير انه مما لا شك فيه ان الكوفة كانت مركزا لانتشار الدعاة (٣) . فلما وصل زيد بن علي الى الكوفة عام ١٢٠هـ ودعا الى خلع بني امية ، والثورة عليهم ، وجد - كما اسلفنا - حماسا كبيرا وتقبلا للدعوة من الناس ، وذلك نتيجة للجهود التي بذلها دعاة العباسيين هناك . والواقع ان الكوفة كانت آنـذاك مسرحا لدعوتين تعمـلان في وقت واحد ، لكل منهما دعاتها وانصارها ، وهاتان الدعوتان وان اختلفتا في بعض اهدافهما ، الا انهما كانتا تهدفان الى « خلع بني امية وبيعة بني هاشم »(٤) . ولما كانت الاحزاب المعارضة للامويين غير متبلورة تبلورا تاما ، فكان كل فريق يخرج على الدولة الاموية يلقى تأييدا من الاخرين الا ان سرعة نجاح زيد بن علي (٥) ، اثارت مخاوف العباسيين لان حق العلويين في الدعوة الى الخلافة اوضح بكثير في اذهان الناس من حق بني العباس فيها ، فزيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، والكوفة شيعة علي ، لا شيعة بني العباس .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٤ .

(٢) الاخبار الطوال ص ٣٣٥ ، الطبري ٨/ ١٣٥ - ١٣٦ .

(٣) الطبري ٨/ ١٨٨ .

(٤) اليعقوبي ٢/ ٣٨٣ .

(٥) نبذة من كتاب التاريخ : للمؤلف المجهول ص ٤٤ .

والعباسيون لا يملكون التأييد الشعبي الذي يملكه العلويون هناك (١) وهذا ما حمل محمد بن علي ،على ان يطلب من بكير بن ماهان وكان يتولى الدعوة العباسية في العراقين (٢) ، ان يخذل الناس عن زيد ، فقد قال له : « اظلكم خروج رجل من اهل بيتي بالكوفة يغتر في خروجه كما اغتر غيره ، فيقتل ضيعة ويصلب فحذر الشيعة قبلكم امره » (٣) . وهكذا انصاع بكير بن ماهان لامر محمد بن علي ، ورجع الى الكوفة وامر اصحابه ان « الزموا بيوتكم وتجنبوا اصحاب زيد ومخالطتهم ، فوالله ليقتلن وليصلبن بمجمع اصحابكم » (٤) . ولما سمع بكير بخروج زيد ، امر اصحابه بالخروج من الكوفة الى الحيرة كي يحول بينهم وبين المساهمة في القتال الى جانب زيد بن علي ، ولما قتل زيد بن علي عادوا الى الكوفة (٥) . وهذا احد اسباب تخلي اهل الكوفة عن زيد .

وسادسها ادّعاء الامامة . لا يخفى ان الشيعة الامامية يعتقدون ان الامامة في علي بن ابي طالب ، ومن بعده ابنه الحسن ثم الحسين فعلي بن الحسين ، فمحمد بن علي ، فجعفر بن محمد الصادق (٦) . وفي عصر الصادق هذا ثار زيد بن علي بالكوفة وهنا تتضارب الروايات بالنسبة الى ادعاء زيد الامامة : فيرى

---

(١) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ٣١٥ .

(٢) الاخبار الطوال ص ٣٣٦ .

(٣) نبذة من كتاب التاريخ : للمؤلف المجهول ص ٤٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٤ .

(٥) المرجع السابق ص ٤٤ .

(٦) القمي : امالي الصدوق ص ٦٣٩ .

بعضهم ان زيدا ادعى الامامة . ذكر الكشي ان ابا بكر وعلقمة دخلا على زيد بن علي « وكان قد بلغهما انه قال : ليس الامام منا من ارخى عليه ستره ، وانما الامام من شهر سيفه ، فقال ابو بكر : ياابا الحسين - يعني زيدا - اخبرني عن علي بن ابي طالب اكان اماما وهو مرخ عليه ستره ، او لم يكن اماما حتى خرج وشهر سيفه فسكت زيد ولم يجبه » (١) . وتكشف لنا مناقشة زيد لمؤمن الطاق عن هذا الطموح ، قال زيد : « بلغني انك تزعم ان في آل محمد اماما مفترض الطاعة ، قال مؤمن الطاق نعم ، وكان ابوك علي بن الحسين احدهم . قال زيد : وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها ، الا ترى انه كان يشفق علي من حر اللقمة ولا يشفق علي من حر النار؟ قال مؤمن الطاق : كره ان يخبرك فتكفر فلا يكون له فيك الشفاعة ولا لله فيك المشيئة » (٢) . من خلال هاتين الروايتين نلاحظ ان زيدا ادعى الامامة على الرغم من وجود ابن اخيه جعفر بن محمد الصادق ، فعلل ادعاءه الامامة ، ان الامام من خرج بسيفه لا من قعد عن القتال ، معرضا بجعفر بن محمد . وينكر ان يكون هناك امام مفترض الطاعة ، ويعلل ادعاءه الامامة ، ان والده لم يكن قد نهاه عن ذلك ، ولو انها اختصت بجماعة معينة لأخبره بذلك . فقد كان يحرص عليه من اللقمة الحارة ، فمابالة لا يخاف عليه من عذاب النار ، اذا ادعى ما ليس له بحق وهذا تعليل طريف يدل على طموح زيد . ويذكر الحميري ان رجلا

---

(١) الكشي : الرجال ص ٣٥٥ .

(٢) الكشي : الرجال ص ١٦٤ ، الطبرسي : الاحتجاج ص ٢٠٥ .

سأل زيداً عن دعواه الامامة وهي لم تكن له ، فقال زيد : « هؤلاء يقولون حسدت اخي وابن اخي ، احسد ابي حقاً هو له ؟ لبئس الولد انا من ولد ، اني اذا لكافر ان جحدته حقاً هو له من الله ، ما ادعاها علي بن الحسين ولا ادعاها اخي محمد بن علي منذ ان اصبحت حتى فارقني » (١) . فتكون الامامة والحال هذه لمن يطالب بها من العلويين ، ولم يختصوا بها احداً لكن هذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها لأنها تنفي الامامة عن علي بن الحسين ، في حين ان الجارودية من الزيدية تقول بامامته (٢) . ويلاحظ ان كثيرا من الشيعة الموالين للامام جعفر بن محمد لم يكونوا في موقف يبعث على الرضا من زيد (٣) . ويظهر من بعض الروايات ان جعفر بن محمد نفسه غير راض عن سلوك الزيدية (٤) ، خاصة قولهم بوجود امامين في وقت واحد (٥) . مما يخالف ما اجمعت عليه الشيعة من ان لكل عصر امام واحد (٦) . ذكر خالد القماط ، احد اصحاب جعفر بن محمد الصادق ، ان رجلاً من الزيدية قال له في ايام زيد : «ما منعك ان تخرج مع زيد ؟ فأجابه : ان كان احد في الارض مفروض الطاعة الخارج قبله هالك ، وان كان فى الارض

(١) الحور العين ص ١٨٨ .
(٢) الملل والنحل ١/١١٨ .
(٣) الكشي : الرجال ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
(٤) المرجع السابق ص ١٩٩ ، ٢٠٨ .
(٥) الملل والنحل ١/١١٥ .
(٦) الكليني : اصول الكافي ١/٢٧٦ .

مفروض الطاعة الخارج والجالس موسع لهما » (١) ، وخالد هذا يرد على راي الزيدية القائلين بأن الامام من خرج بسيفه ، ليس من ارخى عليه ستره . فلما سمع جعفر بن محمد الصادق بذلك ابدى ارتياحه وقال لخالد : « اخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، ولم تجعل له مخرجا » (٢) . وعن زرارة بن اعين قال : « قال لي زيد بن علي يافتى ما تقول في رجل من آل محمد استنصرك ؟ قال قلت : ان كان مفروض الطاعة نصرته ، وان كان غير مفروض الطاعة فلي ان افعل ولي ان لا افعل » (٣) . فلما سمع جعفر بن محمد الصادق قال : « اخذته من بين يديه ومن خلفه وماتركت له مخرجا » (٤) . فهذه الروايات تدل على ادعاء زيد الامامة ويذكر صاحب طبقات المعتزلة ان هناك خلافا مهما بين زيد ، وجعفر بن محمد . وهذا الخلاف لا يخرج عن كونه صراعا بين اثنين حول الامامة . وذلك ان اجتماعا عقد في المدينة ضم واصل بن عطاء الغزال وزيد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وفيه قام جعفر بن محمد مخاطبا واصلا وقال : « وانت يا واصل اتيت بأمر يفرق الكلمة ، وتطعن به الامة ، وانا ادعوك يا واصل الى التوبة . فقال واصل : وانك ياجعفر وابن الائمة ، شغلك حب الدنيا فأصبحت بها كلفا ، وما اتيناك الا لدين محمد وصاحبيه ، وضجيعه ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وجميع ائمة

(١) الكشي : الرجال ص ٣٥١ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥١ .

(٣) و (٤) الطبرسي : الاحتجاج ص ٢٠٤ .

الهدى ، فان تقبل الحق تسع به ، وان تصرف عنه تبوء باثمك فتكلم زيد بن علي فأغلظ لجعفر ، اي انكر عليه ما قال وقال : ما منعك من اتباعه الا الحسد لنا » (١) . والظاهر من هذه الرواية ان الامام جعفر بن محمد رجل دنيا وان واصلا يعظه ويحذره والخلاف بين زيد وجعفر بن محمد واضح . لكن التطرف في هذه الرواية لا يحتاج الى برهان اذ لا يعقل ان يعظ واصل جعفرا وهو الرجل المعروف بزهده ، وورعه وتدينه وعلمه(٢) غير ان هذه الروايات على اختلافها تعارض بنصوص اخرى تنفي عن زيد ادعاءه الامامة وتشيد بعلاقته الحسنة بأخيه محمد ابن علي الباقر (٣) . اما ما يذكر من تحذير «تحريم شفقة وخوفا عليه » (٤) . وكذلك كانت علاقته بجعفر بن محمد الصادق ، فهي الاخرى جد وثيقة ، وتجلى ذلك في موقفه المؤيد لزيد حينما سألته الشيعة عن بيعتها له ، فقد قال الصادق : « نعم بايعوه فهو والله افضلنا وسيدنا وخيرنا » (٥) . وتستوقفنا هذه الرواية فهي تؤكد مشاركة الصادق لزيد ، ولو من طرف خفي . ونستطيع ان نذهب الى ابعد من ذلك فنقول انه لا يستعد ان يكون جعفر بن محمد احد عوامل الدفع للثورة (٦) . بيد ان

---

(١) المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٣٣ .

(٢) الملل والنحل ١ / ١٢١ .

(٣) مناقب آل ابي طالب ٤ / ١٩٧ .

(٤) الطريحي : مجمع البحرين ص ١٩٩ .

(٥) الطبري ٨/٢٧٢ .

(٦) القمي : عيون اخبار الرضا ١ / ٢٥٣ .

الظروف المحيطة به حالت دون ظهوره على المسرح السياسي بصورة جلية ، فقد كان يقول في زيد : « رحمه الله انه كان مؤمنا ، وكان عارفا عالما وكان صدوقا ، اما انه لو ظفر لوفى ، اما انه لو ملك لعرف كيف يضعها » (١) . وانكر على بعض الشيعة تبرأهم منه (٢) . ويكنّ ائمة الشيعة لزيد كل تقدير واحترام ، ولا يرونه مدعي الامامة . فقد سأل المأمون (١٩٨ هـ / ٨١٣ م ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) عليا الرضا (المتوفى عام ٢٠٣ هـ/٨١٨م) عن زيد ، وعن ادعائه الامامة ، فقال الرضا : « ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق ، وانه كان اتقى من ذلك ، انه قال ادعوكم الى الرضا من آل محمد » (٣) . ويذهب بعضهم الى ان زيدا كان اماميا لا يعترف لنفسه بأي مكان من الامامة في حديث يرفع الى ابنه يحيى بن زيد بقوله : « سألت ابي عن الائمة ، فقال : اثنا عشر ، فقلت : يا أبة الست منهم ، قال لا ولكني من العترة » (٤) . وينسب الى يحيى ايضا انه قال : « ان ابي لم يكن بامام ولكن من سادات القوم الكرام وزهادهم وكان ابي اعقل من ان يدعي ما ليس له بحق ، وانما قال : ادعوكم الى الرضا من آل محمد ـ ص ـ عنى بذلك عمي جعفرا » (٥) . فنحن الان

---

(١) الكشي : الرجال ص ٢٤٢ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٨/٦ .

(٣) عيون اخبار الرضا ٢٤٩/١ .

(٤) الخرايج والجرايح ص ٣٢٧ .

(٥) عيون اخبار الرضا ٢٤٩/١ .

بين رأيين احدهما يقول بادعائه الامامة ، والاخر ينفي عنه هذا الادعاء ، ويقول انه كان مجرد ثائر على الدولة الاموية ويضعف الرأي الاول : ان شخصية الصادق كامام للشيعة (١) ، كانت واضحة معلومة ، لا يمكن ان يتحداها احد . فلا يعقل ان يخرج زيد بن علي على هذا العرف السائد في زمانه ، وهو الساعي الى حشد اكبر عدد من الاتباع حوله ، ذلك ان هذا الادعاء يفقده تأييد هذه الجماعة ومساندتهم ، وعندي ان زيدا لم يكن ليهتم كثيرا بحصوله على لقب الامام او عدمه ، بقدر ما كان يهتم بنجاح الثورة . وربما كان هناك نوع من الخلاف بينه وبين الامام للصادق في وقت سابق على الثورة ، لكن هذا الخلاف كان في نوع السياسة التي يجب على العلويين ان يسلكوها ضد الامويين (٢) . فالامام الصادق لم يكن يرى في الثورة المسلحة وسيلة ناجحة ، في حين ان زيد بن علي كان يرى هذا الرأي . ومن الواضح ان ذلك لا علاقة له بمسألة الامامة لكن هذا لا يمنع ان عامة الشيعة كانوا - كما يبدو - يعتقدون انه انما خرج داعيا للامامة ، على الرغم من وجود ابن اخيه الصادق وربما كان هذا الخطأ - ولا يعلم مصدره على وجه التحقيق - راجعا الى نهي للصادق له عن الخروج في بادىء الامر وأكد هذا ، عدم مشاركة للصادق في الثورة بصورة فعلية ، مما ادى

---

(١) الصحيفة السجادية ورقة ٧ (مخطوطة مكتبة السيد محسن الحكيم برقم ٥٦١) .

(٢) مناقب آل ابي طالب ٤/٢٢٥ :

الى عدم مشاركة غالبية اصحابه مع زيد (١) . ظنا منهم ان زيدا يريد الامامة لنفسه (٢) . في حين ان امتناع الصادق عن المشاركة في الثورة ، كان ضربا من التدبير (٣) .

---

(١) المفيد : الارشاد ص ٢٤٧ ، القمي : كمال الدين وتمام النعمة ص ٢١٨

(٢) المفيد : الارشاد ص ٢٤٧ .

(٣) المامقاني : تنقيح المقال ١/٤٦٧ .

الفصل الرابع

اثر زيد بن علي

وقف الشيعة بعد مقتل الحسين بن علي ، وبعد فشل ثورة التوابين ، والقضاء على ثورة المختار بن ابي عبيد الثقفي موقفا يكاد يكون سلبيا بالنسبة الى الاحداث السياسية (١) ، فلم يشاركوا فيهامشاركة ظاهرة. وكان الباعث على ذلك الشدة التي اتبعها الامويون تجاه من يخرج على سلطانهم (٢) . فقد ادرك ائمة الشيعة ان الثورات المحلية المسلحة لا تجدى نفعا ما دامت الدولة الاموية تعزز سلطانها بالجند والمال ، لهذا أشاعوا بين اتباعهم التزام الهدوء امام الاحداث التي كانت جارية آنذاك ، مهما بلغت من العنف والقسوة ، اللهم الا في حالة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي حدود معينة لا يتعرض فيها المؤمن الى فتك السلطان قال الامام علي بن الحسين : « التارك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كنابذ كتاب الله وراء ظهره ، الا ان يتقي تقاة ، قيل وما تقاته ؟ قال : يخاف جبارا عنيدا ، يخاف ان يفرط عليه او ان يطغى » (٣) . وهذا يوضح لنا السبب في ان الشيعة

(١) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ١٩٨ ، الخوارج والشيعة ص ٢٥٤

(٢) انظر : الطبري ٦/١٠ - ١١ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٥/١٥٨ .

كانوا في الفتره التي تولى فيها الامامة علي بن الحسين ، وابنه محمد بن علي الباقر ، في هدوء نوعا ما . وهذا المعنى نجده واضحا في كتب الامامية ، فهم يعللون هذا الهدوء بقلة الاعوان وكون الاعداء اكثر عددا واقوى شكيمة (١) . يؤيد هذا ان محمد بن علي لما احس بميل اخيه زيد الى الخروج على هذه السياسة والعمل على تحدي الدولة الاموية نهاه عن ذلك (٢) . روى ان معروف بن خربوذ المكي دخل على محمد بن علي ، وكان زيد بن علي حاضرا ، فقال محمد لمعروف : « انك لتروي من نوادر الشعر ، فكيف قال الانصاري لاخيه فأنشده :

لعمرك ما ان ابو مالك بوان ولا بضعيف قواه
ولا بألد له نازع يعادي اخاه اذا ما نهاه
وان سدته سدت مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه

فوضع محمد بن علي يده على كتف زيد فقال : « هذه صفتك ياأخي ، واعيذك ان تكون صليب الكناسة » (٣) . غير ان زيدا لم يطمئن الى نصائح اخيه ، ورأى ان الوقت قد حان لمناهضة الامويين ، والثورة عليهم . فأعلن مذهبه القائل : « انه لم يكره قوم قط حر السيف الا ذلوا » (٤) . وكان هذا بداية تطور جديد في الحركة الشيعية ، التي كانت حتى ذلك الوقت تدين بمبدأ التقية ، ودرء الخطر بالتي هي احسن . اما الان

---

(١) القمي : كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٢٥ .
(٢) مناقب آل ابي طالب ١٨٨/٤ .
(٣) زهر الاداب ٨٧/١ ، وانظر : عيون اخبار الرضا ٢٥١/١ .
(٤) المفيد : الارشاد ص ٢٤٧ .

فنجد ان العلويين يخرجون من هذا الصمت ، ويجاهرون بآرائهم ويحكمون السيف في حل المشاكل القائمة بينهم وبين السلطان ويدعون الى الثورة المسلحة . وقد وضح هذا الاتجاه فيما بعد يحيى بن زيد بقوله : « ان الله ايد هذا الامر بنا وجعل لنا العلم والسيف فجمع لنا ، وخص بنو عمنا بالعلم وحده »(١) وكان هذا الاتجاه الجديد بداية لحركات ثورية واسعة ، في مقدمتها ثورة زيد بن علي .

زيد والدولة الاموية :

كان لثورة زيد بن علي تأثير مهم فى سير الاحداث التي وقعت في العصر الاموي ، فقد تمخضت عنها نتائج خطيرة ، وكان فشلها بمثابة الدفع لحركات اخرى حذت حذوها . فقد هرب يحيى بن زيد الى خراسان واعلن الثورة على الامويين هناك (٢) ، ايفاءا بوعده الذي قطعه لوالده حين قال له : « اقاتلهم والله لو لم اجد الا نفسي » (٣) . ومع ان يحيى فشل فى القضاء على الحكم الاموي ، كما فشل ابوه من قبل ، الا ان هاتين الثورتين مهدتا ، بصورة غير مباشرة الطريق للقضاء على الدولة الاموية . ذكر اليعقوبي انه لما قتل زيد «تحركت الشيعة بخراسان ، وكثر من يأتيهم ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون الناس افعال بني امية ، وما نالوا من آل الرسول ، حتى لم يبق

(١) الصحيفة السجادية ورقه ٦ ـ ٧ .

(٢) الطبري ٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

(٣) عمدة الطالب ص ٢٥٧ .

بلد الا فشا فيه هذا الخبر ، وظهرت الدعاة ورئيت المنامات ، وتدورست الملاحم » (١) . والملحمة في اللغة تعني« الوقعة العظيمة في الفتنة » (٢) . وتستعمل كناية عن الاحداث الخطيرة التي لابد من حدوثها (٣) ، حيث ترتبط حوادث التاريخ بعضها ببعض (٤) . وكان من شدة محبة اهل خراسان لزيد ويحيى انهم « لم يلد لهم ولد في تلك السنة الا اسموه زيدا او يحيى»(٥) وقد استغل الدعاة العباسيون العطف الذي لقيه يحيى بن زيدفي خراسان لكسب الاتباع والانصار لهم ، حتى ان بكير بن ماهان كان يتظاهر بالدعوة الى يحيى بن زيد هناك (٦) ، ويظهر ان بعض الدعاة العباسيين اعتقدوا ان الدعوة العباسية هي لآل البيت وقد اكد هذا المعنى فى الاجتماع الذي عقد في مكة بين ابراهيم ابن محمد الامام (المتوفى عام ١٣١ هـ / ٧٤٨ م) ودعاته ، حيث قال بعضهم : « حتى متى تأكل الطير لحوم اهل بيتك وتسفك دماؤهم ، تركنا زيدا مصلوبا بالكناسة ، وابنه مطرودا فى البلاد ، وقد شخصكم الخوف وطالت عليكم مدة اهل البيت

---

(١) اليعقوبي ٢/٣٩٢ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ١٦/ ١٠ .

(٣) فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ١١٣ .

(٤) كأن يرتبط مقتل مروان بن محمد الاموي بعبد الله بن علي بن عبد الله العباسي .

(٥) مروج الذهب ٣/٢٢٥ .

(٦) مؤلف مجهول : مناقب العباس وفضائله ومناقب ولده وفضائلهم ص ١١١ (مخطوطة مصورة في معهد الدراسات الاسلامية العليا ببغداد) .

السوء » (١) ولما اطلق يحيي بن زيد من حديده بعد سجنه في خراسان ، اتخذ الشيعة هناك من ذلك الحديد ، فصوصا للخواتيم يتبركون بها (٢) . وحينما قتل يحيي بن زيد ظل اهل خراسان « يبكون صباحا مساءا » (٣) . والواقع ان شعار السواد الذي اتخذه العباسيون ، انما يستمد جذوره من ثورة زيد بن علي ، وما حدث لابنه يحيي بعد ذلك . فقد اتخذ اهل خراسان السواد بسببهما ، قال صاحب المحبر : « فسودت اهل خراسان ثيابهم عليه » (٤) يعني يحيي بن زيد . اما المقريزي فذكر انه « لما قتل زيد سودت الشيعة ، اي لبست السواد » (٥) . ولما كانت المسودة هي التي نفذت الثورة العباسية في خراسان بقيادة ابي مسلم الخراساني (٦) ، وقضت على جيوش الدولة الاموية (٧) فتكون القوى الزيدية هي الاساس لارتكاز الثورة العباسية . ويبدو ان دعاة الزيدية الذين ثاروا بخراسان ، ومهدوا للثورة العباسية ، لم يقوموا بهذا الدور بصفتهم من اتباع زيد ، بل

---

(١) نبذة من كتاب التاريخ : للمؤلف المجهول ص ٤٨ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٥٥ .

(٣) نبذة من كتاب التاريخ : للمؤلف المجهول ص ٦٦ .

(٤) البغدادي : محمد بن حبيب : المحبر ص ٤٨٤ ، وانظر نبذة من كتاب التاريخ ص ٦٦ .

(٥) المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار ٢/٤٤٠ .

(٦) نبذة من كتاب التاريخ : للمؤلف المجهول ص ٦٥ .

(٧) اخبار مجموعة : للمؤلف المجهول ص ٥٢ .

كانوا بوصفهم ثوارا على الظلم ، يريدون اقامة دولة تعمل بالكتاب والسنة ، وتنفذ احكام القرآن ، ويقوم على رأسهاالرضا من آل محمد (١) . وكان اهتمام الثوار بيحيي بن زيد كبيرا ، فلما جاءت المسودة ازلوه ، وكان مصلوبا « فغسلوه وكفنوه وحنطوه ثم دفنوه » (٢) . ونظر ابو مسلم الخراساني في الديوان في مقتل كل من وجد له اسما فيه ممن شارك في قتل يحيى (٣) « وترجع قوة المسودة الى حماسهم الشديد واخلاصهم للدعوة لآل البيت ، اذ كانوا يعتبرونهم رمز امانيهم السياسية » (٤) . فكان اناندمج العباسيون في صفوف الشيعة ، لانهم وجدوا فيها خير وسيلة لاستهواء الجموع (٥) . ويبدو اثر زيد وابنه يحيي في الثورة العباسية واضحا على لسان قادتها . ففي عام ١٣٠ هـ دخل قحطبة بن شبيب الطائي (المتوفى عام ١٣٢ هـ/٧٤٩م) نيسابور ، وسيطر عليها ، فأعطى الامان للناس الا من شهد قتل يحيي بن زيد (٦) . وحينما سيطر عبد الله بن علي العباسي (المتوفى عام ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م) على الشام ، امر باخراج هشام بن عبد الملك من قبره وصلبه وقال : « هذا بما فعل

(١) نبذة من كتاب التاريخ : للمؤلف المجهول ص ٦٦ .

(٢) مقاتل الطالبين : ص ١٥٨ .

(٣) البغدادي ، محمد بن حديد : المحبر ص ٢٨٤ .

(٤) فان فلوتن : السيادة العربيةص٢٧ ، وانظر : نبذة من كتاب التاريخ ص ٣٥ .

(٥) عبد الله عنان : تاريخ الجمعيات السرية ص ٢٧ .

(٦) نبذة من كتاب التاريخ ص ٧٩ .

بزيد بن علي . ولما قتل مروان بن محمد عام ١٣٢ هـ ، اخرج الحسن بن قحطبة (المتوفى عام ١٨١ هـ - ٧٩٧ م) احدبنات مروان ووضع رأس مروان بين يديها فقيل له : « ما اردت بهذا . قال : فعلت فعلهم بزيد بن علي لما قتلوه جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي بن الحسين » (١) . وحينما رأى ابو العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦ هـ) رأس مروان بن محمد ، سجد ثم رفع رأسه وقال : « الحمد لله الذي اظفرنا بك واظهرنا عليك ، ما ابالي متى طرقني الموت وقد قتلت بالحسين الفا من بني امية ، واحرقت شلو هشام بابن عمي زيدا ثم تمثل :

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دمائهم جمعا ترويني (٢)

وعندما دخلت بنات مروان بن محمد على صالح بن علي. قال : « الم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي وصلبه بكناسة الكوفة ، وقتل امرأة زيد بالحيرة على يد يوسف بن عمر ، الم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه في خراسان» (٣) . وظلت اصداء الثار لزيد بن علي تتردد في جنبات قصور بني العباس ، وكان انشاد بيت من الشعر يعيد ذكرى زيد بن علي ، كافيا لاثارة العواطف واكفهرار الجو . يروى ان شبل بن عبد الله مولى بني هاشم ، دخل على عبد الله بن علي وقد جلس ثمانون من بني امية على سمط الطعام فقال :

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢٠٥ .

(٣) مروج الذهب ٣/ ٢٦٢ .

اصبح الملك ثابت الاساس   للبهاليل من بني العبـــاس
طلبوا وتر هاشم شفعوهــا   بعد ميــل الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا   واقطعن كل رقلة واواسي
ذلهــا اظهر التودد منهــا   وبها منكم كحــد المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي   قربهم من نمارق و كراسي
انزلوها بحيث انزلهــا الله   بــدار الهوان والاتعاس
واذكروامصرع الحسينوزيدا   وقتيــلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران اضحى   ثاويا بين غربــة وتناسي

فأمر بهم عبد اللهفشدخوا بالعمد ، وبسط عليهمالبسط حتى ماتوا جميعا » (١) فوقف عليهم سديف وقال : (٢)

طمعت امية ان سيرضى هاشم   عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد والهــه   حتى يباد كفورهــا وخؤونها

ويتضح اثر زيد هذا في قول علي بن محمد القاضيالتنوخي (المتوفى عام ٣٤٢هـ / ٩٥٣ م) يرد على ابن المعتز (المتوفى عام ٢٩٦ هـ /٩٠٩ م) حين افتخر ببني العباس على بني طالب بقوله :

ابي الله الا ماترون فمالكم   غضابــا على الاقدار ياآل طالب

فأجابه التنوخي :

وقلتم نهضنا ثائرين شعارنــا   بثارات زيد الخير عند التجارب
فهــلا بابراهيم كان شعاركم   فترجع دعواكم تملة خائب (٣)

(١) المبرد : الكامل ١١٧٩/٣ ، انظر الاغاني ٩٤/٤ ـ ٩٥ .

(٢) العقد الفريد ٤٨٧/٤ .

(٣) ياقوت الحموى : ارشاد الاريب ٣٤١/٥ ـ ٣٤٢ .

من هذا كله ندرك مدى العلاقة بين ثورة زيد بن علي ، وثورة بني العباس وقوة الارتباط بينهما .

اثر زيد في الدولة العباسية :

كان الذي ذكرناه ، انما يتعلق بأثر زيد بن علي في الدولة الاموية ، اما اثره في الدولة العباسية : فيظهر اذا علمنا انها فتحت باب الثورات على العباسيين . فعندما كشف العباسيون عن نواياهم الحقيقية ، ونكثوا بعهودهم للعلويين بعد « ان ظفروا بثمرة الدعاية الشيعية لأنفسهم » (١) واستبدوا بالسلطان ، اخذ اتجاه زيد الثوري يجد طريقه الى الميدان السياسي . فظهرت ثورات مسلحة تقوم على فكرة زيد الداعية الى الخروج على السلطان وهكذا استهوت الحركة الزيدية اصحاب الهمم العالية فأشعلت بين جوانحهم نيرانا طالما ظلت كامنة خشية الحاكم وجبروته . ويحق لنا ان نقول : ان الحركة الزيدية صارت قوة ثورية مناوئة للعباسيين فهم بحق خوارج الشيعة . فقامت ثورة عيسى بن زيد بن علي ضد ابي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٧ هـ) كادت ان تطوح بخلافته (٢) . وما ان قضى عليها ، حتى هب محمد بن عبد الله ابن الحسن المعروف بالنفس الزكية عام ١٤٥ هـ بالمدينة مطالبا بارجاع الحقوق الى اصحابها الشرعيين (٣) . وكان النفس الزكية قد شارك في ثورة زيد بن علي ، ولما فشلت عاد الى المدينة

---

(١) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ٢٧ .

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢/١٧٥ - ١٧٦ .

(٣) الطبري ٩/٢١١ .

« وهو كبير الامل بما تعقبة تلك الحركة من الوعي والنتائج الحسنة ، ولو بعد حين » (١) . ويذهب الشهرستاني الى ان يحيى ابن زيد قد فوض الامر الى النفس الزكية (٢) ، فان صح هذا فان الحركة الزيدية ، هي التي بعثت روح المقاومة في الحركات التي اتت بعدها . ويعطي النفس الزكية في ثورته انطباعا كاملا عن مدى تأثره بزيد ، فقد كان يتمثل ، كما تمثل زيد من قبل:

شرده الخوف وازرى بـه كذاك من يكره حر الجلاد (٣)

وكانت الزيدية القاعدة التي استند عليها النفس الزكية في ثورته (٤) ، وقد شهدها معه عيسى وابراهيم اولاد زيد بن علي (٥) وشهدها ايضا ابو خالد الواسطي ، والقاسم بن مسلمة السلمي وكانا من اصحاب زيد (٦) . وكان ابن هرمز مع النفس الزكية وكان شيخا كبيرا ، فقيل له : « مابك شيء ، قال : قد علمت ولكن يراني جاهل فيقتدي بي » (٧) . وهكذا اصبح الحماس ضد الطغيان ليس له حدود فى الحركة الزيدية . وقد بايع النفس الزكية ولد جعفر بن محمد الصادق وولد عمر بن الخطاب وولد

---

(١) الساعدي : الحسنيون في التاريخ ص ٦٥ .

(٢) الملل والنحل ١ / ١١٧ .

(٣) الطبري ٩/ ٢٠٤ .

(٤) مروج الذهب ٣/ ٣٠٨ ، مقاتل الطالبيين ص ٤٠٨ .

(٥) الطبري ٩/ ٢٣٢ .

(٦) مقاتل الطالبيين ٤٠٨ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٨٠ .

الزبير ، وسائر قريش (١) . وهذا يعطي فكرة واضحة عن مدى رضاء الناس عن الحركة الزيدية ، ومدى مساندتهم لها ولما قضى ابو جعفر المنصور على ثورة النفس الزكية ، وقام ابراهيم بن عبد الله ، اخو النفس الزكية في البصرة عام١٤٥هـ التحق به الزيدية لمواصلة القتال من جديد ، وقد اجابه « اهل فارس والاهواز وغيرها من الامصار » (٢) . وكان رجال الزيدية يجهزون الثورة بالاموال (٣) . وصرنا لانجد الزيدية الا وبجانبهم اهل العلم والفقه (٤) . وغدا اسم الزيدية باعثا على القلق في نفوس الحاكمين . فعلى الرغم مما كان عليه عيسى بن زيد ابن علي من فقر الحال ، الا ان الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٦هـ) ابى الا مطاردته ، وحاول كثيرا القبض عليه الا انه فشل ولما علم بموته سر بذلك (٥) . وكان احمد بن عيسى بن زيد ، قد تنسك وطلب الحديث غير ان الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) ابى الا التضييق عليه وحبسه (٦) . وقد تعرضت دولة بني العباس لحركات زيدية خطيرة ، فقد خرج محمد بن ابراهيم بن طباطبا (المتوفى عام ١٩٩ هـ / ٨١٤ م) في خلافة المأمون ودعا الى

---

(١) ابن الاثير ٥/٢١٣ .

(٢) مروج الذهب ٣/٣٠٨ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٣٥٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٥٩ ، ٤٠٨ :

(٥) المرجع السابق ص ٤٢٧ :

(٦) المرجع السابق ص ٤٢٤ :

الرضا من آل محمد (١) . وكانت له شيعة من الزيدية (٢) . وغلب على بلاد العراق وهزم جيوش المأمون التي ارسلت للقضاء عليه (٣) . ووصلت سيطرة ابن طباطبا الى الحجاز حتى ان الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالافطس ، دعا له بالمدينة (٤) . واهم ما يميز ثورة ابن طباطبا انها كانت محاولة لوضع اسس قويمة للعدل الاجتماعي (٥) . ولما مات محمد ابن ابراهيم بن طباطبا بايع الناس محمد بن محمد بن زيد بن علي (٦) وهذا يدل على الشعور السائد تجاه القيادة الزيدية . وكان ابو السرايا قائدا عاما للجيش ، وكان من قبل ذلك ، داعية لابن طباطبا ، فقاد الزيدية لمواصلة القتال ضد المأمون (٧) . وضرب ابو السرايا النقود ونقش عليها « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (٨) . وانتهت هذه الثورة بمقتل ابي السرايا عام ١٩٩ هـ (٩) . وكان من اثار

---

(١) النويري : نهاية الارب ٣١/٢٣ (مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٦٩٩ تاريخ تيمور) .

(٢) ابن خلدون : العبر ٢٣٧/٤ .

(٣) الطبري ١٠ / ٢٢٧ .

(٤) مروج الذهب ٢٧/٤ .

(٥) مقاتل الطالبيين ص ٥٢١ .

(٦) الطبري ١٠/ ٢٢٨ .

(٧) المرجع السابق ٢٣٨/١٠ .

(٨) المرجع السابق ٢٣٨/١٠ .

(٩) مقاتل الطالبيين ٥٤٩ .

ثورة ابن طباطبا ان ظهرت دولة زيدية في اليمن ، وذلك انه عقب وفاة محمد بن ابراهيم بن طباطبـــا ، هرب اخوه القاسم المعروف بالرسي الى الهنـــد وتوفى هناك عـام ٢٤٥ هـ (١) ، فعاد ابنه الحسين بن القاسم الى اليمن (٢) . ثم خرج يحيى بن الحسين بن القاسم وهو المعروف بالزاهد ودعى لنفسه بصعدة وبويع بالامامة عام ٢٨٨هـ(٣).ثم كانت ائمة الزيدية القائمون بها الى الان وهم بنو القاسم (٤) وظهرت دعوة محمـد بن القاسم ابن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بالطالقان من خراسان عام ٢١٩ هـ . ودعا الى الرضا من آل محمـــد (٥) ، واتخذته الزيدية اماما مهديا (٦) . لكن حركته هذه سرعان ما لاحقها الفشل وجيء بـــه الى المعتصم فسجنه (٧) . وظهر في الكوفة عام ٢٥٠ هـ ، يحيى بن عمر بن الحسين بن عبد الله بن

(١) ذكر ابن عنبة ان القاسم هذا دعا الى الثورة والبيعة الى الرضـــا من آل محمد ـ عمدة الطالب ١٧٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ٢٣٧/٤ ، القلقشندى : صبح الاعشى ٤٧/٥ .

(٣) اليمني : انباء الزمن بأخبار اليمن ص ٧ وما بعدها .

(٤) صبح الاعشى ٥٦/٥ .

*Lane , Poole , The Mohammaden Dynasties , P . 102 .

وانظر : زمباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ١٨٧/١ وما بعدها .

(٥) الطبري ٣٠٥/١٠ .

(٦) الملل والنحل ١١٨/١ .

(٧) الطبري ٣٠٥/١٠ .

اسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، وكثراشياعه(١) واجتمعت اليه الزيدية (٢) . فأخذ يطبع السيوف ويجمع الرجال لمنازلة الدولة العباسية (٣) وكان يحيي يقول : « انه خرج غضبا لله » (٤) . غير ان هذه الثورة سرعان مـا فشلت (٥) . وفي يحيي هذا تتجلى اثار الزيدية في نفوس الناس ، ذكر المسعودي انه لما حمل رأسه الى بغداد وصلب ، ضج الناس من ذلك « لما كان في نفوسهم من المحبة له لأنه استفتح اموره بالكف عن الدماء ، والتورع عن اخذ شيء من اموال النـاس ، واظهر العدل والانصاف » (٦) . وقد تولته العامة من اهل بغداد مع انها لم تكن قد ولت احدا من اهل بيته (٧) . ويذكر ان علي ابن داود بن الهيثم حضر مجلسا لمحمد بن عبـد الله بن طاهر (المتوفى عام ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) وهو يهنـأ بمقتل يحيي فقال « ايها الامير انك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله ـ ص ـ حيا لعزي به » (٨) . ولما نصب رأس يحيي بباب العامة بسامراء بأمر المستعين (٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ) كثر الناس وعم التذمر ،ولم

---

(١) المرجع السابق ١١/٨٨ .
(٢) ابن الاثير ٧/٤٣ .
(٣) الطبري ١١/٨٨ ـ ٨٩ .
(٤) مقاتل الطالبيين ص ٦٦٤ .
(٥) الطبري ١١/٨٩ .
(٦) مروج الذهب ٤/١٤٧ ـ ١٤٨ .
(٧) الطبري ١١/٨٨ ، ابن الاثير ٧/٤٣ .
(٨) الطبري ١١/٨٨ ، ابن الاثير ٧/٤٤ .

تستطع السلطات ان تنصبه بباب الجسر في بغداد لاجتماع الناس على اخذه (٢) . ولا يخفى ان ثورة الزنج التي ظهرت بالبصرة (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ) والتي سجلها التاريخ كواحدة من تلك الثورات الدامية (٢) ، انما كان الطابع الظاهر لها انها زيدية . فقد استندت الى شخصية قائدها الذي ادعى انه علي بن محمد ابن احمد بن عيسى بن زيد بن علي (٣) . ولسنا بصدد مناقشة دعواه هذه ولكنها تدل على مدى تأثير الافكار الزيدية في نفوس الناس . وقامت دولة زيدية اخرى في طبرستان (٤) (٢٥٠ - ٣١٦ هـ) . ففي عام ٢٥٠ هـ ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب في طبرستان ايام المستعين واستطاع السيطرة على طبرستان وجرجان بعد قتال مرير ضد محمد بن طاهر امير خراسان ، وتوفى الحسن عام ٢٧٠ هـ (٥) . وقام مقامه اخوه محمد بن زيد الذي اصطدم برافع بن هرثمة ودحره ، ودخل بلاد الديلم عام ٢٧٧ هـ وامتلكها وتمت بيعة رافع له (٦) . وفي عام ٢٨٧ هـ سار محمد بن زيد نحو خراسان للاستيلاء عليها ، فاصطدم

---

(١) الطبري ٢٥٠/١١ .

(2) Noldeke , Skeetches From Eastern History , P . 174 .

(٣) الطبري ١١/ ١٧٢ ، مروج الذهب ١٩٤/٤ ، ابن الاثير ٧٢/٧ .

(4) Lane - Poole , The Mohammaden Dynusties , P . 127 .

(٥) مروج الذهب ٤/ ١٥٣ ، ابن الاثير ٨٨/٧ ، وفيات الاعيان ٤٥٣/٥ - ٤٥٤ .

(٦) مروج الذهب ١٥٣/٤ .

باسماعيل الساماني (المتوفى عـام ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م) فاندحر محمد ومات متأثرا بجراحه (١) . فقام بالامر حفيـده المهدي ابو محمد الحسن بن زيد بن محمد بن زيد وخطب له ببـلاد الديلم (٢) . ثم ملك طبرستان بعد ذلك الناصر للحق الحسن بن علي المعروف بالاطروش . وذلك انه اقام في بلاد الديلم يدعو الناس الى الاسلام على مذهب زيد بن علي (٣) . وكانوا على دين المجوسية فاستجابوا له ، واستطاع عام ٣٠١ هـ ان يستولي على طبرستان والديلم (٤) . وبدأت مصادماته عام ٣٠٢ هـ مع صاحب الرى حيث كانت الغلبة للاطروش (٥) . وقـد ساس الاطروش الناس بسيرة صالحة « فلم ير الناس اعدل منه ، ولا احسن من سيرته واقامته للحق » (٦) . وكان للاطروش علـم وافر في الآراء والنحل (٧) . وكانت وفاتـه عام ٣٠٤ هـ . وجاء بعده الحسن بن قاسم الملقب بالداعي ، وبقتله عام ٣١٦هـ انقرضت دولة العلويين بطبرستان (٨) . وان بقيت الزيديـة

(١) ابن الاثير ١٧٩/٧ ، ابو الفداء : تاريخ ابي الفداء مجلـد ١ جـ ٣ ص ٧٤ .

(٢) النويري : نهاية الارب ٢٩/٢٣ .

(٣) الملل والنحل ١١٨/١ ،

(٤) مروج الذهب ٣٠٨/٤ ،

(٥) الطبري ٢٠٨/١١ .

(٦) المرجع السابق ٢٠٩/١١ .

(٧) مروج الذهب ٣٠٨/٤ .

(٨) ابن الاثير ٣٦/٨ ، تاريخ ابي الفداء مجلد ١ جـ ٣ ص ٨٦ .

« حيث كان يخرج واحد بعد واحد من الائمة ويلي امرهم » (١) .

أثره في العقيدة والفكر

الرافضة والزيدية :

يخبرنا النوبختي (المتوفى عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ان اول من اطلق كلمة الرافضة ، هو المغيرة بن سعد (٢) ، وذلك انه بعد وفاة الامام محمد بن علي الباقر ، مال الى امامة النفس الزكية « واظهر المقالة بذلك ، فبرأت منه الشيعة اصحاب جعفر بن محمد فزعم انهم رافضة ، وانه هو الذي سماهم بهذا الاسم » (٣) . ويذكر المقدسي (٤) (المتوفى عام ٣٢٢ هـ / ٩٣٩ م) . « ان الروافض عند الشيعة من اخر خلافة علي ، وعند غيرهم من نفى خلافة العمرين » . اما ابن عبد ربه (٥) (المتوفى عام ٣٢٢ هـ - ٩٣٩ م) فيقول « انما قيل لهم رافضة ، لانهم رفضوا ابا بكر وعمر ، ولم يرفضهما احد من اهل الهواء وغيرهم ، والشيعة دونهم . اما الرافضة فلها غلو كبير في علي » . وذكر الاشعرى (٦)

---

(١) الملل والنحل ١ / ١١٨ ، وانظر نهاية الارب ٢٣ / ٤٣ .

(٢) وهو احد اصحاب المقالات ، تنسب اليه المغيرية ، قتله خالد القسري عام ١١٩ بالكوفة .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ٨٣ .

(٤) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ١ / ٣٨ .

(٥) العقد الفريد ٢ / ٤٠٤ .

(٦) الاشعري : مقالات الاسلاميين ١ / ٨٧ .

(المتوفى عام ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) انهم « سموا رافضة لرفضهم ابا بكر وعمر » ويذكر الاسفراييني (١) (المتوفى عام ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) « ان الروافض تجمعهم ثلاث فرق : الزيدية والامامية والكيسانية » . اما البغدادي (٢) (المتوفى عام ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) فيقول : « ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي على اربعة اصناف زيدية ، وامامية ، وكيسانية ، وغلاة » ويذهب الرازي (٣) (٦٠٦ هـ / ٩٠٩ م) الى انهم سموا بالرافضة ، « لان زيد بن علي خرج على هشام فطعن عسكره في ابي بكر فمنعهم من ذلك ، فرفضوه فقال : رفضتموني ، قالوا نعم فبقى عليهم هذا الاسم ، وهم اربع طوائف الزيدية والامامية والكيسانية » ويذكر صاحب كتاب الفرق المفترقة الروافض فيقول : « ويقال لهم الامامية والغلاة والزيدية » (٤) هذا عرض مجمل للروايات المتعلقة بهذا الباب . وهي من حيث العموم تدل على ان اسم الرافضة اول ما ظهر ، في العراق حين جاء زيد بن علي الى الكوفة ، ودعا الناس الى الثورة . والذي يلاحظ في هذه الروايات جميعا ، ان هناك غموضا في معنى الرافضة : فرواية النوبختي تنص على ان الرافضة اسم اطلقه المغيرة بن سعد على الذين قالوا بامامة جعفر بن محمد ، في حين ان صاحب المحبر يناقض هذا الرأي ، ذلك انه يرى ان هذه اللفظة ظهرت عام ١٢٢ هـ حينما

---

(١) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٩٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٨ .

(٣) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٢ .

(٤) الحنفي : الفرق المتفرقة بين اهل الزيغ والزندقة ص ٣٠ .

اطلقها زيد بن علي على من انفضوا من حوله (١) . وشاركه في هذا الرأي هشام بن محمد الكلبي (٢) . اما رواية المقدسي فتثير مشكلة جديدة ، وهي ان الروافض عند الشيعة من اخر خلافة علي . غير ان هذا الرأي ينفرد به المقدسي ، ولا يؤيده اصحاب المقالات ، ثم ان الشيعة لم يطلقوا هذا الاسم على من اخر خلافة الامام علي ، بل انهم اعتزوا به لانفسهم فالسيد الحميري يرد على من قال له : يارافضي ، في محاولة للحط من شأنه فيقول :

ونحن على رغمك الرافضو- ن لأهل الضلالة والمنكر (٣)

وذكر ان عمار الدهني شهد شهادة عند ابن ابي ليلى القاضي فقال له : قم يا عمار فقد عرفناك لاتقبل شهادتك لانك رافضي فقام عمار يبكي ، فقال ابن ابي ليلى : انت رجل من اهل العلم والحديث ان كان يسوؤك ان يقول لك رافضي فتبرأ من الرفض وانت من اخواننا ، فقال له عمار : ما هذا ذهبت والله الى حيث ذهبت ، ولكني بكيت عليك وعليّ . امـا بكائي على نفسي فنسبتني الى رتبة شريفة لست من اهلها » (٤) . كل هذا يدل على انه لا اساس للرأي الذي ذهب اليه المقدسي . اما روايـة ابن عبد ربه ، فيمكن النظر فيها من وجوه عدة ، ذلك انه لم يحدد بالضبط مدلول كلمة الروافض . ثم انه ميز بينهم . هذا

(١) البغدادي : محمد بن حبيب : المحبر ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

(٢) الطبري ٨/٢٧٢ .

(٣) المرتضى : الفصول ١/٦١ ـ ٦٢ .

(٤) الاشتري : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ٢/١٠٦ .

الى انه ذكر ان زيد بن علي قتل في خراسان (١)، في حين انه قتل في الكوفة · اما بقية الروايات التي ذكرت ان الروافض هم الزيدية والامامية والكيسانية، فلا يمكن الاطمئنان اليها، لان الرواية الموثوق بها تنص على ان زيد بن علي هو الذي اطلق هذا الاسم على جماعة معينة لعدم انضمامها اليه في الثورة من ذلك كله يمكن القول، بأن الشيعة الذين قالوا بامامة علي ابن ابي طالب «على سبيل الولاء والاعتقاد لامامته بعد رسول الله - ص - بلا فصل، ونفي الامامة عمن تقدمه في مقام الخلافة وجعله في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لاحد منهم على وجه الاقتداء» (٢) . استمروا في ولائهم لآل البيت، وقالوا بامامة جعفر بن محمد الصادق، الذي ظهر في زمنه زيد بن علي بالكوفة داعيا الى الثورة . وهؤلاء الذين والوا آل البيت في العراق كانوا فريقين : فريق أيد زيداً وسانده، وقاتل معه، وفريق طلب منه ان يتبرأ من ابي بكر وعمر، كشرط للقتال معه . ولما ابى ذلك عليهم رفضوا القتال معه، وقالوا له : الامام هو جعفر بن محمد فسماهم الرافضة (٣) . فالرافضة اذن هم الذين رفضوا القتال مع زيد اما الزيدية فهم الذين والوا زيدا وشاركوا معه في القتال. ثم ان هذه اللفظة صارت فيما بعد مذهبا خاصا لتمسكهم بامامته (٤)

---

(١) العقد الفريد ٢/٤٠٩ .

(٢) المفيد : اوائل المقالات ص ٣ .

(٣) الطبرى ٨/٢٧٢ .

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٥ .

واقواله (١) كما اصبحت نسبا (٢) .

الزيدية

المبادىء العامة للزيدية :

لم تذكر لنا كتب الفرق والمقالات ، المبادىء العامة التي يقوم عليها كيان المذهب الزيدي ، بحيث يتميز تميزا واضحا وكل ما اوردته الكتب هو شرح لبعض معتقداتهم ، مما يمكن اتخاذه دليلا في الموضوع . ويبدو ان أغلبية الزيدية تدين بهذه المعتقدات .

القول بامامة زيد بن علي :

تعتقد الزيدية ان الامامة لعلي بن ابي طالب ثم للحسن والحسين ، وهي بعد ذلك في اولادهما من اي الفرعين (٣) ، الحسن والحسين . ولا يقصرونها على اولاد الحسين فقط كما تعتقد الامامية . ويعلل الزيدية قصر الامامة على الحسن والحسين دون اخوتهما ، من ولد علي بن ابي طالب ، بما امتاز به الحسن والحسين واولادهما من العلم والورع والتقوى والبصيرة والتدبير (٤)

---

(١) مقالات الاسلاميين ١/١٢٩ .

(٢) السمعاني : الانساب ص ٢٨٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣ ، الملل والنحل ١/١١٥ .

(٤) المفيد : المسائل الجلية في الرد على الزيدية ورقة ٣ (مخطوط مكتبة -

ثم هي في « كل اولاد فاطمة كائنا من كان بعـــد ان يكون عنده شروط الامامة » (١) . وهو ان يكون « بالغا عاقلا ذكرا حيا ، مسلما ، عدلا ، مجتهدا ، تقيا ، سخيا ، يضع الحقوق في مواضعها ، سائسا ، مستقلا بتدبير الرعية ، اكثر رأيه الاصابة شجاعا ، مقداما سليم السمع والبصر » (٢) . وعلى هذا ، فان الزيدية اعتقدت بامامة زيد بن علي ، لأنه خرج بالسيف وهو مستكمل لصفات الامام (٣) . ويؤكد الزيدية صفة المعرفة في الامام « ووجوب توفر حظه من العلم الذي لابدمنه في جميع طرائق الشرع من السمعيات والعقليات » (٤) . وتذهب المطرفية من الزيدية الى القول بأن الامام يجب ان يكون اعلم الناس جميعا ، بيد ان هذا خارج عن اجماع الزيدية (٥) . ولما كان زيـد بن علي على جانب كبير من التفقه بالدين ، اعتقدت الزيدية ان عـلم الفقه اهم ما يجب ان يتوافر في الامـام . وان يكون مجتهدا ، لأنه المرجع في تنفيذ الاحكام الشرعية (٦) . لكن شرط الشجاعة وحمل السيف ، يفوق جميع الشروط المتقدمة (٧) . وهذا مـا يميز الزيدية عن الامامية . وتنكر بعض فرق الزيديـــة الفكرة

ـ السيد محسن الحكيم برقم ٢١٨ .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ .

(2) Strothmann , Das Staatsreche Der Zaiditen , P . 61

(3) Ibid , P , 62 .

(4) Ibid , P . 71 .

(5) Ibid , P . 70 ,

(6) Ibid , P . 71 .

(7) Ibid , P . 23 .

القائلة بأن الخلافة في قريش عامة ، استنادا الى الحديث المروى عن النبي ـ ص ـ : « ان الائمة من قريش » يقول القاسم الرسي (المتوفى عام ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م) ان هـذا الحديث لا يثبت الدعوى هذه ، ذلك ان « من » هنا للتبعيض ، والمقصود بها بعض قريش ، وهم اولاد الحسنين (١) . وهذا ينسجم وفكرة زيد القائلة بأحقية اهل البيت بوراثة النبي مع اعترافه بصحة بيعة ابي بكر ، وخلافة عمر بن الخطاب ، وهذا يجرنا الى الاعتقاد الثاني للزيدية وهو القول بامامة المفضول مع وجود الافضل .

القول بامامة المفضول مع وجود الافضل

والزيدية تقول بصحة امامة المفضول مع وجود الافضل. اما مقياس الفضل عندهم فهو الفعل دون غيره . والفضل عندهم اربعة اقسام : اولها القدم في الاسلام ، حيث لا رغبة ولا رهبة الا من الله واليه . وثانيها الزهد في حطام الدنيا فان ازهد الناس في الدنيا ارغبهم في الاخرة . وثالثها الفقه في الدين ، لان الناس يعرفون به مصالح دنياهم ، ومراشد دينهم . ورابعها المشي بالسيف . فمن وجدت فيه هذه الصفات الاربع وجب عليهم تفضيله (٢) . واذا قارنا بين مدلول الفضل عند الزيدية ، وبين ما يراد به عند غيرهم ، ولنأخذ على سبيل المثال ما ذكره ابن ابي الحديد وهو من المعتزلة من المقصود بالفضل ، هل هو المراد به الاكثر

---

(١) زيد بن علي : كتاب الصفوة ورقة ١٠ (مخطوطة مصورة عن مخطوطة المتحف البريطاني برقم ٢٠٣) .

(٢) الجاحظ : ثلاث رسائل للجاحظ (نشرها السندوبي) ص ٢٤١ .

ثوابا عند الله ، ام هو الاجمع لمزايا الفضل والخلال ؟ فيقرر ان الفضل يمكن تفسيره على كل من هذين الرأيين (١) . ولما كان اعتقاد الزيدية ان الامام علي بن ابي طالب افضل الناس بعد رسول الله (٢) ، وجب ان يكون اولى بالخلافة بعد رسول الله . الا انهم جاؤا برأي جديد في الخلافة ، فقالوا بجواز امامة المفضول مع وجود الافضل . فجائز ان يكون الامام مفضولا ، كما يكون الامير مفضولا ، وفي رعيته من هو افضل منه (٣) . وبذلك يجوز تقديم ابي بكر وعمر ، على الامام علي والواقع ان الزيدية كانوا فريقين بالنسبة الى تعليل هذا الامر فمنهم من يرى ان الخلافة فوضت الى ابي بكر لمصلحة رآها الناس في اختياره « وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة » (٤) ، لان قريشا كانوا لا يزالون يحملون للامام علي في قلوبهم نوعا من الغيظ ، بسبب الحروب التي خاضها في صدر الاسلام ، والتي ذهب ضحيتها كثير من زعمائهم ، في بدر وأحد . وكانت هناك ثارات بينهم وبين الامام علي ، وهذه الثارات كان يتأجج لهيبها بين جوانحهم ، فكان من المتعذر آنذاك ان ينقادوا اليه بالطاعة . فكانت خلافة ابي بكر وفقا لمقتضيات المصلحة العامة « واشفاقا من الفتنة »(٥)

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/٣ .

(٢) الجاحظ : ثلاث رسائل للجاحظ ص٢٤١، مقالات الاسلاميين ١/١٤١

(٣) مقالات الإسلاميين ١ / ١٣٤ .

(٤) الملل والنحل ١/١١٦ .

(٥) ثلاث رسائل للجاحظ ص ٢٤٦ .

ومنهم من رأى ذلك امتحانا للامام علي « والتغليظ في المحنة وشدة البلوي في الكلفة » (١) . كما قال الله تعالى للملائكة « اسجدوا الآدم فسجدوا الا ابليس ابى »(٢)، والملائكة افضل من آدم « فقد كلفهم الله اغلظ المحن واشد البلوى » (٣) . وعلى اية حال فالرجل الذي يتولى الخلافة - في رأي هذا الفريق - يجب طاعته ولا يجوز مخالفته (٤) .

السيف والعرض على ائمة الجور :

ترى الزيدية اهمية كبرى في مبدأ القوة ، واللجوء الى السلاح ، وهم بهذا يمثلون الجناح الشيعي الفعال . ولما كان اللجوء الى القوة ، هو الطابع الذي ظهر قويا في ثورة زيد بن علي رأى الزيدية ان هذا الطابع يجب ان يكون من اهم صفات الامام . فالامام يجب ان يكون شجاعا مقداما شاهرا سيفه (٥) وقالوا ان قتال اهل البغي واجب ، ان كان عدد اصحابه ثلثمائة وبضعة عشر ، كعدة اهل بدر (٦) . ولذلك فان كل من ادعى الامامة وهو قاعد في بيته مرخ عليه ستره ، لا يجوز اتباعه ولا

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٦ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٤ .

(٣) ثلاث رسائل للجاحظ ص ٢٤٦ .

(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٢-٤٣ .

(٥) المقدسي : البدء والتاريخ ١٣٣/٥ ، الملل والنحل ١٢١/١ ، الحور العين ص ١٥٦ .

(6) Strothmann , Das Staatsrecht Der Zaiditen , P . 91 .

يجوز القول بامامته (١) . فاستعمال السيف في رأي الزيدية امر واجب ، اذا ما امكن به ازالة اهل البغي واقامـة الحق (٢) . واعتلوا لهذا بقوله تعالى : « وقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله » (٣) وقوله تعالى « لا ينال عهدي الظالمين » (٤) . ومن هنا يفترق الزيدية عن غيرهم من الفرق القائلة بمبدأ التقية ويوضح هذا القاسم بن ابراهيم الرسي (المتوفى عام ٢٤٦هـ/٨٦٠م) في رده على الامامية فيقول : « وقال الله تعالى في الائمة من اهل بيته ، كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، وقد جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فبما يكون عليهم شهداء بما دعوا الأمة فخالفوهم وعصوهم أم بما لم يدعوهم وجلسوا في بيوتهم ، افترى بما تشهدون عليهم يوم القيامة ابكتمانهم الحق وجلوسهم في منازلهم واظهارهم التقية...» (٥) وهكذا نجدهم التجأوا الى السيف في شتى الاحوال ، في سبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فلا ايمان بلا عمل (٦) .

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٢) مقالات الاسلاميين ٢/١٢٥ .

(٣) سورة الحجرات آية ٩ .

(٤) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(5) Strothmann, Das Staatsrecht Der Zaiditen, P. 42- 43.

(٦) القاسم بن ابراهيم : مسائل منثورة للقاسم ورقة ٢٣ (مخطوطة مصورة عن مخطوطة المتحف البريطاني برقم ٢٠٣) .

التوحيد :

وتذهب الزيدية الى القول بالتوحيد ، وتنزيه الذات الالهية عن كل شائبة . ولهم في ذلك مسائل عدة : منها ان الله هو العالم المدبر لهذا الكون ، والاجسام جميعها محدثة . لانها توجد مرة وتزول اخرى ، ولو كانت قديمة لما جاز عليها العدم واذا ثبت حدوث الاعراض بما قدمنا ، وهوانها محدثة ، لانه لايجوز ان يوجد الجسم والعرض معا ، ويكون احدهما قديما والاخر محدثا . لان القديم يجب ان يتقدم على المحدث . واذا ثبت ان هذه الاجسام محدثة ، فلابد لها من محدث وهو الله (١) ومنها ان الله عالم ، ودليل ذلك ، هذا الفعل المحكم من السموات والارض وما بينهما (٢) . ومنها انه واحد ، لانه لو كان له تعالى مثل ثم قدرنا ان احدهما اراد ايجاد جسم ساكنا ، واراد الاخر ايجاده متحركا ، لم يخل الحال ، اما ان يوجد ما اراداه معا ، فيكون الجسم ساكنا ومتحركا في حال واحد ، وذلك محال (٣) . لهذا وجب توحيد الله تعالى .

صفات الله :

وكان فهم الزيدية لطبيعة الذات الالهية سببا في تفسيرهم

---

(١) الرصاص : مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم ورقة ١٦٤ (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٣٨٨ عقائد تيمور) .

(٢) المرجع السابق ورقة ١٦٥ .

(٣) المرجع السابق ورقة ١٦٥ .

للصفات الالهية الواردة في القرآن الكريم . فقالوا بأن هذه الصفات انما هي عين الذات ، وليست منفصلة عنها (١) ، والا لاحتاجت الى فاعل يصنعها . وقد ثبت ان الله قديم فلا يحتاج في ثبوت هذه الصفات الى فاعل ، فالله يستحق هذه الصفات لذاته كالقدرة والعلم (٢) . فالقدرة عند الله انه قادربذاته ، لا يأمره غيره ، فهولم يزل قادرا عالما ، ليس لقدرته غاية ولالعلمه نهاية (٣) وكذلك القول في السمع والبصر . فلايوصف الله بالسمع كاسماع المخلوقين ، ولا ببصر كبصرهم (٤) ودليلهم على ذلك ان الله ليس جسما حتى يصح اطلاق هذه الصفات عليه ، ولو كان جسما لكان محدثا كسائر الاجسام ، لحصول دليل الحدوث فيه (٥) . وقد قال الله : « ليس كمثله شيء » (٦) . وهذا ما دفعهم الى القول بعدم رؤية الله في الدنيا ولا في الاخرة ، خلافا لما ذهبت اليه المشبهة . وذلك انه لو صح ان نراه في حال من الاحوال ، لوجب ان نراه الآن باعتبار « ان الحواس والموانع مرتفعة ، لان الموانع المعقولة من الرؤية ، هي البعد

---

(١) القاسم بن ابراهيم : علم الكلام عند الزيدية ورقة ٢١٠ (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٣٨٤ عقائد تيمور) .

(٢) الاساس في علم الكلام عند الزيدية ورقة ١٦٧ .

(٣) يحيى بن الحسين : كتاب الديانة ورقة ١ (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٢٠٨ .

(٤) المرجع السابق ورقة ٢) .

(٥) الاساس في علم الكلام عند الزيدية ورقة ٢١٣ .

(٦) سورة الشورى آية ١١ .

والقرب المفرط من الرقة واللطافة والحجاب والكشف وكون المرئي خلاف جهة الرأس ، وان يكون محله في بعض هـذه الاوصاف عدم الضياء المناسب للعين ، فهذه هي الموانع من رؤية الاجسام والالوان (١) . ولما كان الله ليس بجسم ولا لون له ، لذا لا يمكن ان تراه الابصار لا في الدنيا ولا في الاخرة . اما ما يرد في القرآن الكريم مما يوهم رؤية الله كقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (٢) . فان الزيدية تقول انها لا تعني الرؤية ، وانما ناظرة هنا بمعنى منتظرة معتمدين في هذا التفسير على قوله تعالى : « فناظرة بما يرجع المرسلون » (٣) اي منتظرة . وقوله تعالى « انظرونا نقتبس من نوركم » (٤) ، اي انتظرونا . فالاية تعني ان هذه الوجوه منتظرة رحمة الله (٥) . وقد اولوا كل ما ينافي ذلك مما ورد في القرآن الكريم . فنفوا بشدة ان يكون لله عرش يجلس عليه ، وقالوا في قوله تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » (٦) ، بأن العرش هو عز الله وملكه ، وان الله ضربه للناس ليستدلوا به على عظمته (٧) . وقد رجعوا الى الشعر القديم لتأييد دعواهم هذه

---

(١) الرصاص : مصباح العلوم ورقة ١٦٩ .

(٢) سورة القيامة آية ٢٣ .

(٣) سورة النمل آية ٣٥ .

(٤) سورة الحديد آية ١٣ .

(٥) الاساس في علم الكلام عند الزيدية ورقة ٢١٠ .

(٦) سورة الحاقة آية ١٧ .

(٧) يحيي بن الحسين : المسترشد في التوحيد ورقة ٨٥ (مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٢٠٨ تيمور) .

كقول احدهم « ان يقتلوك فقد ثللت عرشهم » . . . وقول الاخر « وعرش تثلم جانباه » (١) . وكما يرد في قول زهير ابن ابي سلمى :

تدارككما الأحلاف قد ثل عرشها　　وذبيان قد زلت بأقدامها النعل(٢)

فالعرش يعني العز والملك (٣) . وعلى هذا « فالعرش هو الله ، وهو اسم يدل على الله في ارتفاعه وعلوه فوق خلقه من اهل سمواته وارضه » (٤) . وكذلك يذهبون في تأويل قوله تعالى « وسع كرسيه السموات والارض » (٥) . فالكرسي عندهم يعني العلم لغة ، كقول عنترة :

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة　　كراسي والاحداث حين تنوب

اي انهم اهل كراسي بمعنى انهم اهل علوم فالله لايكون له كرسي. لانه لا يحتاج الى ذلك الا المخلوق ، فالله قد وسع السموات والارض بعلم واقتدار (٦) . وفي الكرسي يقول الامام يحيي بن الحسين : « اسم يحكى عن صفات الله في ذاته اي انه يدل على الله ، وهو اسم من اسماء الله » (٧) . وذلك لان الله

---

(١) الاساس في علم الكلام عند الزيدية ورقة ٢١٣ .

(٢) الرازي : كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية ٢/١٥٨ .

(٣) ثعلب ، ابي العباس احمد بن يحيي : شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص ١٠٩ ، الميداني : مجمع الامثال ١/١٦١ .

(٤) يحيي بن الحسين : المسترشد في التوحيد ورقة ١٥٠ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٦) الاساس في علم الكلام عند الزيدية ورقة ٢١٣ .

(٧) يحيي بن الحسين : المسترشد فى التوحيد ورقة ١٥٠ .

« ليس بجسم ولا جسد وليس فيه صفة من صفات الاجساد ، وانما يعرف بخلقه ويستدل عليه بآياته ، وليس له كيفية ولا ماهية » (١) . وكذلك قوله تعالى « والسموات مطويات بيمينه »(٢) انما يريد به قدرته عليهن (٣) . وترى الزيدية ان القرآن محدث وذلك لانه غير قديم . ودليلهم على هذا « انه مرتب على منضوم يوجد بعضه في اثر بعض ، فحينما نقول الحمد لله رب العالمين نجد ان هناك حروفا تقدم بعضها على بعض ، وما تقدم غيره عليه ، وجب ان يكون محدثا ، لان القديم لا يجوز ان يتقدم عليه غيره » (٤) . كما اعتمدوا على قوله تعالى « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » (٥) ، فالله هو الذي احدثه لانه كلامه ، حيث ان الكلام فعل المتكلم .

العدل

وحقيقة العدل عند الزيدية ، هو ان الله لا يفعل القبيح ، كالظلم والكذب وغيرهما . ذلك انه عالم بقبائح الأمور وغني عن فعلها (٦) . ويعتبر التحسين والتقبيح اساس العدل عندهم ويعرف الأمام يحيى بن الحسين الحسن والقبح فيقول : « الحسن

(١) يحيى بن الحسين : كتاب الديانة ورقة ١ .

(٢) سورة الزمر آية ٦٧ .

(٣) القاسم بن ابراهيم : مسائل منثورة للقاسم ورقة ٦ .

(٤) الرصاص : مصباح العلوم ورقة ١٧٤ .

(٥) سورة الانبياء آية ٢ .

(٦) الرصاص : مصباح العلوم ورقة ١٧٠ .

هو الذي ليس عليه مدخل من التحاق الذم ، اما القبح ، فهو ما للاقدام عليه مدخل من التحاق » (١) : لهذا فالزيدية ترى ان افعال العباد ، حسنها وقبيحها ، منهم وليس من الله ، ودليلهم على ذلك انها لو كانت من عند الله « لم يحسن امرهم بالطاعات ، ولانهيهم عن المعاصي كما ان الوانهم وصورهم لما كانت خلقا لله ، لم يحسن امرهم بشيء منها ، ولانهيهم عن شيء منها ، فلما علمنا ان الله سبحانه قد امرهم بالطاعات ونهاهم عن المعاصي ، دلّ ذلك على ان افعالهم منهم لا من الله » (٢) . وقد اضاف الله افعال العباد اليهم فقال : « جزاء بما كانوا يعملون » (٣) . وقال تعالى : « وهل تجزون الا بما كنتم تكسبون » (٤) . فالارادة والمشيئة بيد المرء نفسه (٥) . واضطرهم موقفهم هذا من افعال العباد الى تأويل الآيات الواردة في القرآن الكريم ، والتي يظهر منها ان الفعل خيره وشره من الله كقوله تعالى « لو شاء ربك ما فعلوه » (٦) فقالوا ان معنى ذلك لو شاء الله لاماتهم قبل المعصية (٧) فالذي

---

(١) ابن الوزير : الارشاد الهادي الى منظومة الهادي في العقائد الزيدية ورقة ٢٥ مخطوطة دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٧ عقائد تيمور .

(٢) الرصاص : مصباح العلوم ورقة ١٧١ .

(٣) سورة الواقعة آية ٢٤ .

(٤) سورة يونس آية ٥٢ .

(٥) يحيى بن الحسين : المسترشد في التوحيد ورقة ٦١ .

(٦) سورة الانعام آية ١١٢ .

(٧) الاساس في علم الكلام عند الزيدية ورقة ٢٢٨ .

يتبادر الى الذهن من هذه الاية انهم فعلوا القبيح ولو اراد الله لمنعهم من ذلك . وهذا يتنافى والعـدل الالهي ، ولذلك قالت الزيدية ان هـذه الاية تعني انهم فعلوا القبيح ، ولو اراد الله لاماتهم قبل المعصية ، وبذلك يزول العمل القبيح بزوالهم . فلا يعود ذلك على الله بل على العباد . ومن عدل الله عندهم ، انه لا يثيب احدا الا بعمله ، ولا يعذبـه الا بذنبه ، فان المجازاة بالثواب لمن لا يستحقه قبيح ، كذلك فان المجازاة بالعقاب لمن لا يستحقه قبيح ايضا (١) . وقد ثبت ان الله تعـالى لا يثيب احدا الا بعمله ولا يعاقبه الا بذنبه ، لانه لم يخلق له المعصيـة بل خلقها المرء لنفسه (٢) . ومن عدل الله انه لم يكلف احدا فوق طاقته (٣) . اما الأعراض التي لا دخل للمرأ فيها والتي يظهر في بادي الامر انها على النقيض من العدل الالهي كالامراض والعلل التي تصيب البشر ، فان الزيدية يعللون هذه الاعراض بوجود غاية من حصولها ، فيقولون ان الامراض والاسقام من الله ، وانها حكمة وصواب ، ويستندون في ذلك الى قول النبي (ص) « تمنى اهل البلاء في الاخرة لو كان الله تعالى زادهم بلاء لعظم ما أعد لهم في الاخرة من النعيم » (٤) . فالمرض هو المحك لايمان المرء ، وزيادة اجره في الاخرة . وكذلك يفسرون قوله تعالى

---

(١) الرصاص : مصباح العلوم ورقه ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ورقة ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق ورقة ١٧٢ .

(٤) المرجع السابق ورقة ١٧٣ ؛

« اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين » (١) ، بأن المراد بالفتنة هنا الامتحان بالمرض (٢) .

الوعد والوعيد

تقول الزيدية بالوعد والوعيد . وعندهم ان الله لا يخلف ما وعد به . فهو قادر على ما يشاء من مغفرة ، وقادر على تعذيب خلقه ، وهو معذب من وعده بالنار لانه لو لم يعذب من وعده بالعذاب من اهل الكبائر لكان مخلفا لما وعدبه (٣) وهم يستندون الى قوله تعالى : « لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد » (٤) . وكذلك قوله تعالى « ما يبدل القول لدي ، وما انا بظلام للعبيد » (٥) وقوله تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت » (٦) . ولهذا ابطلوا القول بالشفاعة لاصحاب الكبائر لانها تخلف وعد الله ، فشفاعة النبي لا تكون الا لمؤمن (٧) . والدليل على ذلك قوله تعالى « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » (٨)

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٦ .

(٢) الرصاص : مصباح العلوم ورقة ١٧٣ .

(٣) القاسم بن ابراهيم : مسائل منثورة للقاسم ورقة ٨ .

(٤) سورة الرعد آية ٣١ .

(٥) سورة ق آية ٢٩ .

(٦) سورة غافر آية ١٧ .

(٧) يحيي بن الحسين : الوعد والوعيد ورقة ٤ .

(٨) سورة غافر آية ١٨ .

ويمكن للنبي ان يشفع لاهل الجنة لرفع درجتهم في الجنــة الى اعلى منها (١) . وعلى هذا فالزيدية تعتقدان الجنة ليست درجة واحدة من النعيم ، بـــل درجات بعضها اعلى من بعض وان الجنة والنار باقتيان لم تخلقا (٢) ، لقوله : « اكلها دائم » (٣) .

المنزلة بين المنزلتين

ترى الزيدية ان اصحاب الكبائر في هذه الامة ، كشارب الخمر والزاني ومن جرى مجراهما يسمون فساقا (٤) . فهم بمنزلة بين المنزلتين ، وهما : الكفر والايمان . فلا يجوز ان يسموا كفارا ولا مؤمنين ، لان المؤمن في الشريعة يجب مدحـــه وتعظيمه ، والفاسق لا يجوز مدحه ولا تعظيمه ، فـــلا يجوز ان يسمى مؤمنا (٥) ، كما أنه لا يسمون كفارا ، لانهم تجوز مناكحتهم وموارثتهم ودفنهم في مقابر المسلمين (٦) . فـــلم يبق الا انهم فساقا (٧) : وقد حكمت الزيدية على مرتكب الكبيرة ، الذي مات مصرا على فسقه بالنار خالدا فيها (٨) : والدليل على ذلك

(١) يحيى بن الحسين : الوعد والوعيد ورقة ٣ .

(٢) المرجع السابق ورقة ٨ :

(٣) سورة الرعد آية ٣٥ :

(٤) الرصاص : مصباح العلوم ورقة ١٧٧ .

(٥) المرجع السابق ص ١٧٧ .

(٦) يحيى بن الحسين : الوعد والوعيد ورقة ٤٢ :

(٧) الرصاص : مصباح العلوم ورقة ١٧٨ .

(٨) يحيى بن الحسين : الوعد والوعيد ورقة ٤١ .

قوله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها » (١) فأصحاب الكبائر معذبون في النار خالدون فيها لا يخرجون منها ابدا ولا يغيبون عنها (٢) . ويخرج عن هذه القاعدة الأطفال والمجانين ، فان الله لا يعذب احدا منهم (٣) . لقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (٤) . والاطفال لا يأتيهم الرسل . وقوله تعالى : « لم يكن ربك بمهلك القرى بظلم واهلها غافلون » (٥) . فلا غفلة اشد من غفلة الاطفال والمجانين فلا يؤاخذهم الله بما بدا منهم (٦) .

هذا مجمل ما ورد في كتب الزيدية بالنسبة الى تصوير معتقداتهم وارائهم . واذا ما قارنا بين هذه المعتقدات والآراء وبين مبادىء المعتزلة ، نجد ان هناك تطابقا يكاد يكون تاما بينهما في كثير من الامور . ولما كانت الاراء التي رجعت اليها في تدوين هذا الفصل ، مستقاة معظمها من مخطوطات زيدية ترجع الى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، وكانت مبادىء الاعتزال في هذين القرنين شائعة في الاوساط العلمية . فلايبعد ان تكون الزيدية قد تأثروا بها ، كما لا يبعد ان يكون المعتزلة قد تأثروا ببعض آراء الزيدية لانهم سبقوا المعتزلة في الظهور

---

(١) سورة الجن آية ٢٣ .

(٢) مقالات الاسلاميين ١/ ١٤٠ .

(٣) يحيى بن الحسين : المسترشد فى التوحيد ورقة ٦٤ .

(٤) سورة الاسراء آية ١٥ .

(٥) سورة الانعام آية ١٣١ .

(٦) يحيى بن الحسين : المسترشد في التوحيد ورقة ٦٥ .

سواء على مسرح السياسة ، او في ميدان المعتقدات ، والواقع انهم نشطوا في الرد على الزنادقة ، دفاعا عن الاسلام ، كما فعل المعتزلة ذلك ، واضطرهم ذلك الى الاستعانة بكتب الفلسفة والعلوم العقلية مما رأيناه ظاهرا في كثير من ارائهم . ومع هذا فالذي يبدو لي ان هناك فرقا بين المعتزلة وبين الزيدية ، فالطابع النقلي غالب على اسلوب الزيدية ، في حين ان هذا الطابع يخف قليلا بالنسبة الى اسلوب الاعتزال .

فرق الزيدية

لا تحدد معظم كتب الفرق والمقالات عدد الفرق الزيدية فالنوبختي (١) لا يذكر سوى فرقتين فقط هما : الضعفاء ، والاقوياء . بينما يذكر الاشعري (٢) لهم ست فرق هي : الجارودية ، والسليمانية والبترية ، والنعيمية ، ولا يذكر اسم الفرقة الخامسة ، ثم اليعقوبية ويذكر المسعودي (٣) نقلا عن ابي عيسى الوراق ان الزيدية كانت في عصرهم ثماني فرق هي : الجارودية والمرئية ، والابرئية واليعقوبية ، والعقبية ، والابترية ، والجريرية ، واصحاب محمد ابن اليمان . اما البغدادي (٤) فلا يذكر سوى ثلاثاً منها وهي الجارودية ، والسليمانية ، والبترية . وكذلك الحال عند الشهرستاني (٥)

---

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) مقالات الاسلاميين ١/١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) مروج الذهب ٣/ ٢٢٠ .

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٤ - ٢٥ .

(٥) الملل والنحل ١/ ١١٨ .

الذي قال أن الزيدية ثلاث فرق جارودية ، وسليمانية ، وبترية والصالحية والبترية على مذهب واحد . ويذكر البرسي (١) ان الزيدية خمس عشرة فرقة وهي : البترية، والجارودية والصالحية والجريرية ، والصباحية ، واليعقوبية ، والابرقية ، والعقبية ، واليمانية ، والمحمدية ، والطالقانية ، والعمرية ، والمركبية والخشبية والحلسفية . ولم يذكر القاسمية سوى ابن النديم (٢) بقوله : « العلوي الرسي وهو القاسم بن ابراهيم صاحب صعدة من الزيدية واليه تنسب الزيدية القاسمية » وذلك في حديثه عن رجال الزيدية . كما نسمع بعض الاشارات عن فرقة زيدية انقرضت في زمن متقدم وهي المطرفية (٣) .

الجارودية

وهم اصحاب ابي الجارود زياد بن المنذر الهمداني (٤) ، وكان ابو الجارود من اصحاب الامام محمد بن علي الباقر ، ولما خرج زيد بن علي مال اليه (٥) . وكل ما يذكر لابي الجارود هذا كتاب في التفسير ، رواه عن محمد بن علي الباقر (٦) وللجارودية آراء خاصة في الامامة ، والمهدي المنتظر ، وعلوم

(١) البرسي : مشارق انوار اليقين ص ٢٥٥ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٩٣ .

(3) Strothmann , Das Staatsrecht , Der Zaiditen P . 71 .

(٤) مقات الاسلاميين ١/١٣٣ ، اعتقادات فرق المسلمين ص ٣٢ .

(٥) النجاشي : الرجال ص ١٢١ .

(٦) الطوسي : الفهرست ص ٩٨ .

اهل البيت . اما الامامة ، فان آراءهم فيها قريبة جدا من آراء الاماميـــة ، فهم يقولون بأن النبي نص على علي بن ابي طالب بالوصف لا بالتسمية . فقد اشار اليه ووصفه بالصفات التي لم توجد الا فيه (١) . وان الصحابة كفروا بتركهم بيعته وتولية غيره (٢) . وهم يطعنون في خلافة ابي بكر وعمر (٣) . غير ان الجارودية يختلفون في الامام بعد علي بن ابي طالب . فبعضهم يرى ان الامام بعد علي هو الحسن ثم الحسين ، ثم هي شورى بين اولاد الحسن والحسين فمن خرج منهم مستحقا للامامة فهو الامام (٤) . وذهب آخرون الى ان النبي نص على الحسن من بعد علي وعلى الحسين من بعد الحسن (٥) . وامارأيهم بالنسبة الى المهدى المنتظر فهو موافق لرأى الامامية ايضا فهم يقولون بالرجعة وقد انقسموا في هذا الى عدة فرق : الاولى وهي المحمدية قالت بامامة محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب المعروف بالنفس الزكية ، ورجعته ، وانه هو الامام المنتظر ، وانه لم يمت ولم يقتل وسيخرج فيملأ الارض عدلا (٦) . والثانية وهي الطالقانية التي اقرت بموت ذى النفس الزكية ، وقالت ان الامامة في

---

(١) الملل والنحل ١/١١٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٢ .

(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٣ .

(٥) مقالات الاسلاميين ١/١٣٤ - ١٣٥ .

(٦) الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٣٢ ، مشارق انوار اليقين ص ٢٥٥ .

محمد بن القاسم - صاحب الطالقان - وانه لم يمت ولم يقتل (١) والثالثه وهي العمرية ، وقالت ان المنتظـر هو يحي بن عمر ، المقتول بالكوفة ، وهم لايصدقون بقتله (٢) والرابعة لم تعيـن واحدا على الانتظار وقالت : كل من شهر سيفه ودعى الى دينه من ولد الحسن والحسين فهو الامام (٣) . ويذكر الحميرى ان هناك فرقة منهم تسمى الحسينية ، وهم يقولون بامامة الحسن بن القاسم ابن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسي ، وانه حي لم يمت ولا يموت حتى يملأ الارض عدلا ، وكان قد قتل سنة ٤٠٤ هـ في اليمن (٤) . اما مسألة علم اهل البيت فانهم يرون ان اهل البيت يختلفون عن سائر الناس في اكتسـاب العلوم والمعارف ، ذلك انهم لا يتعلمونها من احد ، وانما « العلم يحصل لهم قبل التعلم فطرة وضرورة » (٥) . وان « من ادعى ان من كان منهم في المهد والخرق ليس مثل علم رسول الله - ص - فهو كافر مشرك » (٦) . فالعلم « ينبت في صدورهم كما ينبت الزرع المطر ، والله هو الذي علمهم ذلك » (٧) . فالجاروديـة لا تفضل بعضهم على بعض بل ترى ان جميع اهل البيت سواء

(١) الملل والنحل ١١٩/١ ، مشارق انوار اليقين ص ٢٥٥ .

(٢) الاسفرايينى : التبصير في الدين ص ٣٢ ، مشارق انوار اليقين ص ٢٥٦ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣ .

(٤) الحور العين ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٥) الملل والنحل ١١٩/١ .

(٦) النوبختي : فرق الشيعة ص ٧٦ .

(٧) المرجع السابق ص ٧٦ .

ويبدو انهم قالوا بذلك « حتى لا يلزموا بعضهم دون بعض في الامامة ، وبذلك تكون الامامة فيهم جميعـــا » (١) . وينعى الجاحظ على الجارودية سلوكهم هذا ، وكيف انهم عملوا على الحط من قيمة العلم ، فيقول : « ان الشيعة جنوا على ولـــد رسول الله ومنعوهم من طلب العـلم ، ووهموهم ان الله يلهمهم العلم الهاما » (٢) . ويبدو ان رد الجاحظ هذا مبالغ فيه وكان الأجدر به ان يوجهه الى الجارودية لا الى اهل البيت .

السليمانية

وهم اصحاب سليمان بن جرير . وهؤلاء يقولون ان الامامة شورى ، وانها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وانها تصلح في المفضول ، ويثبتون امامة الشيخين ابي بكر وعمر (٣) وكان سليمان يقول ان بيعة ابي بكر وعمر خطأ لا يستحقـــان عليها اسم الفسوق من قبل التأويل وان الامة تركت الاصلح ببيعتها لهما (٤) . وقد كفرت السليمانية عثمان بن عفان في الاحداث التي نقمت عليه ، وشهدوا عليه بالكفر (٥) . وكفرت السليمانية اصحاب الجمل لمحاربتهم علي بن ابي طالب (٦) . وترى السليمانية

(١) المرجع السابق ص ٧٦ .
(٢) الخياط : الانتصار ص ١٥٣ .
(٣) مقالات الاسلاميين ١٣٥/١ .
(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٠ .
(٥) الاسفراييني : اعتقادات فرق المسلمين ص ٣٣ .
(٦) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٠ ، الملل والنحل ١١٩/١ .

ان السخط والرضى من صفات الذات (١) . وان الله لم يزل ساخطا على من علم انه يعصيه ، وراضيا على من علم انه يطيعه ويرى سليمان بن جرير اهمية كبيرة لعمل الانسان في اواخر ايامه ، فهي التي تقرر علاقته بربه وذلك « ان العبد قد يكون مؤمنا وان الله معاد له ، اذا كان يعصي في اواخر ايامه » (٢) ويرى سليمان بن جرير ان علم البارىء شيء ، وقدرته شيء ، وحياته شيء ولا يقول صفاته اشياء (٣) ، لان ذلك يجر الى التجسيم. ويقول سليمان ان وجه الله هو هو (٤) ، معتمداً على قوله تعالى « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » . فوجه الله هو الله وعلمه ليس هو (٥) ، اي انه يعلم بعلم ذاته ، فهي صفة غير منفصلة عنه اما قدرة الله فلم يقررها سليمان هل هي الله ، ام هي غيره (٦) ، وراى ان ذلك من باب الاستحالة : وقال في الاستطاعة انها بعض المستطيع لا يمكن فصلها فهي « ممازجة له كممازجة الدهنين » (٧) ، غير ان بعض السليمانية يذهب الى ان الاستطاعة قبل الفعل ، وذلك لان المستطيع لا يقوم بالفعل قبل استطاعته ، لكنهم خلطوها بقولهم انها مع الفعل مشغولة بالفعل في حال الفعل (٨) . وبذلك انتفى قولهم الاول ورجعوا الى قول سليمان السابق . وقد تعرض سليمان للقدرة الالهية والارادة ،

(١) مقالات الاسلاميين ٢/٢٣١ .

(2) Strothmann , Das Staatsrecht Der Zaiditen P. 34 .

(٣) و (٤) مقالات الاسلاميين ١/١٣٨ .

(٥) و (٦) المرجع السابق ١/١٣٨ .

(٧) و (٨) المرجع السابق ١/١٤٠ .

فقال « هل يقدر الله على ما علم انه لايفعله » ، اي هل يستطيع الله القيام بعمل قادر عليه ، ولا يريده . وهنا يجيب سليمان عن ذلك بقوله ، « ان هذا الكلام له وجهان فاذا جاء به خبر انه لا يفعله فعند ذلك لا يجوز القول ، يقدر عليه ولا لا يقدر عليه لان القول بذلك محال . واما ما لم يأت به خبر وكان في العقول دفعه فان الله لا يوصف به واما ما لم يأت به خبر وليس فى العقول دفعه فهو جائز ، وذلك لجهلنا بالغيب فيه ، وانه ليس في عقولنا ما يدفعه لانا قد رأينا مثله مخلوقا (١) . ويقول سليمان ان الباريء لا يوصف بالقدرة على ان يظلم ويجور ولا يقال لا يقدر لأنه يستحيل ان يظلم ويكذب (٢) .

الصالحية والبترية

وهم اصحاب الحسن بن صالح بن حي ، وكثير النواء ، الملقب بالابتر ، وسموا بهذا الاسم نسبة اليه (٣) . وينقل الكشي خبرا في سبب تسميتهم بهذا الاسم ، يقول : انهم اجتمعوا عند محمد بن علي الباقر ، فقالوا له : « نتولى عليا وحسنا وحسينا ونتبرأ من اعدائهم ، قال نعم ، قالوا : نتولى ابا بكر وعمر ونتبرأ من اعدائهما . فالتفت اليهم زيد بن علي وقال لهم : اتتبرؤن من فاطمة ، بترتم امرنا بتركم الله ، فيومئذ سموا البترية » (٤) وكان

(١) المرجع السابق ١/١٣٩ .

(٢) مقالات الاسلاميين ١/١٣٩ .

(٣) مقالات الاسلاميين ١/١٣٦ ، الحور العين ص ١٥٥ .

(٤) الكشي : الرجال ص ٢٠٥ .

الحسن بن صالح فقيها ، زاهدا ، متكلما ، محدثا (١) ، حتى قال عنه ابو نعيم « كتبت عن ثمانمائة محدث فما رأيت افضل من الحسن بن صالح » (٢) . وللحسن بن صالح مؤلفات عديدة منها كتاب التوحيد ، وكتاب امامة علي ، وكتاب الجامع في الفقه ، وكانت وفاته مختفيا عام ١٦٧ هـ (٣) . اما كثير النواء فكان من محدثي الكوفة (٤) . والصالحية والبترية متفقتان في آرائهما (٥) . بيد انهما يقفان موقفا متطرفا بالنسبة الى الامامة ذلك انهم يقولون : جائز للناس ان يولوا عليهم غير الامام علي اذا كان للذي يولونه مجربا ، وان من خالفه من قريش او بني هاشم فهو كافر (٦) . وصححوا خلافة ابي بكر وعمر ولم يكفروهما ، وعدوهما اهلا لذلك المقام ، وذلك لان عليا سلم لهما الامر ، وبايعهما غير مكره (٧) وهم يقولون بامامة الافضل والازهد اذا تساوت بقية الشروط ، فاذا تساويا ايضا ينظر الى الامتن رأيا والاحزم امرا ، فاذا انفرد كل منهما بقطر وجبت الطاعة له في قومه ، ولو افتى باستحلال دم الاخر (٨) ويشترط

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٨٩ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٢٨٧ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧ .

(٤) تهذيب التهذيب ٨/ ٤١١ .

(٥) الملل والنحل ١ / ١٢٠ .

(٦) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٧) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٨) الملل والنحل ١/ ١٢١ .

بعضهم صباحة الوجه فى الامام (١) ويذكر الشهرستاني انهم يقفون بالنسبة الى عثمان موقفا محايدا ، ولا يقولون فيه بخيرولا شر ، ويعللون ذلك بتضارب الروايات في هـذا الموضوع ، فبعضهـا تثبت تقواه وورعه ، وزهده ، والاخرى تنص على ذمه ، فوكلوا امره الى الله (٢) . غير ان صالح بن حي لايرى هذا الرأي ، فقد كان يتبرأ من عثمان بعد الاحداث التي نقمت عليه (٣) .

القاسمية

وهم زيدية اليمن . اصحاب يحي بن الحسـين بن القاسم المعروف بالرسي (المتوفى عام ٢٩٨ هـ / ٩١١ م) ، والقاسمية تنسب الى القاسم بن ابراهيم (٤) . اما نشوان بن سعيد الحميري فيذكر ان اهل اليمن من الجارودية ، (٥) وهذا ما يشك فيـه وتختلف القاسمية عن سائر فرق الزيدية بنظرتها الى الامامـة ، فهي تؤكد وجوب النص والتعيين « وان الله امر نبيه بأن ينص على رجل بعينه حتى لا يقول احد انه اولى بالامامة » (٦) .

---

(١) المرجع السابق ١/١٢١ .

(٢) الملل والنحل ١/١٢٠ ، التبصـير في الدين ص ٣٣ ، اصول الدين ص ٢٧٨ .

(٣) مقالات الاسلاميين ١/١٢٧ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ١٩٣ .

(٥) الحميري : الحور العين ص ١٥٦ .

(6) Strothmann , Das Staatsrecht Der Zaiditen P . 51 .

فالامامة فرض من الفروض الدينية (١) ، وان نصب الامام واجب وهو من اهل البيت . (٢) . ويعللون ذلك ان الامامة اذا خرجت من آل الرسول ادعتها كل فرقة ، ووقع الاختلاف وفي الاختلاف ابطال للدين (٣) وبهذا فان تقديم ابي بكر وعمر غير جائز (٤) . وهم يعتقدون ان الامامة لعلي بن ابي طالب ، ويأخذون بما يروى عن النبي -ص- قوله : من كنت مولاه فعلي مولاه (٥) . ويذهبون الى ان النبي اوصى لعلي ، ويقولون : « ان الرسول كان خير الناس واعلم الناس ، فينبغي ان يكون وصيه من بعده خيرهم ، واعلمهم واطوعهم لامره ، وانفذهم لوصيته » (٦) . ومع هذا فانهم يأخذون بامامة المفضول (٧) ، لكنهم يرون احيانا ان المتقدم على الفاضل تبطل امامته ، ويجب تسليم الامر الى الافضل (٨) وهذا الرأي ينفرد به القاسمية خلافا لبقية فرق الزيدية . وترى القاسمية اهمية لفعل العبد ، فالعبد في نظرهم ، هو الذي يقرر علاقته بربه ، خيرا او شرا « فالرضى والسخط والعصاية والمحبة من صفات الفعل ، وانها محدثة ، وان الله تعالى لا يسخط ولا

(1) Idid P . 4

(2) Idid P . 30

(3) Idid P . 31

(4) Idid P . 31

(5) Idid P . 21

(6) Idid P . 23

(7) Idid P . 39

(8) Idid P . 61

يرضى ، ولا يوالي ولا يعادي الا عند وجود الافعال من العبد ، التي يستحق عليها ذلك (١) .

اليعقوبية

وهم اتباع يعقوب (٢) . وهم يقولون بولاية ابي بكروعمر ولكنهم لا يتبرؤن ممن تبرأ منهما (٣) . وهم ينكرون رجعةالاموات ويتبرؤن ممن دان بها (٤) :

النعيمية

وهم اصحاب نعيم اليمان (٥) ، الذين قالوا : ان عليا كان مستحقا للامامة بعد النبي ، وان الامة اخطأت بترك الافضل، وهو علي ، وولت ابا بكر وعمر عليها ، غير ان هذا الخطأ لا يجر الى الاثم (٦) .

المطرفية

وهؤلاء قالوا : لابد من ان يكون الامام اعلم الناس

---

(1) Idid P. 34

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٤ .

(٣) مقالات الاسلاميين١ /١٣٧ .

(٤) المرجع السابق ١ /١٣٧ :

(٥) المرجع السابق ١ /١٣٧ :

(٦) المرجع السابق ١ /١٣٧ .

وافضلهم (١) . وقالوا برجعة الاموات (٢) .

الزيدية والامامية

تضم الشيعة فرقتين رئيستين ينضوي تحتها غالبيـــة اتباع الشيعة ، وهما الامامية والزيدية ، ويؤكد الجاحظ هذا بقوله : « اعلم - رحمك الله - ان الشيعة رجلان زيدي ورافضي وبقيتهم بدد لا نظام لهم ، وفي الاخبار غنى عما سواهما » (٣) . ولما كان اصل هاتين الفرقتين واحدا وهو التشيع ، فلابد ان تكون العلاقة بينهما وثيقة جدا ، وان كانت هنـــاك بعض الخلافات بينهما . اما وجوه الشبه بينهما ، فان الامامية تقول بامامة علي بن ابي طالب بعد رسول الله - ص - بلا فصل ، ونفت خلافـة من تقدمه (٤) . ودليلهم على ذلك ان النبي نص على علي وعينه (٥) كذلك تقول الجارودية بأن النبي نص على صفات الامـام علي دون ان يعينه (٦) . وتعتقد القاسمية ان النبي نص على علي وعينه ومن الواجب تسليم الامر له (٧) . ولما كانت الامامة هي القاعدة الاساسية للتشيع ، فعلى هذا يكون الزيديـة داخلين تحت اسم

(1) Strothmann , Das Staatsrecht Der Zaiditēn P . 71

(2) Idid P . 71

(٣) ثلاث رسائل للجاحظ (نشرها السندوبي) ص ٢٤١ .

(٤) المفيد : اوائل المقالات ص ٣ .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤١ .

(٦) مقالات الاسلاميين ١/١٣٣ ، الملل والنحل ١/١١٨ .

(7) Strothmann , Das Staatsrecht Der Zaiditen , P . 39

الشيعة ، لانتظامهم بمعناها وعدم خروجهم عنهـــا (١) . ثم ان الامامية انكرت خلافـــة ابي بكر وعمر وعثمان (٢) . وقالت الجارودية بخطأ خلافة ابي بكر وعمر ، وانكروا خلافة عثمان (٣) وانكرت القاسمية تقديم الخلفاء الثلاثة على الامام علي (٤) وقد فضلت الامامية علي بن ابي طالب وقالت : انه افضـل الناس بعد رسول الله - ص - ، وكذلك قالت الزيدية (٥) . وحكمت الامامية على من قاتل عليا بأنه كافر ، وشاركتها الزيديـــة في هذا (٦) . ويعتقد الامامية كافة برجعة الامام الثاني عشر الى الحياة الدنيا قبل يوم القيامة ، ليملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا (٧) . ويشاركهم في هذا الجارودية من الزيديـة ، لكن الخلاف بين الاثنين ان الامام في نظر الامامية لم يقتل بل اختفى ، بينما يرى ائمة الزيدية انه قتل (٨) . وترى الامامية ان صفات الله هي عين ذاته ، لا تزيـد ولا تنقص ، فالله « حي بنفسه لا بحياة زائدة عن ذاته ، وانه قادر بنفسه ، وعالم بنفسه » (٩)

---

(١) المفيد : اوائل المقالات ص ٦٤ .

(٢) مقالات الاسلاميين ٢/١٢٨ .

(٣) الملل والنحل ١/١١٨ .

(4) Strothmann , Das Staatsrecht Der Zaiditen , p . 13

(٥) المرتضى : الفصول ١/٦٨ - ٦٩ .

(٦) المفيد : اوائل المقالات ص ١٠ .

(٧) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٨) المفيد : الغيبة ص ٨ .

(٩) المفيد : اوائل المقالات ص ١٨ .

والى هذا يذهب جمهور الزيدية (١) ، فهم يرون ان الله عالم بعلم قديم ، وبه تقول الامامية (٢) . وكلاهما يقولان بأن القرآن محدث (٣) وينفي كل من الامامية والزيدية رؤية الله في الدنيا والاخرة (٤) . وتذهب الامامية الى « ان الله كريم ، فقد خلق العباد وامرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته واحسن اليهم ، وهو لم يكلف احدا دون طاقته ، ولا يعذبه الا لفعل القبيح » (٥) وهذا مطابق لمبدأ الوعد والوعيد الذي تقول به الزيدية وتعتقد الامامية انه لا مانع من ظهور المعجزات على يد الامام ، وان ذلك لا يخالف العقل ولا الكتاب ، ولا السنة (٦) ، وشاركهم في هذا الرأي الزيدية في اليمن (٧) .

اما وجوه الخلاف بين الامامية والزيدية فهي ، ان الامامية يحصرون الامامة في اولاد الحسين بن علي بن ابي طالب ، ولا يشترطون خروجهم بالسيف ، ويميلون الى التقية ، بينما ترى الزيدية ان الامامة جائزة في اولاد الحسن والحسين وترى وجوب خروج الامام بالسيف ولا ترى التقية (٨) . وترى الامامية

(١) اوائل المقالات ص ١٨ .

(٢) الخياط : الانتصار ص ١٠٨ .

(٣) اوائل المقالات ص ١٨ ـ ١٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٦) المرجع السابق ص ٤١ .

(٧) الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢/٤٣ ـ ٤٤ .

(8) Strothmann , Das staatsrecht Der Zaiditen , P . 42-43

العصمة في الامام (١) . بينما لا ترى الزيدية ذلك (٢) . وتقول الامامية ان المسلم اذا ارتكب الكبيرة فان ذلك لا يخرجه عن الاسلام ، فهو مسلم وان كان فاسقا بما فعله من الكبائر والآثام (٣) كذلك قالت الزيدية بهذا ، غير ان الامامية يقولون بشفاعة رسول الله - ص - لأهل الكبائر من امته ، وبشفاعة علي بن ابي طالب لاصحاب الذنوب من شيعته (٤) ، بينما قصرت الزيدية الشفاعة على النبي وحده ، ثم ان الشفاعة عندهم مقصورة على اهل الجنة ، يرفعهم من درجة الى اخرى في النعيم (٥) . وتعتقد الامامية بأن الله قادر على العدل ، كما انه قادر على خلاف العدل ، الا انه لا يفعله ، وهذا دليل قدرته وعظمته (٦) ، ويخالفهم الزيدية في هذا ، فهم يرون ان الله لا يوصف بالقدرة على ان يظلم ويجور ولا يقال لا يقدر (٧) . واتفقت الامامية على ان الاسلام غير الايمان ، وذلك ان كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمن (٨) ، وخالفهم في هذا الزيدية ، فهم

---

(١) الكليني : اصول الكافي ١/٢٠٣ .

(٢) يحي بن الحسين : الامامة ورقة ٢١ .

(٣) اوائل المقالات ص ١٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٤ .

(٥) يحي بن الحسين : الوعد والوعيد ورقة ٤ .

(٦) اوائل المقالات ص ٢٣ .

(٧) مقالات الاسلاميين ١/١٣٩ .

(٨) اوائل المقالات ص ١٥ .

يرون انه لا فرق بين الاسلام والايمان في الدين (١) . وترى الامامية عدم جواز ارتكاب الانبياء للذنوب صغيرها وكبيرها في حين ان الزيدية تقول بنفي الكبائر عنهم فقط ، ويجوز عليهم الصغائر بعد « ان لا تكون مستخفية مرذولة » (٢) .

آثاره :

تنسب الى زيد بن علي بضع عشرة رسالة ، في موضوعات مختلفة كالكلام ، والتفسير ، والفقه (٣) والاخبار وغيرها (٤) وقد وردت اقدم الاشارات الى وجود كتابين هما : كتابه المسمى بالقلة والجماعة ، والاخر المسمى بمجموع الفقه . اما الكتاب الاول فقد اشار اليه خالد بن صفوان عند الحديث عن المناقشة التي جرت بين زيد واهل الشام ، وكيف كان زيد يستعين بهذا الكتاب اثناء مناقشته لهم . وهذا الكتاب فيما يبدو خاص بعلم الكلام (٥) . اما الكتاب الاخر فقد ذكره ابوخالد الواسطي . وقد جمعه بعد ذلك ابو القاسم عبد العزيز بن اسحاق البغدادى

---

(١) محمد بن الحسن : تسهيل مرقاة الوصول ورقة ٥ (مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٣٨٢ تيمور) .

(٢) المرتضى : مجموعة في علم الكلام (نفائس المخطوطات نشرها محمد حسن آل ياسين) ص ٦٧ .

(٣) علي حسن عبد القادر : نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامي ص١٧٩

(٤) انظر : مقدمة كتاب مجموع الفقه لزيد بن علي (نشره كرفنيية ، ميلانو ١٩١٩) .

(٥) الروض النضير .

(المتوفى عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) وهو من علماء الزيدية وقدرواه عن سليمان بن ابراهيم بن عبيد المحاربي عن نصر بن مزاحم المنقرى عن ابراهيم بن الزبرقان عن ابي خالد الواسطي عن زيد بن على (١) وقد نشره كرفنيية Eugenio Griffini في ميلانو عام ١٩١٩ م وكان قد شرحه محمد بن المطهر في كتاب سماه المنهاج الجلي في فقه زيد بن علي (٢) . كما شرحه الصنعاني بكتاب سماه الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير ، ويتضمن كتاب مجموع الفقه احاديث بعضها مرفوع الى النبي ، والاخر موقوف على علي بن ابي طالب (٣) . وهذا الكتاب من الكتب القديمة التي جمعت في الفقه المحض وهو مرتب على ابواب كباب الصلاة والصوم ، والحج ، وغيرها (٤) . وفيه يقول جولد تسيهر : « ان صح ما وصل الينا من بطانة زيد بن علي ، وجب ان نعترف بأن اقدم ما وصل الينا من المصنفات الفقهية هو من مؤلفات الشيعة الزيدية » (٥) . ولما كان هذا المجموع قد صح وصوله عن طريق ابي خالد الواسطي احد اتباع زيد ، حيث تؤكد الاسانيد ذلك (٦) . ولما كان اكثر المحدثين زيدية (٧) ، يظهر لنا ان الفقه الزيدي كان له اثر كبير في الفقه الاسلامي

---

(١) المرجع السابق ١ / ١٠ وما بعدها .
(٢) انظر مقدمة مجموع الفقه ص ٢٧ .
(٣) الروض النضير ١/٥٨ .
(٤) علي حسن عبد القادر : نظرة عام في تاريخ الفقه الاسلامي ص ١٨١
(5) Encyclopaedia Of Islam , Art Fikh . Vol .II , P . 103
(٦) الروض النضير ١/١٠ .
(٧) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٨ .

ويصف علي حسن عبد القادر هذا الكتاب بقوله : « ولا شك ان مقارنة مجموع الفقه بمثل الموطأ وكتب الحنفيـــة ، تعطينا ملاحظات على جانب من الاهمية في الحكم على مجموع الفقه ، فهو في ترتيبه أعلى كعبا من الموطأ » (١). ولزيد ايضا المسند المعروف بالمجموع الحديثي ، وهو يختص بالحديث (٢) . وله كتاب الصفوة ، وهذا الكتاب هو المصدر الوحيد الذي يمدنـا بمعلومات عن آراء زيد وافكاره ، ففي هذا الكتاب يصور لنا زيد الاحوال السائدة فى عصره ويحدد موقفه منها . واول مـا يذكره زيد في هذا الكتاب وجود فرق متضاربة بين المسلمين آنذاك ، ومحاولة كل فرقة اثبات انها الفئة الصالحة ، وبراعـة كل منها فى استعمال القرآن لأغراضها الخاصة (٣) وهو بذلك يعطينا صورة لبعض اوجه الخلاف في الصدر الاسلامي الاول والذي يهمنـا من كل ذلك موقف زيـــد من تلك الاحوال . ويلاحظ انه وقف موقفا معتدلا ، تحدوه الرغبة في رأب الصدع الذي كان قائما بين المسلمين . فقد نعى عليهم الفرقة التي تؤدي الى البغضاء فقال : « وليس الاخوان في الدين من تبرأ بعضهم من بعض وقتل بعضهم بعضا » (٤) . وهو بهذا يصور ظهور طبقة جديدة في المجتمع الاسلامي تقف وسط التيارات المتلاطمة في محاولة للتخفيف من حدتها . وقد ابدى زيد اسفه للفارق الكبـــير بين حال

(١) نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ص ١٨٠ .

(٢) الروض النضير ١/٨ .

(٣) زيد بن علي : كتاب الصفوة ورقة ١ .

(٤) المرجع السابق ورقة ٢ .

المسلمين زمن الرسول ، وما صاروا اليه بعد وفاته (١) . ويرى ان ذلك مرجعه عدم تسليم قيادة الامة لاهل بيت النبي وبذلك جاز لكل شخص الحق في ان يدعي صلاحيته لذلك مما ادى الى فساد الامور (٢) . وينتقل زيد بعد هذه المقدمة الى حق آل النبي في وراثته ، باعتبارهم الصفوة الذين يجب تميزهم عن غيرهم لقرابتهم من النبي ، وينتقد من ينكر فضلهم على سائر الناس (٣) . ويضرب زيد الامثله لأثبات هذا الحق فيقول : « هل بعث الله نبيا الا سمى له اهلا ، وهل ترك كتابا الا وقد سمى لذلك اهلا فى كتابه وعلى لسان نبيه ، ثم قص عليكم اعمال من نجا منهم ، واعمال من هلك منهم ، واخبركم من كان هو اهل صفوته من الامم الذين نجوا من انبيائهم ، فان وجدت في الكتاب ان اهل الأنبياء نجوا مع انبيائهم ومن اتبعهم ، وان بقية الخلق من الامم كانوا ذرية الأنبياء ، فاعلم ان هذه الامة لا تنجو الا بمثل ما نجا به من كان قبلهم . . . » (٤) . ويرد زيد بشدة على من يزعم ان اهل القبلة سواء فيقول : « فمن زعم ان اهل هذه القبلة كلهم اهل صفوة وحبوة وخيرة ليس بينهم تفاضل ، فانا لا نقول ذلك ، لانه ليس كل من اتبع الانبياء سماهم الله اهل صفوة وحبوة وخيرة » (٥) . ويعتمد زيد في

---

(١) زيد بن علي الصفوة ٢ .

(٢) المرجع السابق ورقة ٢ .

(٣) المرجع السابق ورقة ٣ .

(٤) المرجع السابق ورقة ٣ .

(٥) المرجع السابق ورقة ٤ .

اثبات حق اهل البيت في وراثة الرسول على الآيات القرآنية ، مثل قوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه اجرى الا المودة في القربى » (١) وقوله : « وات ذا القربى حقه » (٢) . فيقول : « وهكذا خص ذو قرابته من دون الناس ، ولذلك ليس احد اولى بمحمد منا » (٣) . ثم ينتقل الى ايراد الاحاديث التي تؤكد حق اهل البيت في وراثة الرسول (٤) . هذه خلاصة ماورد في كتاب الصفوة ومنه يظهر ان زيدا لم يخرج في ارائه عن الاتجاه العلوي القائل بأحقية اهل البيت بوراثة الرسول ، ولكنه وقف موقفا معتدلا بالنسبة الى الفرق الاسلامية الاخرى مركزا جهوده لمحاربة الانحراف عن نهج الشريعة الاسلامية الذي بدا ظاهرا انذاك .

(١) سورة الشورى اية ٢٣ .

(٢) سورة الاسراء اية ٢٦ .

(٣) كتاب الصفوة ورقة ٦ :

(٤) المرجع السابق ورقة ١٤ .

مراجع المخطوطات

ابن الوزير (المتوفى عام ٨٢٢ هـ/ ١٤١٩ م) الهادي بن ابراهيم بن المفضل
الارشاد الهادي الى منظومة الهادي في العقائد الزيدية .
مخطوطة دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٧ عقائد تيمور .

البلاذري (المتوفى عام ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) احمد بن يحيى .
انساب الاشراف .
الجزء الثالث مخطوطة مصورة في معهد الدراسات الاسلامية العليا عن مخطوطة المغرب المرقة ٦٨ .

البياسي (المتوفى عام ٦٥٣ هـ/ ١٢٢٥ م) يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري
الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام .
مخطوطة دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٩ تاريخ .

الرّصاص ابي الحسن احمد بن الحسن بن محمد .
مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم .
مخطوطة دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٤ عقائد تيمور .

الزمخشري (المتوفى عام ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م) ابو القاسم محمد بن عمر
ربيع الابرار ونصوص الاخبار .
مخطوطة مكتبة الاوقاف العراقية ببغداد تحت رقم ٢١١٥ .

زيد بن علي (المقتول عام ١٢٢ هـ/ ٧٣٩ م) .
كتاب الصفوة مخطوطة مصورة عن مخطوطة المتحف البريطاني المرقة ٢٠٣ .

زين العابدين (المتوفى عام ٩٥ هـ/ ٧١٣ م) علي بن الحسين .

الصحيفة السجادية .

مخطوطة مكتبة السيد محسن الحكيم في النجف تحت رقم ٥٦١ .

القاسم بن ابراهيم الرسي (المتوفى عام ٢٤٦ ﻫ / ٨٦٠ م) .

مسائل منثورة للقاسم (مخطوطة مصورة عن مخطوطة المتحف البريطاني تحت رقم ٢٠٣) .

الاساس في علم الكلام عند الزيدية (مخطوطة دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٤ عقائد تيمور) .

المحلي (المتوفي عام ٦٥٢ ﻫ / ١٢٥١ م) ابو عبد الله حميد بن احمد .

الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية .

مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء في النجف تحت رقم ٧١٣ .

محمد بن الحسن بن المنصور بالله (المتوفى عام ١٠٢٨ ﻫ / ١٦١٥) م .

تسهيل مرقاة الوصول الى علم الاصول .

مخطوطة دار الكتب المصريةبالقاهرة تحترقم ٣٨٢ عقائدتيمور

المفيد (المتوفى عام ٤١٣ ﻫ / ١٠٢٢ م) محمد بن النعمان .

المسائل الجلية في الرد على الزيدية .

مخطوطة مكتبة السيد محسن الحكيم بالنجف تحت رقم ٨١٨ .

مؤلف مجهول اخبار العباس وفضائله ومناقبه وفضائل ولده ومناقبهم مخطوطة مصورة في معهد الدراسات الاسلامية ببغداد .

النويري (المتوفى عام ٧٣٣ﻫ/١٣٣٣م) شهاب الدين احمد بن عبد الرحمن

نهاية الارب في فنون العرب . الجزء الثالث والعشرون .

مخطوطة دار الكتب المصرية تحت رقم ٦٩٩ تاريخ تيمور .

الهاروني (المتوفى عام ٤٢١ ﻫ / ١١٣٠ م) ابو الحسن احمد بن الحسين

نصرة مذاهب الزيدية .

مخطوطة مصورة في جامعة الدول العربيــة تحت رقم ١٩٧ ملل

يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم (المتوفى عام ٢٩٨ هـ / ٩١١ م) .

كتاب الديانة .

كتاب المسترشد في التوحيد .

كتاب الوعد والوعيد .

مخطوطات في مكتبة دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٨ عقائد تيمور

مراجع المطبوعات

ابن ابي الحديد (المتوفى عام ٦٥٥ هـ / ١١٥٧ م) عز الدين ابو حامد عبدالحميد
ابن هبة الله المدائني .
شرح نهج البلاغة . مطبعة دار الكتب العربية القاهرة ١٣٢٩ هـ .

ابن الاثير (المتوفى عام ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) عز الدين ابو الحسن علي بن محمد
ابن عبد الكريم الجزرى .
تاريخ الكامل المطبعة الكبرى ، القاهرة ١٢٩٠ هـ .
اسد الغابة في معرفة الصحابة . المطبعة الاسلامية طهران .

ابن البزاز الكردى (المتوفى عام ٨٢٧ هـ/١٤٢٣ م) حافظ الدين محمد بن شهاب
مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة . حيدر آباد ، الدكن ١٣٢١ هـ .

ابن تغرى بردى (المتوفى عام ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين ابو المحاسن
الاتابكي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . دار الكتب ،
القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م .

ابن حجر (المتوفى عام ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م) احمد بن حجر الهيتمي المكي .
تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن ابي سفيان
القاهرة ١٣٧٥ هـ .

ابن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ابو الفرج عبد الرحمن بن محمد
ابن علي صفوة الصفوة . حيدر آباد ، الدكن الطبعة الاولى ١٣٥٥ هـ

ابن الجوزي (المتوفى عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦) ابو المظفر يوسف بن شمس الدين
الملقب بسبط العلامة ابي الفرج .
تذكرة الخواص . المطبعة العلمية ، النجف ١٣٦٩ هـ .

ابن حزم (المتوفى عام ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣م) ابو محمد علي بن احمد بن حزم الظاهري
الفصل في الملل والاهواء والنحل .
مطبعة التمدن ، الطبعة الاولى ١٣٢١ هـ .
ابن خرداذبه (المتوفى في حدود ٣٠٠ هـ) ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله
المسالك والممالك . ليدن ١٨٨٩ م .
ابن خلكان (المتوفى عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان .
مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى القاهرة ١٣٦٧ هـ /١٩٤٨ م .
ابن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
الحضرمي .
المقدمة . دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٦١ م
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . دار الكتاب اللبناني بيروت
١٩٥٦ م .
ابن دريد (المتوفى عام ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) ابو بكر محمد بن الحسن
الاشتقاق تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م .
ابن رستة (كان حيا عام ٢٩٠ هـ) ابو علي احمد بن عمر .
الاعلاق النفيسة . ليدن ١٨٩١ م .
ابن سعد (المتوفى عام ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) محمد بن سعد .
الطبقات الكبرى . ليدن ١٣٣٢ م .
ابن الطقطقى (المتوفى عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) محمد بن علي بن طباطبا
تاريخ الدول الاسلامية . دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ م .
ابن عبد الحكم (المتوفى عام ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم
سيرة عمر بن عبد العزيز .

تحقيق احمد عبيد مطبعة الاعتماد الطبعة الثانية مصر ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م
ابن عبد الحكم (المتوفى عام ٢٥٧هـ/٨٧١م) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري
فتوح مصر والمغرب . تحقيق عبد المنعم عامر . المنيرة ١٩٦١ م .
ابن عبد البر (المتوفى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد
الاستيعاب في معرفة الاصحاب . تحقيق علي محمد البجاوي .
القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
ابن عبد ربه (المتوفى عام ٣٢٨ هـ/٩٣٩ م) احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي
العقد الفريد . تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م
ابن العبري (المتوفى عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ابو الفرج غريغوريس بن هارون
تاريخ مختصر الدول . حققه انطوان صالحان اليسوعي .
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨ م .
ابن عذارى (المتوفى في القرن السابع) ابو العباس احمد بن محمد .
البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب . نشر وتحقيق ج .س
كولان وليفي بروفنسال ، ليدن ١٩٤٨ م .
ابن عساكر (المتوفى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ابو القاسم علي بن الحسن هبة الله
ابن عبد الله بن الحسين بن عساكر الشافعي .
تهذيب تاريخ ابن عساكر . مطبعة الترقي الطبعة الاولى دمشق ١٣٤٩هـ
ابن عنبة (المتوفى عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م) جمال الدين احمد بن علي الحسني .
عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ، المطبعة الحيدرية الطبعة
الثانية النجف ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .
ابن قتيبة (المتوفى عام ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) ابو محمد عبد الله بن مسلم .
المعارف . مطبعة دار الكتب مصر ١٩٦٠ م .
الامامة والسياسة . مطبعة مصطفى محمد مصر .

ابن القوطية (المتوفى عام ٣٦٧هـ/٩٧٧ م) محمد بن عمر بن عبد العزيز الاندلسي
تاريخ افتتاح الاندلس . تحقيق عبد الله انيس الطباع .
دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٥٧ م .
ابن القيم (المتوفى عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر .
اعلام الموقعين عن رب العالمين . مطبعة النيل مصر .
ابن كثير (المتوفى عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي .
البداية والنهاية . مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى .
مصر ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
ابن النديم (المتوفى عام ٣٧٨ هـ / ٩٨٨م) محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق
الفهرست ليبزك ١٨٧١ م .
ابن منظور (المتوفى عام ٧٧١هـ/١٣٦٩م) جمال الدين بن جلال الدين الانصاري
لسان العرب . المطبعة الميرية ببولاق الطبعة الاولى ١٣٠١ هـ .
ابن هشام (المتوفى عام ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) ابو محمد عبد الملك بن هشام
سيرة النبي . مطبعة حجازي القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .
ابو الفداء (المتوفى عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين ابو الفداء اسماعيل .
المختصر في اخبار البشر (تاريخ ابي الفداء) دار الكتاب اللبناني بيروت .
الاسفراييني (المتوفى عام ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) ابو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد . التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين .
نشر مكتبة الخانجي مصر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

الاشعري (المتوفى عام ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) ابو الحسن علي بن اسماعيل .
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . مكتبة النهضة الطبعة
الاولى القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
الاشترى (المتوفى عام ٦٠٥ هـ/١٢٠٨م) ابو الحسين ورام بن ابي فراس المالكى
تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام .
مطبعة حيدرى طهران .
الاصبهاني (المتوفى عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) ابو نعيم احمد بن عبد الله .
حلية الاولياء وطبقات الاصفياء . مطبعة السعادة
القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
الاصفهاني (المتوفى عام ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) ابو الفرج .
مقاتل الطالبين . داراحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م
الاغاني . طبعة الحاج محمد افندي ساسي مطبعة التقدم .
الاصطخري (المتوفى عام ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي
مسالك الممالك . ليدن ١٩٢٧ م .
الباقلاني (المتوفى عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) ابو بكر محمد بن الطيب .
التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة
تحقيق محمود الخضرى ، ومحمد عبد الهادي ابو ريدة القاهرة
١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
البخارى (من اعلام القرن الرابع للهجرة) ابو نصر سهل بن عبد الله بن داود
سر السلسلة العلوية . النجف ١٩٦٣ م ١٣٨٢ هـ .
البرسي (كان حيا عام ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م) رضي الدين رجب بن محمد .
مشارق انوار اليقين . دار الفكر بيروت .
البغدادي (المتوفى عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) ابو جعفر محمد بن حبيب .

المحبر . حيدر آباد ، الدكن ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م .
البغدادي (المتوفى عام ٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م)ابو منصور عبد القاهر بن طاهر التيمي
الفرق بين الفرق . نشره عزت العطار القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ م
اصول الدين . الطبعة الاولى استانبول ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م .
البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) ابو بكر احمد بن علي .
تاريخ بغداد ، مطبعة السعادة الطبعة الاولى ١٣٤٦هـ / ١٩٣١ م .
البلاذري (المتوفى عام ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر
انساب الاشراف . الجزء الاول تحقيق محمد حميد الله
دار المعارف مصر .
انساب الاشراف . الجزء الرابع والخامس اورشليم ١٩٣٦ م .
انساب الاشراف ، للمؤلف المجهول نشره .
Von W . Ahlwardt . Greitswal , 1883
فتوح البلدان . نشره : M . h . Goeye ليدن ١٨٦٦ م
الجاحظ (المتوفى عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ابو عثمان عمرو بن بحر .
البيان والتبيين . القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
التاج في اخلاق الملوك . تحقيق احمد زكي الطبعة الاولى
القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٨ م .
ثلاث رسائل للجاحظ . جمعها ونشرها حسن السندوبي
المطبعة الرحمانية الطبعة الاولى القاهرة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .
الجهشياري (المتوفى عام ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) ابو عبد الله محمد بن عبدوس
الوزراء والكتاب . تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري
مطبعة مصطفى البابي الطبعة الاولى القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
الجوهري (المتوفى عام ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م) احمد بن عبد الله بن عياش .

مقتضب الاثر في النص على الائمة الاثني عشر . قم ١٣٧٩ ﻫ
الحلي (المتوفى عام ٧٢٦ ﻫ / ١٣٢٥ م) الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة .
كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد . قم ١٣١١ ﻫ .
الحسيني (كان حيا سنة ٧٥٣ ﻫ/١٣٥٢ م) تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة
غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار .
المطبعة الحيدرية النجف ١٣٨٢ ﻫ / ١٩٦٣ م .
الحميرى (المتوفى عام ٥٧٣ ﻫ/١١٧٧م) ابو سعيد نشوان بن سعيد .
الحور العين . مطبعة السعادة ١٩٤٨ م .
الحنفي (المتوفى حوالي ٥٠٠ ﻫ/ ١١٠٦ م) ابو محمد عثمان بن عبدالله بن الحسن العراقي .
الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة . تحقيق بشار قوتلوآى انقرة ١٩٦١ م .
الخوارزمي (المتوفى عام ٥٦٨ ﻫ / ١١٧٢ م) ابو المؤيد الموفق بن احمد المكي
مقتل الحسين . مطبعة الزهراء النجف ١٩٤٨ م .
الخونسارى (المتوفى عام ١١٥٨ ﻫ/١٧٤٥ م) مرزا محمد باقر الموسوى الاصبهاني
روضات الجنات في احوال العلماء والسادات .
الطبعة الثانية طهران ١٣٦٧ ﻫ
الخياط (كان حيا قبل ٣٠٠ ﻫ / ٩١٢ م) ابو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي .
الانتصار والرد على ابن الراوندى . تحقيق نيبرج
طبع دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٤ ﻫ / ١٩٢٥ م
الدينورى (المتوفى عام ٢٨٢ ﻫ / ٨٩٥ م) ابو حنيفة احمد بن داود

الاخبار الطوال ، نشره Ignace Kratcckousky
ليدن ١٩١٢ :
الذهبي (المتوفى عام ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد
ابن عثمان بن قايماز .
ميزان الاعتدال في نقد الرجال .
مطبعة السعادة الطبعة الاولى القاهرة ١٣٢٥ هـ :
تذكرة الحفاظ. حيدر آباد الدكن الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م
الرازى (المتوفى عام ٣٢٢ هـ / ٦٥٠ م) ابو حاتم احمد بن حمدان .
الزينة في الكلمات الاسلامية . القاهرة ١٩٥٧ م .
الرازى (المتوفى عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين
الرازى .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . القاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م
الراوندى (المتوفى عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) قطب الدين سعيد بن هبة الله بن
الحسن .
الخرايج والجرايح . دار الطباعة ١٣٠٥ هـ
الزبيرى (المتوفى عام١٥٦ هـ/٧٧٢م) ابو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب
نسب قريش . نشره ليفي بروفنسال القاهرة ١٩٥٣ م .
الزمخشرى (المتوفى عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ابو القاسم جار الله محمود بن عمر
الزمخشرى الخوارزمي .
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوب التأويل.
مطبعة مصطفى البابي مصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
زيد بن علي (قتل عام ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م) .
مجموع الفقه . نشره : Eugenio Griffini ميلانو ١٩١٩م

السمعاني (المتوفى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) ابو سعيد عبد الكريم بن ابي بكر بن
محمد بن ابي المظفر .
الانساب . ليدن ١٩١٢ م .
السمهودي (المتوفى عام ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) نور الدين علي بن محمد .
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى . تحقيق محي الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة القاهرة ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م .
السيوطي (المتوفى عام ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) جلال الدين بن عبد الرحمن
الاتقان في علوم القرآن . مطبعة مصطفى البابي الطبعة الثالثة
القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
تاريخ الخلفاء . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة
الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .
الشعراني (من علماء القرن العاشر الهجري) ابو المواهب عبد الوهاب بن احمد
ابن علي الانصاري .
الطبقات الكبرى المسمى بلواقح الانوار في طبقات الاخبار .
مطبعة مصطفى البابي الطبعة الاولى مصر ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
الشوكاني (المتوفى عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م) محمد بن علي .
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . نشره معروف عبدالله
باسندوة ، مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى القاهرة ١٣٤٨ هـ .
الشهرستاني (المتوفى عام ٥٤٨ هـ /١١٥٣ م) محمد بن عبد الكريم بن احمد
الملل والنحل . ليبزك ١٩٢٣ م .
الصنعاني (المتوفى عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م) شرف الدين الحسين بن احمد بن
الحسين بن احمد بن علي .
الروض النضير - شرح مجموع الفقه الكبير . مطبعة السعادة

الطبعة الاولى القاهرة ١٣٤٧ هـ .
الطبرسي (المتوفى عام ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) ابو علي الفضل بن الحسن
الاحتجاج . المطبعة المرتضوية النجف ١٣٥٠ هـ .
اعلام الورى بأعلام الهدى . مطبعة حيدرى طهران ١٣٣٨ هـ .
الطبرى (المتوفى عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ابو جعفر محمد بن جرير بن رستم
تاريخ الامم والملوك . المطبعة الحسينية المصرية الطبعة الاولى .
الطريحي (المتوفى عام ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) فخر الدين بن محمد علي بن احمد .
مجمع البحرين . طهران ١٣٧٩ هـ .
الطوسي (المتوفى عام ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) ابو جعفر محمد بن الحسن
الفهرست . المطبعة الحيدرية الطبعة الثانية النجف
١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .
العسقلاني (المتوفى عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) احمد بن علي بن حجر .
تهذيب التهذيب ، حيدر آباد الدكن ١٣٢٥ هـ .
لسان الميزان . حيدر آباد الدكن ١٣٣٠ هـ .
قدامة بن جعفر (المتوفى عام ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) ابو الفرج قدامة بن جعفر
الكاتب البغدادي .
الخراج وصنعة الكتابة . ليدن ١٨٨٩ م .
القلقشندى (المتوفى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ابو العباس احمد .
نهاية الارب في معرفة انساب العرب . تحقيق ابراهيم الابيارى
الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٩ م .
القمي (المتوفى عام ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن
بابويه .
المقنع . المطبعة الاسلامية طهران ١٣٧٧ هـ .

معاني الاخبار . مطبعة الحيدري طهران ١٣٧٩ ﻫ
عيون اخبار الرضا . مطبعة دار العلم قم ١٣٧٧ ﻫ
أمالي الصدوق . طهران ١٣٨٠ ﻫ

القيرواني (المتوفى عام ٤١٣ ﻫ / ١٠٢٢ م) أبو اسحاق ابراهيم بن علي
زهر الاداب وثمر الالباب . الطبعة الاولى القاهرة ١٣٧٢ ﻫ / ١٩٥٣ م

الكتبي (المتوفى عام ٧٦٤ ﻫ / ١٣٦٢ م) محمد بن شاكر بن احمد
فوات الوفيات . مطبعة السعادة مصر ١٩٥١ م

الكشي (من علماء القرن الرابع الهجرى) أبو عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز
الرجال . كربلاء

الكليني (المتوفى عام ٣٢٨ ﻫ / ٩٣٩ م) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازى .
الاصول من الكافي . مطبعة حيدري طهران ١٣٨١ ﻫ

الكندى (المتوفى عام ٣٥٠ ﻫ / ٩٦١ م) أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصري .
الولاة وكتاب القضاة . مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ م

الكوفي (القرن الثالث الهجري) فرات بن ابراهيم بن فرات .
تاريخ فرات الكوفى . المطبعة الحيدرية النجف .

المازندراني (المتوفى عام ٥٨٨ ﻫ / ١١٩٢ م) ابو جعفر رشيد الدين محمد ابن علي بن شهرا شوب السروي .
مناقب آل أبي طالب . المطبعة العلمية قم ١٣٧٩ ﻫ

المبرد (المتوفى عام ٢٨٥ ﻫ / ٨١٨ م) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر .
الكامل في اللغة والنحو والتصريف .

مطبعة مصطفى البابي الطبعة الاولى مصر ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م

المجلسي (المتوفى عام ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م) محمد باقـر بن محمد تقي الاصفهاني :

بحار الانوار . تبريز ١٣٠١ هـ

المرتضى (المتوفى عام ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤م) علي بن الحسين الموسوى العلوى

مجموعة في فنون علم الكلام. (المجموعة الخامسة من نفائس المخطوطات) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين مطبعة المعارف بغداد ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م

الفصول

المرتضى (المتوفى عام ٨٤٠هـ/١٤٣٧م) احمد بن يحيى بن المهدى لدين الله

طبقات المعتزلة. تحقيق سوسنه ديفلد فلزر بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦١م

المرزوقي (المتوفى عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠ م) ابو علي احمد بن محمد بن الحسن

شرح ديوان الحماسة . نشره احمد امين وعبد السلام هارون الطبعة الاولى القاهرة ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م

المسعودي (المتوفى عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي

مروج الذهب ومعادن الجواهر . مطبعة السعادة القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م

التنبيه والاشراف . القاهرة ١٩٣٨ م

المفيد (المتوفى عام ٤١٣هـ/١٠٢٢ م) محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي .

الارشاد . اصبهان ١٣٦٤ هـ

الاختصاص . طهران ١٣٧٩ هـ

اوائل المقالات فى المذاهب والمختارات. الطبعة الثانية تبريز ١٣٧١هـ

الفصول العشرة في الغيبة. المطبعة الحيدرية النجف ١٣٧٠هـ/١٩٥١م

المقدسي (المتوفى عام ٣٢٢هـ / ٩٣٤م مطهر بن طاهر
البدء والتاريخ . باريس ١٨٩٩ م

المقدسي (المتوفى ٢٨٧ هـ / ٩٩٧م) شمس الدين ابو عبد الله محمد الشافعي المعروف بالبشاري
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ليدن ١٩٠٦ م

المقريزي (المتوفى عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . مطبعة بولاق
النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبنى هاشم
المطبعة العلمية النجف ١٣٦٨هـ

الملطي (المتوفى عام ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن
التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع . تحقيق محمد زاهد الكوثوي
١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م

المنقري (المتوفى عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) نصر بن مزاحم
وقعة صفين . الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٢ هـ

مؤلف مجهول (من القرن الحادى عشر الميلادي)
نبذة من كتاب التاريخ . نشرها بطرس غريازينوبيج معهد الدراسات الشرقية موسكو ١٩٦٠ م

مؤلف مجهول (
اخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بها بينهم . مدريد ١٨٦٧ م

الميداني (المتوفى عام ٥١٨ﻫ/١١٢٤م) ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري
مجمع الامثال ، القاهرة ١٣٥٢ ﻫ

النجاشي (المتوفى عام ٤٠٥ ﻫ / ١٠١٤ م) ابو العباس احمد بن علي بن العباس . الرجال . مطبعة مصطفوى

النوبختي (المتوفى عام ٣١٠ ﻫ / ٩٢٢ م) ابو محمد الحسن بن موسى
فرق الشيعة . المطبعة الحيدرية النجف ١٣٧٩ ﻫ / ١٩٥٩ م

النويري (المتوفى عام ٧٣٣ﻫ/١٣٣٣م) شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب
نهاية الارب في فنون الادب . الطبعة الثانية
القاهرة ١٣٤٧ ﻫ / ١٩٢٩ م

الهمداني (المتوفى عام ٣٦٥ﻫ / ٩٧٥م) ابو بكر احمد بن محمد المعروف بابن الفقيه
مختصر كتاب البلدان . ليدن ١٣٠٢ ﻫ

ياقوت (المتوفى عام ٦٢٦ﻫ / ١٢٢٨م) شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت ابن عبد الله الحموى الرومي
معجم البلدان . ليبزك ١٨٦٦ م
ارشاد الاريب الى معرفة الاديب . حققه مارغليوث القاهرة ١٩٢٣م

اليعقوبي (المتوفى عام ٢٨٤ ﻫ/ ٨٩٧م) احمد بن أبي يعقوب بن جعفر ابن وهب بن واضح الكاتب البغدادى
تاريخ اليعقوبي . نشرة : (T.H.Houtsma) ليدن ١٨٨٣ م

اليمني (المتوفى نحو ١٠٣٥ ﻫ / ١٦٨٧ م) يحيي بن الحسين بن المؤيد
انباء الزمن في اخبار اليمن : تحقيق محمد عبدالله ماضي
نشره : studien zur Gechichte
Der Islam; Berlin 1936

مراجع المطبوعات الحديثة والمترجمة

أرنولد ـ توماس

الخلافة . ترجمة جميل معله دار اليقضة العربية للتأليف والترجمة والنشر

أمين ـ احمد

فجر الاسلام . الطبعة السابعة القاهرة ١٩٥٩ م

بروكلمان ـ كارل

تاريخ الادب العربي . نقله الى العربية عبد الحليم النجار

دار المعارف القاهرة ١٩٥٩

جولد تسيهر ـ اكاناتيوس

العقيدة والشريعة في الاسلام . ترجمة محمد يوسف وجماعته

الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٩ م

الدورى ـ عبد العزيز

بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠م

زامباور ـ ادورد

معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي

اخرجه الدكتور زكي محمد حسن مطبعة جامعة فؤاد القاهرة ١٩٥١م

الساعدى ـ محمد الشيخ حسن

الحسنيون في التاريخ . مطبعة النجف ـ النجف ١٩٥٦ م

عبد القادر ـ علي حسين

نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي . القاهرة ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢م

عنان ـ محمد عبد الله

تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة

الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م

فان فلوتن

السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية

ترجمه عن الفرنسية حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم

مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى ، مصر ١٩٣٤ م

فلهاوزن ـ يوليوس

الدولة العربية وسقوطها

نقله الى العربية يوسف العش ، دمشق ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م

الخوارج والشيعة احزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الاسلام . ترجمه عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ١٩٥٨ م

فون كريمر

الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية

تعريب مصطفى طه بدر ، دار الفكر العربي ١٩٤٧ م

ماسنيون ـ لويس

خطط الكوفة وشرح خريطتها

ترجمة تقي بن محمد المصعبي ، الطبعة الاولى ، صيدا ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م

المامقاني ـ عبد الله بن الشيخ حسن

تنقيح المقال في احوال الرجال

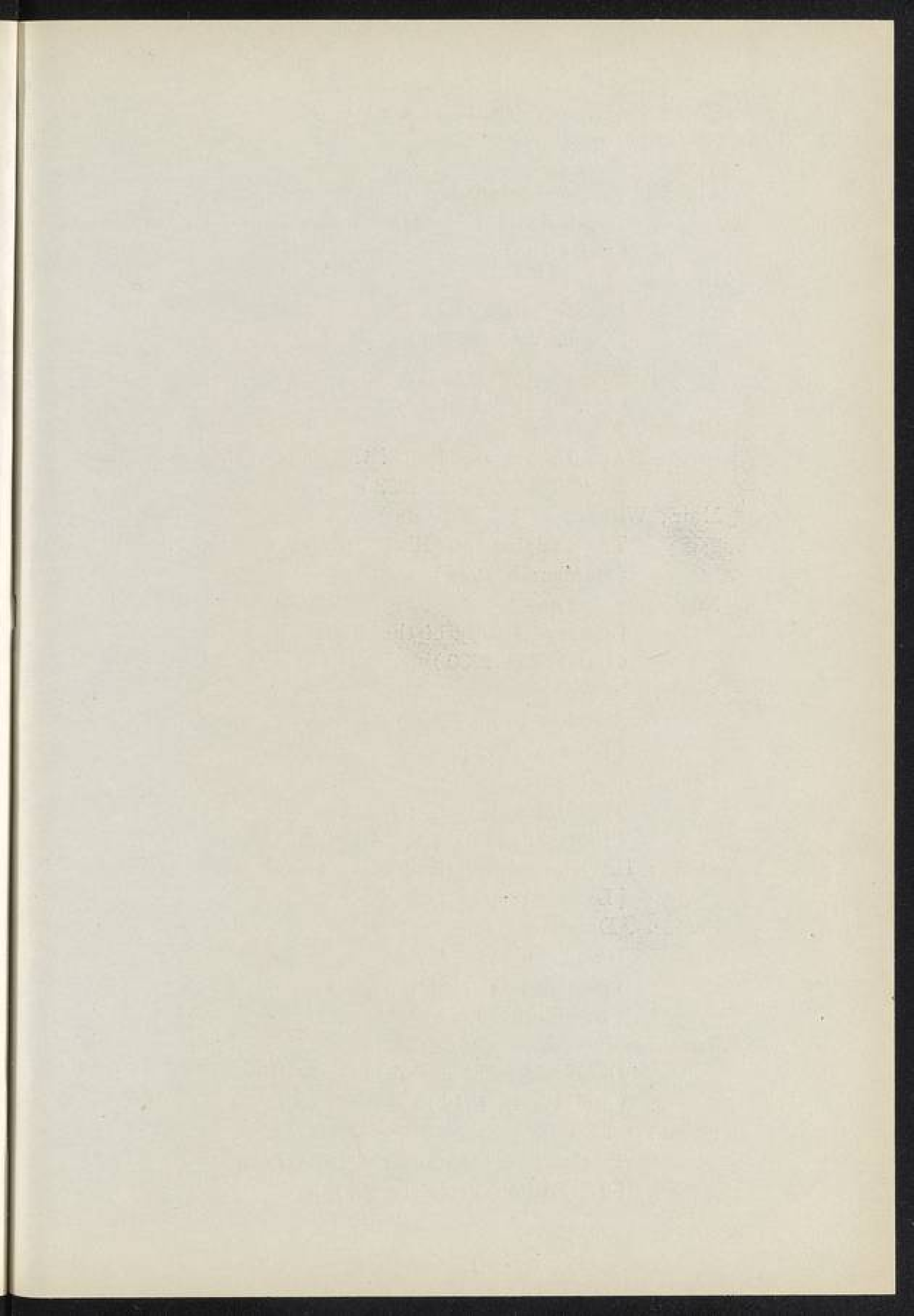
المطبعة المرتضوية ، النجف ١٣٥٠ هـ

مؤنس ـ حسين

فجر الاندلس . الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٩ م

المراجع الأجنبية

Albertini , E . et , Marcais
L ' afrique Du Nord Francaise Dens L ' Historie
(Paris 1937)
Browne , Edward
Literary History of Persia
(Cambridge 1956)
Encyclopaedia of Islam
(Leiden 1936)
Gibbon , Edward
The Decline and Fall of the Roman Empire Ninth
deition , (London 1938)
Muir , William
The Caliphate its Rise , Decline and Fall .
(Edinburah 1924)
Nicholson
Literary History of the Arabs
(Cambridge 1930)
Noldeke , Theodor
Sketches From Eastern History
(London 1892)
Lano Pool , Stanley
The Mohammadan Dynasties
(Paris 1925)
Shorter Encyclopaedia of Islam
(Leiden 1933)
Sourdel , Dominique
Islam
Translated by Douglas Scott
(New York 1962)
Strothmann
Das Staatsrecht der Zaiditen
(stra Bburg 1912)
Sweet , T .
Tactics and Technique of Infantry
(2 d Edition Pennsylvania)



فهرس الاعلام

خ

د

ذ

ر

ز

فهرس القبائل والأمم والاديان والفرق

فهرس الاماكن والبلدان

الفصل الأول

عصر زيد بن علي

مشاكل الامويين والهاشميين، ظهور الاسلام في بني هاشم ـ موقف بني امية من الاسلام ـ خلافة عثمان ـ موقف بنى هاشم من عثمان ـ خلافة علي ابن أبي طالب ـ خروج طلحة والزبير ـ قيام الدولة الأمرية .

الامويين والخلافة والخوارج ـ الشيعة ـ النزاع بين الامويين والشمة ـ الامويين وأهل الحجاز ـ عبد الملك بن مروان وتوحيد الدولة العربية .

حياة زيد بن علي ولادته ـ نشأته ـ حالة المدينة العلمية ـ والد زيد ـ أخوه ـ دراسة زيد ـ ورعه ـ تدينه ـ أقواله .

الفصل الثاني

ظهور زيد على المسرح السياسي

تعدد الروايات ونقدها ـ مسألة أحقية آل البيت بالخلافة ـ مناقشة زيد لهشام بن عبد الملك ـ مشكلة صدقات النبي ـ تهمة أخذ المال من خالد القسري ـ زيد في الكوفة ـ التوتر في العراق ـ حركة حجر بن عدي ـ ثورة ابن الأشعث ـ ثورة يزيد بن المهلب ـ الكوفة عند قدوم زيد ـ وضع الدولة الأموية زمن هشام حالة الخلافة في دمشق ـ الصراع القبلي في العراق وخراسان وشمالي أفريقية ـ التدهور العسكري في شرق المملكة الاسلامية وشمالي أفريقية والأندلس ـ فشل العرب ضد البيزنطيين ـ ضعف الادارة السياسي ـ جهل الولاة ـ الفوضى في خراسان ـ الفوضى في شمال أفريقية ـ شخصية هشام بن عبد الملك .

الفصل الثالث

الثورة

طبيعة الثورة : الصراع بين الدين والدنيا _ الثأر للحسين _ ضرب مكة والمدينة _ اسفاف الخلافة _ أحقية العلويين في الخلافة _ معاوية ابن يزيد والخلافة _ نظرة عمر بن عبد العزيز للعلويين _ الدعوة في الكوفة مبادىء الدعوة _ انتشار الدعاة _ تنقل زيد في الأمصار _ كتاب هشام الى والي الكوفة _ اعلان الثورة _ سير القتال في شوارع الكوفة _ مقتل زيد وفشل الثورة _ رثاء زيد _ أسباب فشل الثورة : تحشد الجند الشامي _ التجسس _ مشاكل الخلافة _ دعوة بني العباس _ ادعاء الامامة .

الفصل الرابع

أثر زيد بن علي

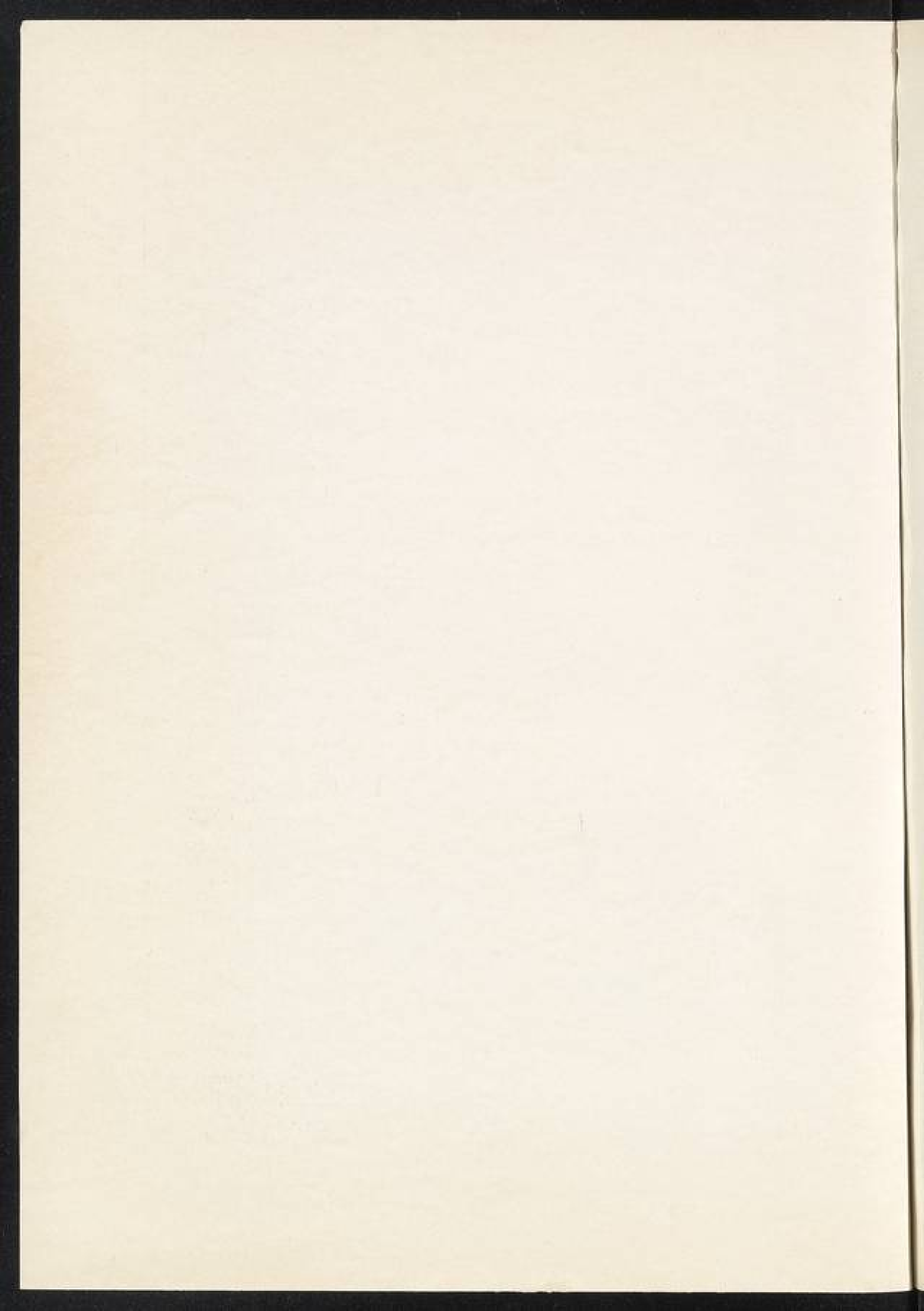
زيد والدولة الاموية _ المسودة في خراسان _ الثورة العباسية _ أثر زيد في الدولة العباسية : ثورة ذو النفس الزكية _ ثورة ابن طباطبا _ الدولة الزيدية في اليمن _ ثورة محمد بن القاسم في الطالقان _ ثورة يحيى بن عمر _ الدولة الزيدية في طبرستان . الرافضة والزيدية : المبادىء العامة للزيدية _ القول بامامة زيد بن علي _ القول بامامة المفضول مع وجود الأفضل _ السيف والعرض على أئمة الجور _ التوحيد _ العدل _ الوعد والوعيد _ المنزلة بين المنزلتين . فرق الزيدية : الجارودية _ السليمانية _ الصالحية والبترية _ القاسمية . آثاره.

تصويب واعتذار

لم يتح للمؤلف الاشراف على طبع الكتاب فوقعت فيه اخطاء مطبعية يرجى الانتباه اليها .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	٥	فعل عنيف	رد فعل عنيف
٢٤	١٦	الدولة الاموية	الدولة الاموية (٦)
٥٨	١٦	يكون	تكون
٦٠	١١	ان زيد	ان زيدا
٦١	١	ان الشيعة تختلف	ان الشيعة تختلف
		ثم ابلغه اليه	اليه
٦٨	٤	ولم تكن	ولم يكن
٧٠	١٤	مائة وعشرون	مائة وعشرين
٨٢	١١	اقادت	افادت
٨٣	١	تعينه	تعيينه
٨٦	٥	الامور	إلآمرو
٨٦	١٣	الامويوين	الأمويون
٨٩	١٥	بطريق	بطرق
٩٠	٣	خطائه	خطأه
٩٢	٥	تعينهم	تعيينهم
٩٢	١٣	عبد اللهن الحبحاب	عبيد الله بن الحبحاب
٩٤	١٣	عقب بن الجماح	عقبة بن الجماح
١٠٤	١٠	خطائه	خطأه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٨	١٩	وهذه	هذه
١١١	٥	الاعمشي	الاعمش
١١٢	٤	يزيد بن زياد	يزيد بن ابي زياد
١١٥	٤	الحكم بن السلط	الحكم بن الصلت
١١٦	٥	ومستغلا الظلام	مستغلا الظلام
١١٦	٧	غير	غش
١٢٩	١٠	الجند	الجهد
١٤٤	١٠	اما ما يذكر من تحذير	اما ما يذكرون تحذيره له فهو
١٥٦	٤	كان	كل
١٧٠	٢١	من	عن
١٨٢	٤	باقتيان	باقيتان
١٩٢	٥	صالح بن حي	الحسن بن صالح بن حي
٢٠٢	٥	تميزهم	تمييزهم



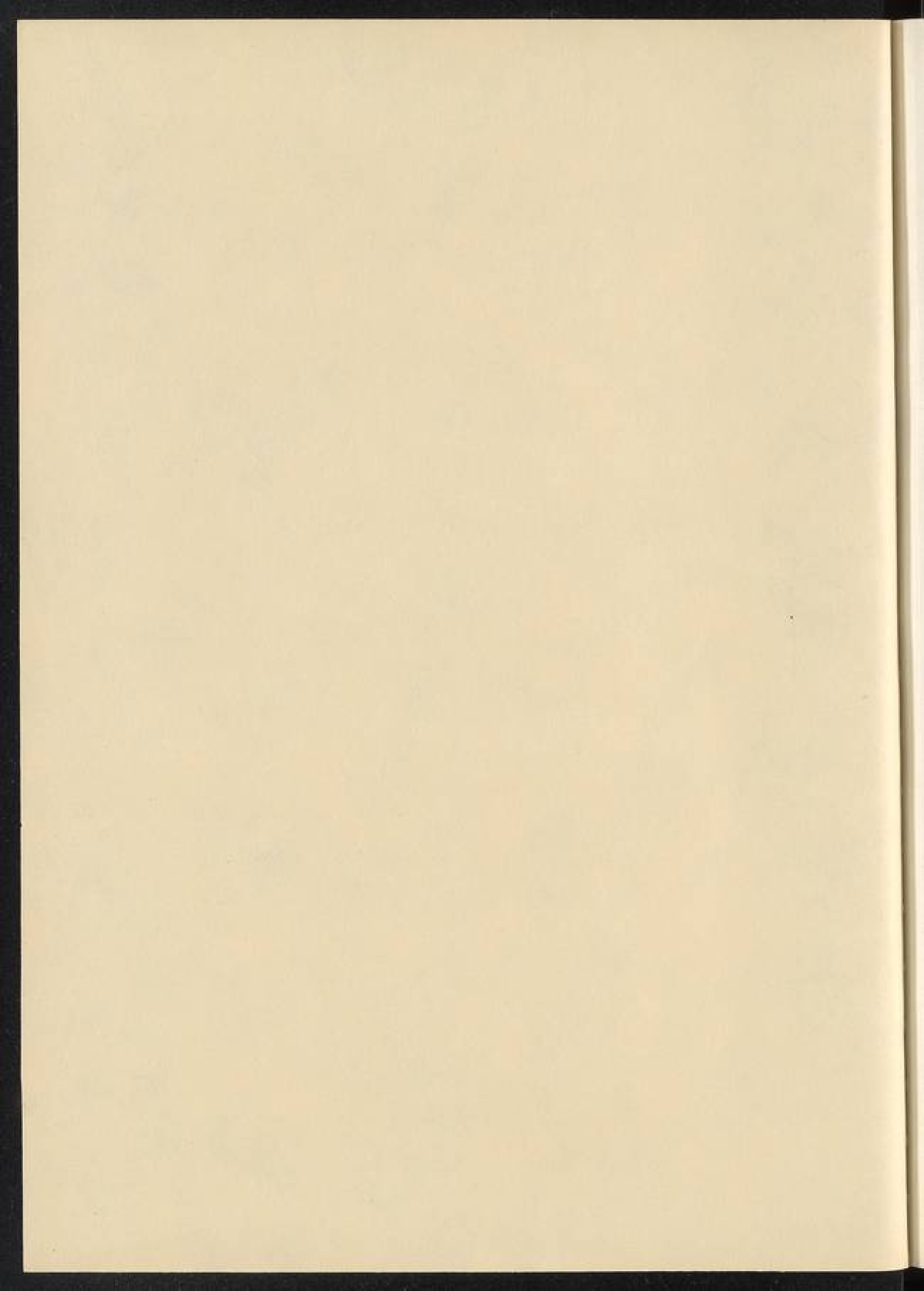
Naji Hasan

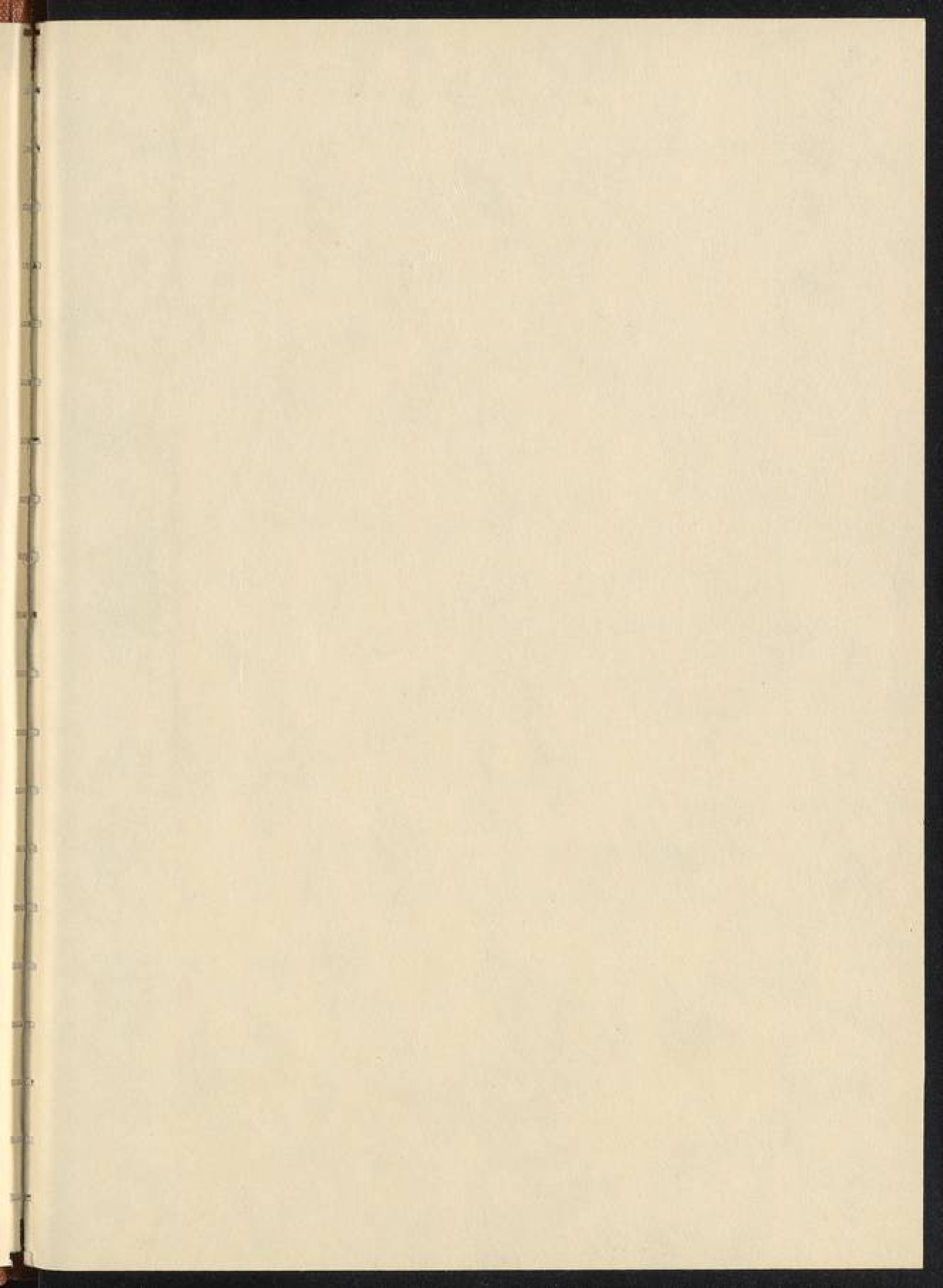
The Revolution of

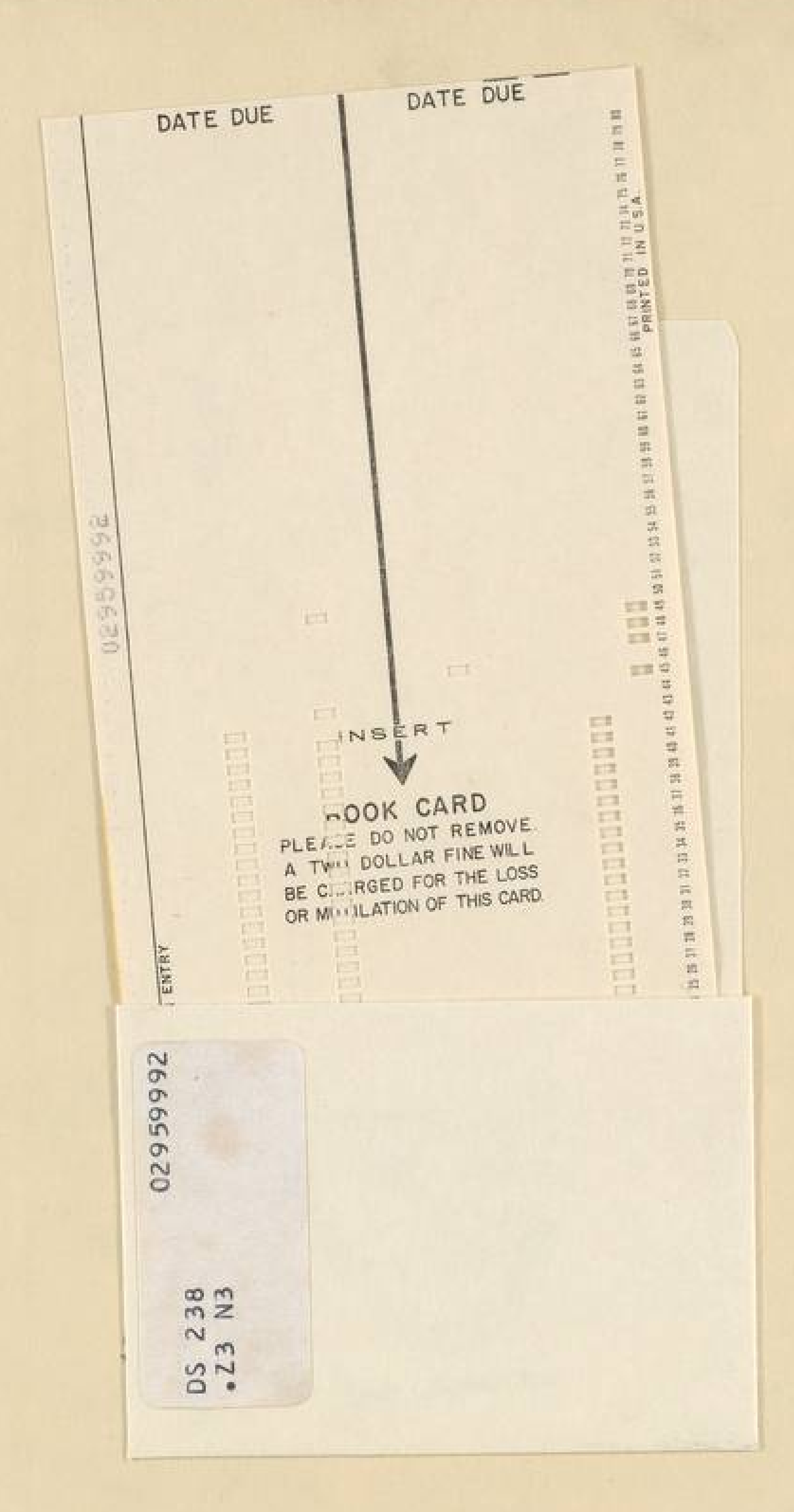
ZAID IBN ALI

Published by :
AL-NAHDHAH BOOKSHOP

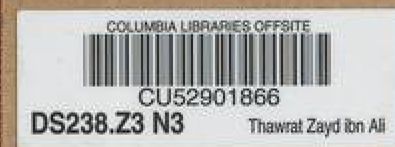
الثمن
٤٠٠






DATE DUE
DATE DUE
PRINTED IN U.S.A.
02959992
INSERT
BOOK CARD
PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MUTILATION OF THIS CARD.
ENTRY
02959992
DS 238
.Z3 N3

JUN 25 1968


COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU52901866
DS238.Z3 N3 Thawrat Zayd ibn Ali